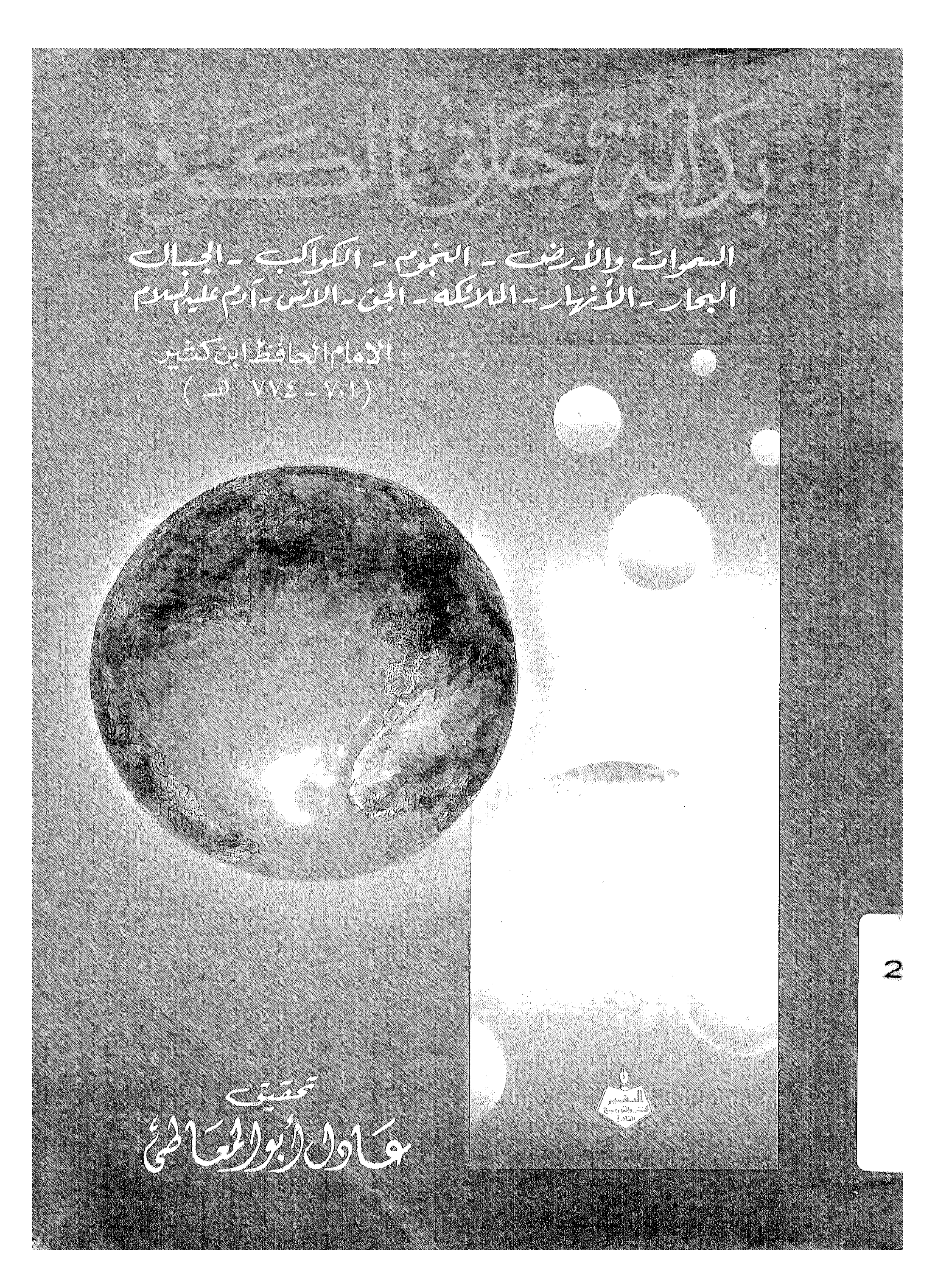

بداية خلق الكون
السموات والأرض - النجوم - الكواكب - الجبال
البحار - الأنهار - الملائكة - الجن - الانس - آدم عليه السلام
الامام الحافظ ابن كثير
(٧٠١ - ٧٧٤ هـ)
تحقيق
عادل أبو المعاطي
2



بداية خلق الكون

دار البشير ـ القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٥طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٣١٨٧٣٦٨

بداية خلق الكون

السموات ، والأرض ، النجوم ، الكواكب ، الجبال ، البحار

الأنهار ، الملائكة ، الجن ، الإنس - آدم عليه السلام

الإمام الحافظ

أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي

« ٧٠١ - ٧٧٤ هـ »

تحقيق

عادل أبو المعاطي

دار البشير

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾.

(الآية ٤١ من سورة إبراهيم).

﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾ ﴾.

(الآية ٢٨ من سورة نوح)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إننى وأنا أقدم لهذا الجزء من كتاب « البداية والنهاية » لابن كثير ، الذى يتعلق الكلام فيه بالكون الواسع المترامى بسماواته وأرضه ونجومه وكواكبه وجباله وأنهاره وبحاره وملائكته وجنّه وإنسه ، والذى عنونته بـ « بداية خلق الكون » لأركّز على أهمية اهتمام المسلمين بهذه العلوم التى كنا رائدين فيها وقتاً ما ، وكنا ساعتها سادة هذا العالم لأننا استخدمنا أسباب هذا الكون فى تسخيره لإعلاء كلمة الحق كلمة لا إله إلا الله .

فى ذلك الوقت جُبْنا الأرض شرقاً وغرباً وكانت لنا استكشافات جغرافية ، وكان لدينا جغرافيون تعلم الغرب على أيديهم ، وكان لنا نصيب وافر فى علوم الطب والفلك والهندسة والرياضيات والكيمياء والطبيعة وغير ذلك من العلوم .

وهذا الكتاب لا أدعى أنه كتاب علمى بحت يبحث فى خلق هذه الكائنات كجزئيات من هذا الكون ، وإنما أقول إنه يلفت نظرنا إلى أن نُعْمِل أذهاننا فى تفهم هذا الكون ، وأن نوليه عناية أكبر بل نوليه كل العناية ، لأنه سبيل إلى الإيمان العملى ولأنه طريق لنشر دين الإسلام بين شعوب متقدمة ومتحضرة علمياً وتكنولوجيًا .

إننا عندما تخلينا عن هذا الجانب العلمى الكونى الجوّاب الاستكشافى للكون ووضعنا الدين فى حيز العبادات اليومية فقط وفصلناه عن واقع حياتنا ، وفصلنا بينه وبين العلم من حيث لا نشعر أصابنا ما أصابنا ، وآن لنا أن نعيد تلك الصلة .

* * *

لقد أعطى القرآن اهتماماً كبيراً للعقل ؛ ليربط الواقع بالكون عن طريق النظر فى آفاق السماوات والأرض وما بينهما : عن طريق رصد كائنات هذا الكون العظيم الواسع وتعرُّف خصائصه وما يتميز به كل كائن عن غيره للدلالة على عظمة خالق هذا الكون العظيم .

ولذلك أكد القرآن على وجوب أن يتسم عقل المسلم بالنظرة الواعية الفاحصة المدركة لدقائق هذه الحياة ، فكلها دليل على صدق هذا الدين وصدق معطياته حتى لا نكون كهؤلاء الذين يمرُّون على آيات الله مُعْرِضين غافلين عن تفهُّم ما فيها .

يقول عز وجل : (وكأيِّن مِّنْ آيَةٍ فى السَّماواتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ) (سورة يوسف : ١٠٥)

ويقول سبحانه : (أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ والأَرْضَ كانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُما وجَعلْنا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ * وَجَعلْنا فِى الأَرْضِ رَواسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعلْنا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعلَّهُم يَهْتَدُونَ * وجَعلْنا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وهُمْ عَنْ آيَاتِها مُعْرِضُونَ) .

(سورة الأنبياء : ٣٠ - ٣٢)

فالله عز وجل يريد عقلاً مسلماً جَوَّاباً يجوب الأرض ببحارها وأنهارها وجبالها وسهولها لاكتشاف هذا العالم بما فوق الأرض وبما تحتها من نبات وحيوان وجماد ليستخرج أسرار هذا الكون لتتم إرادة الله فى تسخير هذا الكون للإنسان .

لقد خلق الله هذا الكون العظيم بحكمة وعلم عظيمين يَنُمَّانِ عن علم إلهى مطلق وقدرة مطلقة ، خلقه الله بقوانين وأسباب تحكمه لا يتخلف عنها قانون .

فالله لا يريد من المسلمين بالسياحة فى الأرض والسير فيها التنزُّه والاصطياف هنا أو التشتية هناك والتمتع بالمناظر المبهجة التى تسر العين .

وإنه لمن المؤسف حقاً أن حتى هذا لم يكن حظنا من هذا الكون ، بل كان حظنا منه أدنى من هذا بكثير ، لقد أصبحنا نعيش لذاتنا وللذاتنا وشهواتنا ،

ونسينا أننا أصحاب رسالة علينا أمانة يجب تحملها ، تخلينا عنها لغير المسلمين الذين سخروا كل إمكاناتهم وعقولهم وخبراتهم وقدراتهم وطاقاتهم وجهودهم لاستجلاء هذا الكون وقوانينه وغزوه واستكشافه ، وها هم قد أصبحوا هم السادة .

* * *

إن تخلف المسلمين العلمي والحضاري اليوم تخلف ملموس بوضوح على أرض الواقع ، وما من كتاب أو حديث أو مقال يتناول هذا الموضوع إلا ويتحدث عن ماضي المسلمين التليد في العلوم المختلفة وخاصة العلوم الطبيعية ، ويبدأ الحديث عن الخوارزمي وجابر بن حيان والحسن بن الهيثم والبيروني وغيرهم وغيرهم كثير ، وهذه صفحات عاشت على أرض الواقع وكانت تمثل واقعاً ماثلاً أمام أعين الناس في كل مجالات العلم .

وما من دراسة أو بحث يُكتب إلا ويتحدث عن أثر الحضارة الإسلامية في الأوربيين والغربيين في القرون الماضية ، وكيف أن الغرب كله أخذ علوم المسلمين على أيدي المسلمين عن طريق الأندلس وغيرها من نقاط الالتقاء المتعددة التي كانت خيراً على البشرية كلها .

واللافت للنظر بحق أنه دائماً حديث عن الماضي ، فهل هناك حديث عن الحاضر ؟

وهذا ليس تنقيصاً من شأن ماضينا أو حطاً من قدره ، فهو بلا شك ماضٍ مزدهر قد سُجِّل في تاريخ البشرية بأحرف من نور..

ولا شك أن هذا الماضي العلمي والحضاري المشرِّف للمسلمين كانت له أسبابه الجوهرية التي وضعت المسلمين على الطريق الصحيح وجعلتهم يأخذون بالمنهج العلمي والاستقرائي الذي تعلمه الأوربيون من المسلمين وسادوا هم به إلى الآن ، وتخلفنا نحن عندما تخلينا عنه .

من أهم تلك الأسباب أن المسلمين كانت لهم مهام رسالية يضطلعون – بكل ما أوتوا من علم وجهد – بها ، فكانوا أصحاب رسالة وأصحاب دعوة لا أصحاب دنيا ، فتوفروا دراسة وبحثاً على القرآن وعلومه فأخذوا عن القرآن المنهج العلمي والاستقرائي لحقائق الكون .

فدعوة القرآن الدائمة الدائبة إلى النظر فى ملكوت السماوات والأرض هى دعوة إلى البحث فى هذا الكون ودراسته ومعرفة معطياته واستنباط قوانينه الطبيعية وتطبيقها الجاد العلمى الدقيق فى الحياة .

يقول تعالى : (قُلِ انظُروا مَاذَا فى السَّماواتِ والأرْضِ) .

(سورة يونس : ١٠١)

ويقول سبحانه : (أوَ لَمْ يَرَوْا كيفَ يُبْدِىءُ اللهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه إنَّ ذَلِكَ على اللهِ يَسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فى الأرْضِ فَانظُروا كيفَ بَدَأ الخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِىءُ النَّشْأةَ الآخِرةَ إنَّ اللهَ على كُلِّ شَىءٍ قديرٌ) (سورة العنكبوت : ١٩ ، ٢٠)

وقال تعالى فى سورة الأعراف : (أوَ لَمْ يَنظُروا فى مَلَكُوتِ السَّماواتِ والأرْضِ وما خَلَقَ اللهُ مِنْ شَىءٍ) (سورة الأعراف : ١٨٥)

والقرآن الكريم مملوء بالحديث عن النبات والزرع والحيوان وتفصيل خلق الإنسان والجبال وكثير من الظواهر الطبيعية ، صحيح أن حديث القرآن عن هذه الظواهر كان للفت الأنظار إلى عظمة الخالق سبحانه وللدلالة على أن لهذا الكون الواسع خالقاً قد صنعه بحكمة وإتقان جَلَّ سبحانه عن النقصان .

ولكن هذا أيضاً لفت لأنظار الناس عامة والمسلمين خاصة إلى معطيات هذا الكون الذى يؤكد حقيقة أن من يمتلك مفاتيحه يسود هذا العالم ، بغضّ النظر عن جانب الخير والشر فيمن يمتلك هذه المفاتيح ؟ فلماذا يتنازل أصحاب الرسالة الخاتمة عن تلك المفاتيح وقد كانت بأيديهم ؟

إن من يمتلك مفاتيح هذا الكون يملك كل شىء فيه ، يملك إرادة توجيه هذا العالم ، يملك فرض قيمه وسلوكياته وأخلاقه ومبادئه ونمط حياته الأسرى والمعيشى ، والأمثلة كثيرة جداً ، وأبسط هذه الأمثلة تلك النقلة التكنولوجية الكبيرة فى عالم الاتصالات ، فها هم الآخرون أخذوا بمعطيات العلم وملكوا مفاتيح توجيه البشر كلهم عن طريق أقمارهم الصناعية التى تمثل جهداً علمياً خارقاً تخصص فيه علماء لسنين طويلة ، والآن يفرضون علينا قيمهم ومثلهم الحياتية عن طريق هذه القنوات .

والأخطر من هذا أن عصور التخلف ما زالت مستمرة ، وأننا ما زلنا ننظر إلى هذا التقدم العلمى الرهيب من موقع المتفرجين المنبهرين الذين أخذت هذه التكنولوجيا المتقدمة فى جميع المجالات ألبابنا ، مما يدل أننا أطفال فى ركب الحضارة العلمية ، بل نكاد لم نُولد بعد ، لأننا لم نسلك الطريق الصحيح للأخذ بزمام الأمور .

وأود هنا أن أعطى أمثلة واضحة على أننا ننظر لهذا التقدم التكنولوجى الهائل كنظرة الأطفال إلى لعبة تتحرك أمامهم بطريقة أو بأخرى ، تُرَى كيف ينظر إليها ؟

وسآخذ مثالاً على هذا من ماضينا القريب : انظر . كيف تحدَّث الجبرتى على تلك المعامل الكيميائية التى أتى بها علماء الحملة الفرنسية معهم ضمن الحملة على مصر ، وسأترك لك نص كلام الجبرتى لتعرف إلى أى مدى كان تخلفنا :

« من أغرب ما رأيته فى ذلك المكان[1] أن بعض المتقيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة ، فصب منها شيئاً فى كأس ، ثم صبَّ عليها شيئاً من زجاجة أخرى فعلا الماءان وصعد منه دخان ملون .. حتى انقطع وجف ما فى الكأس وصار حجراً أصفر فقلبه على البرجات حجراً يابساً أخذناه بأيدينا ونظرناه .. ثم فعل كذلك بمياه أخرى فجمد حجراً أزرق ، وبأخرى فجمد حجراً أحمر ياقوتياً .. وأخذ مرة شيئاً قليلاً جداً من غبار أبيض ، ووضعه على السندال وضربه بالمطرقة بلطف ، فخرج له صوت هائل كصوت القرابانة انزعجنا منه ، فضحكوا منا ... » .

ثم قال مجملاً هذا كله :

« ولهم فيه أمور وأحوال وتراكيب غريبة ينتج منها نتائج لا تَسَعُها عقول أمثالنا »[2] .

---

(١) هو بيت حسن كاشف جركس والذى جعلوه كمعمل كيماوى .

(٢) المختار من تاريخ الجبرتى - اختيار محمد قنديل البقلى - مطابع الشعب ١٩٥٨ م - كتاب الشعب ص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

وإذا كنت قد أتيت بمثال من الماضى قبل إعطاء مثال من حاضرنا الأليم فإنما قصدت من هذا أن أؤكد أن تخلفنا مستمر ، وأن أجدادنا عاشوا فيه فترة طويلة حتى آذانهم ، وما زلنا نحن نسير لا على درب التقدم بل على درب التخلف ، وما زلنا أطفالاً ومتفرجين ، وسيستمر تخلفنا هذا إذا لم نَعِ هذه الحقيقة جيداً وندرك أننا بحاجة إلى وقفة جادة مع النفس على جميع الأصعدة والمستويات لإنقاذ أجيال قادمة .

ولعله لا يخفى – كمثال ثانٍ – أن كثيراً من الشباب الذى سافر لأوربا وأمريكا ورأى التقدم الهائل فى الخارج وكيفية التعامل مع معطيات الطبيعة ومع علمائهم كرهوا وضعهم ووضع بلادهم وقرروا الهجرة إلى تلك البلاد نهائياً ، ومنهم مَنْ عزا هذا التخلف لمعطيات الدين وأنه السبب فى تخلفنا .

والأدهى من ذلك أنه لم يجد من علماء الدين غير القول والتأكيد على أننا إذا كنا متخلفين علمياً وتكنولوجياً وتقنياً فهم متخلفون روحياً وأخلاقياً ، وأن الإباحية سوف تأكل علمهم هذا وتدمره .

وقد يكون هذا صحيحاً ولكن أليس أصحاب الأخلاق القويمة أجدر بأن يكونوا أكثر استقامة على منهج الله فى التعامل مع هذا الكون والنظر بعين الجد إلى إعلاء كلمة الإسلام عالية ليس بالأناشيد الحماسية عن عودة مجد الدين ونحن ينخر فينا سوس التخلف والأمية والقصور العقلى والحضارى .

والغريب أننا قد قنعنا بهذا التبرير المستغرب لتخلفنا عن ركب الحضارة ، وهو ليس تبريراً منطقياً لأننا متخلفون أخلاقياً وروحياً أيضاً ، وتسيطر علينا أخلاق الغربى المتقدم القادر على فهم متطلبات ومقتضيات السيطرة على مقدرات وثروات وأخلاق وعقول غيره من الشعوب .

ولعل أكثر الأمور دلالة على هذا : الظروف التى نعيشها الآن الناشئة عن تسلط الحمقى والجهلاء على مقادير شعوبهم والتى دفعت بهم إلى تدمير القدرات والثروات والإمكانات المسلمة والعربية فى حرب قذرة ستترك آثارها الكئيبة على كل ناحية من نواحى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية .

دفعتهم حماقاتهم لتدمير كل شئ ظناً منهم أنهم قادرون ، فإذا بهم ينتبهون على هزيمة قاسية ليس فى ميدان الحرب فقط ولكن فى ميدان الهزيمة النفسية الرهيبة نتيجة تخلفنا الرهيب فى التقنية والتكنولوجيا التى فوجئ بها مَنْ غرَّتهم زعامتهم وقوتهم .

حتى أن الصحف قد نقلت إلينا أن مواطنى إحدى البلاد التى تعرضت لصواريخ سكود فى حرب الخليج كانوا يصعدون على أسطح المنازل لرؤية صواريخ باتريوت المضادة للصواريخ وهى تدمر صواريخ سكود فى الجو هاتفين الله أكبر ، وكأن تلك الصواريخ من صنع المسلمين أو نتيجة عقول علماء المسلمين ، وهذا مما يدل على أننا ما زلنا متفرجين متخلفين .

إن تخلفنا الحضارى والأخلاقى والفكرى حقيقة واقعة لا نستطيع أن ننكرها أو نتغاضى عنها ، وإلا كنا نخدع أنفسنا خداعاً سيكون له أثره السلبى البالغ على أجيال المسلمين القادمة .

إن المسلمين اليوم مُضيَّعون بين طرق شتى ومتاهات عدة :

– فمنهم من غرق حتى آذانه فى الدنيا فاستهلكته ، وأصبح كل همه فى الحياة هو العبّ من الشهوات والملذات كيفما شاء ، أو أنهكته متطلبات الحياة المعيشية من كساء وغذاء وشراب وغير ذلك .

– ومنهم من يشغل نفسه بتوافه الأمور وسفاسفها ويضيع عمره وحياته وجهده وطاقته وإمكاناته فيما لا ينفع دينه ولا مجتمعه .

– ومنهم من سيطرت عليهم الأمية والجهل والفقر فأصبحوا مجرد أشياء فى هذا الكون ، أصبحوا هملاً لا قيمة لهم ، أصبحوا زبداً كزبد البحر لا يفهمون عن الله آية ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً ، ولا يعيشون مجريات مجتمعهم إلا بقدر ما يعود عليهم ذلك من أشياء استهلاكية يضيعون بها حياتهم .

– ومنهم من اتجه إلى التدين ولكنه لا يعى من التدين إلا صلاة ركعات أو التصدق ببضعة أموال على فقير ، ويظن أنه هكذا قد أرضى ربه ، فإذا بأخلاق الغربى المتقدم تغزو عليه نفسه وبيته .

- ومنهم من يهتم بالخلافات الهامشية حول أمور لا تستدعى خلافاً ، فلا هم يعرفون شيئاً عن أولويات العمل الإسلامى والتفكير ، ولا هم يأخذون بشىء من منهج أدب الاختلاف ، فلا تجده إلا حيث يكون جدال أو نقاش عقيم لا يجدى ولا يغنى بل يضيع الطاقات ويقسى القلوب .

- ومنهم من يضيع حياته وجهده وإمكاناته فى وهم أنه سيعيد مجد الإسلام بمناصبة أولى الأمر العداء وصولاً إلى إقامة أمر الله ، وهو أمر فى حد ذاته مطلوب ولكن ليس بهذه الكيفية ، خاصة أنه فى الغالب يكون قاصر العلم قاصر الفهم عاجزاً عن إدارة شئون نفسه وبيته بطريقة سليمة ، فكيف يتأتّى له أن يدير دولة ؟

- ومنهم من يضيع عمره فى خلافات عقائدية أو مذهبية أو فكرية أو حتى حديثية فى تضعيف هذا الحديث أو ذاك ، وفى خلال ذلك تجد تجاوزات كثيرة تؤدى بالجميع إلى مناصبة العداء لبعضهم ، وقد يتعدى هذا إلى السُباب والتجريح .

فهل بهذه النماذج نستطيع أن نرتقى أو نتقدم ولو خطوة واحدة على طريق العلم والحضارة المستندة بلا أدنى جدال أو شك على قوة إيمان وصدق عزيمة وفهم صحيح وفكر رشيد واقتصاد قوى ونبذ لكل مظاهر الانحراف الأخلاقية والسلوكية التى تؤدى إلى سقوط كثير من الأجيال والطاقات .

إننا بحاجة إلى علاج كل هذه الآفات فى خطة واسعة شاملة صادقة دائبة فاعلة موجهة توجيهاً سليماً لإيجاد عقل إسلامى فاهم واعٍ مدرك تمام الإدراك دوره والمطلوب منه نحو نفسه وأهله ومجتمعه بل العالم كله .

يقول الشيخ محمد الغزالى :

« إن العقل الإسلامى لو التزم الخط القرآنى المشغول بالملاحظة والتجارب المهتم بالتنقيب والحقائق ، الجوّاب فى آفاق الأرض والسماء لكان له شأن آخر ، ولقدّم نجدات صادقة مثمرة للمنهج العلمى الكونى الباحث فى المادة لا فيما وراءها »(١) .

(١) الطريق من هنا - الشيخ محمد الغزالى - دار البشير - القاهرة - ص ٢٩ .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام والدراسة الدقيقة الفاحصة أن هذا العقل الإسلامى الملتزم خط المنهج القرآنى العلمى قد وُجِد فى تاريخ المسلمين فى فترات ماضية ، والدليل على هذا أنه وجد علماء مثل الحسن بن الهيثم والخوارزمى وجابر بن حيان والإدريسى وغيرهم كثير ، ولكن لماذا ذهبت هذه العقول ولم يَعُدْ لها وجود فِعْلىّ فاعل فى حياة المسلمين ؟

وأعتقد أن السبب الرئيسى فى هذا أن هذا كان مجهوداً فردياً من هؤلاء العلماء كنشاط فردى غير منظم أو مخطط له ، ولم توجد مدارس علمية كتلك التى وُجدت لعلوم الكلام والتصوف والحديث ، ونحن لا نغضُّ بذلك من شأن العلماء الأكابر الذين تركوا لنا تراثاً ضخماً من هذه العلوم ، وإن كان بعض مباحث فى علم الكلام والتصوف لم يعد لها مجال فى حياة المسلمين اليوم الفكرية ، وأخشى أن أقول لم يكن لها مجال فى تلك العصور التى ظهرت فيها .

وانظر إلى ما قاله الشيخ محمد الغزالى فى عبارة هامة علينا أن نتفهمها جيداً : « أنا ممّن يرون أن ابن سينا الطبيب أذكى من ابن سينا الفيلسوف ، وقد انتفع الأوربيون بطبه خلال ثلاثة قرون ، فماذا أفدنا نحن من فلسفته ؟ تسلية ذهنية ذكية عقيمة »[١] .

إننا بحاجة لوقفة جادة صادقة واعية على كل الأصعدة والمستويات لإعادة ترتيب البيت والعقل الإسلامى ، وإعادة ترتيب الأولويات والاهتمامات ، ولن يتحقق هذا إلا بالصدق مع النفس والوضع فى الاعتبار أن المستقبل للأكثر علماً والأكثر تقدماً والأكثر تحضراً ، هذا إن أردنا لأنفسنا عزة وفلاحاً ومستقبلاً واعداً للأجيال القادمة .

---

(١) الطريق من هنا – محمد الغزالى – ص ٢٨ .

يجب أن ينظر المسلمون من الآن للمستقبل لا أن نعيش الحاضر فقط .
تلك كلمات أردت أن أجعلها توطئة وتمهيداً لهذا الكتاب عسى أن نعدل من نظرتنا ومنطلقاتنا طمعاً فى مستقبل أفضل .

والله من وراء القصد .

عادل أبو المعاطى
الجيزة : ٥ / ٣ / ١٩٩١
ص.ب : ١٦٩ المعادى
ت : ٧٣١٤٠٨
٣١٨٧٣٦٨

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترجمة الإمام الحافظ
أبى الفداء عماد الدين ابن كثير
(٧٠١ ـ ٧٧٤ هـ)

نسبه

هو : إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء(١) بن كثير بن زرع(٢) البصروى الدمشقى الشافعى . كنيته أبو الفداء ، ولقبه عماد الدين .

مولده

وُلِدَ الإمام ابن كثير بقرية صغيرة تسمى « مجدل » وأسمتها المصادر بـ « مجدل القرية » لتمييزها عن البلدة الكبيرة التى تسمى « المجيدل » وكانت بلدة من بلاد فلسطين بين الناصرة وحيفا(٣) . أما القرية التى وُلد بها ابن كثير فهى تابعة لـ « بصرى » التابعة لدمشق .

وُلد ابن كثير فى عام ٧٠١ هـ .

---

(١) وقعت فى الأعلام للزركلى (١ / ٣٢٠) : ضوّ بشدة على الواو . وما ذكرناه هو ما ذكرته جميع المصادر التى ترجمت لابن كثير .

(٢) هكذا ذكرها بالزاى النعيمى فى « الدارس » (١ / ٣٦) ، وابن العماد فى « شذرات الذهب » (٦ / ٢٣١) . وقد ضبطها البعض « درع » بالدال مثل الداودى فى « طبقات المفسرين » (١ / ١١٠) ، وابن حجر فى « إنباء الغمر » (١ / ٤٥) ، والزركلى فى « الأعلام » . وقد ذكرها بالذال « ذرع » الحسينى فى ذيل تذكرة الحفاظ (ص ٥٧) ، وقد استدرك الشيخ أحمد رافع القاسمى عليه هذا فى « التنبيه والإيقاظ » وصوب ما ذكرناه .

(٣) انظر « التنبيه والإيقاظ » للشيخ أحمد رافع (ص ٢٥) .

• نشأته وطلبه للعلم :

لقد قضى ابن كثير السبع السنين الأولى من حياته فى القرية التى وُلد بها « مجدل » ، ولا نستطيع أن نقول أنه قد تأثر بوالده شهاب الدين أبى حفص عمر بن كثير خطيب مسجد القرية ، لأن أباه مات وهو يكاد يتم الأربعة السنين من عمره ، فقد مات فى عام ٧٠٣ هـ .

وعندما أتمَّ السنة السابعة من عمره انتقل هو وأخ له إلى دمشق والتى كانت مدينة من مدن العلم التى كانت تزخر بها بلاد الإسلام فى ذلك الوقت ، وقد كان انتقاله هذا فى عام ٧٠٦ هـ .

وفى دمشق بدأت رحلته مع تلقى العلم أخذاً عن العلماء وحفظاً وفهماً ومناضلة عما يعتقد ويذهب إليه من الآراء والاجتهادات ، ثم تدريساً .

وقد سمع ابن كثير الكثير وأقبل على حفظ المتون ومعرفة الأسانيد والعلل والرجال والتاريخ حتى برع فى ذلك وهو شاب ، بل إنه قد صنف فى صغره . وقد أفتى ودرَّس وناظر وبرع فى الفقه والتفسير والنحو .

وقد ولى ابن كثير مشيخة مدرسة أم الصالح بعد وفاة الإمام شمس الدين الذهبى عام ٧٤٨ هـ ، وولى أيضاً مشيخة دار الحديث الأشرفية مدة يسيرة ثم أُخِذتْ منه .

• أقوال العلماء فيه :

– قال عنه شيخه الإمام الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) وقد سمعا معاً من شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المزى :

« الإمام الفقيه المحدث الأوحد البارع ، فقيه متفنن ومحدث متقن ومفسر نقاد ، وله تصانيف مفيدة ، يدرى الفقه ويفهم العربية والأصول ويحفظ جملة صالحة من المتون والتفسير والرجال وأحوالهم ، سمع منى وله حفظ ومعرفة »[1] .

---

(١) المعجم المختص بالمحدثين – الذهبى – تحقيق د . محمد الحبيب الهيلة – مكتبة الصديق – الطائف – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ م .

– وقال عنه تلميذه شهاب الدين بن حجى (ت ٧٨٢ هـ) :

« كان أحفظ من أدركناه لمتون الأحاديث ، وأعرفهم بتخريجها ورجالها وصحيحها وسقيمها ، وكان أقرانه وشيوخه يعترفون له بذلك ، وكان يستحضر شيئاً كثيراً من الفقه والتاريخ ، قليل النسيان ، وكان فقيهاً جيد الفهم ، صحيح الذهن ، ويحفظ التنبيه إلى آخر وقت ، ويشارك فى العربية مشاركة جيدة ، وينظم الشعر ، وما أعرف أنى اجتمعت به على كثرة ترددى إليه إلا واستفدت منه »[1] .

– وقال عنه العينى (ت ٨٥٥ هـ)[2] :

« كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعانى والألفاظ ، وسمع وجمع وصنَّف ودرَّس وحدَّث وألَّف ، وكان له اطلاع عظيم فى الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير ، وله مصنفات عديدة مفيدة »[3] .

– وقال عنه ابن حبيب (ت ٧٧٩ هـ)[4] :

« إمام روىّ التسبيح والتهليل ، وزعيم أرباب التأويل ، سمع وجمع وصنَّف وأطرب الأسماع بالفتوى ، وشنف وحدث وأفاد وطارت أوراق فتاويه إلى البلاد ، واشتهر بالضبط والتحرير ، وانتهت إليه رياسة العلم فى التاريخ والحديث والتفسير »[5] .

---

(١) طبقات المفسرين – الداودى (ت ٩٤٥ هـ) – تحقيق على محمد عمر – مكتبة وهبة – القاهرة . والدارس فى تاريخ المدارس للنعيمى – مطبعة الترقى دمشق ١٩٤٨ .

(٢) هو بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى الحنفى ، مؤرخ من كبار المحدثين ، أصله من حلب ، ولى حسبة القاهرة ، وتوفى بالقاهرة عن ٩٣ عاماً ، له تصانيف كثيرة جداً .

(٣) النجوم الزاهرة – ابن تغرى بردى – مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠ م – (١١ / ١٢٣) .

(٤) هو الحسن بن عمر أبو محمد بدر الدين الحلبى ، مؤرخ ، ولد فى دمشق ٧١٠ هـ ورحل إلى الحجاز ومصر وبلاد الشام ثم استقر بحلب . له « درة الأسلاك فى دولة الأتراك » ، « نسيم الصبا » .

(٥) انظر : شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى (٦ / ٢٣١) ، وإنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلانى (١ / ٤٦) .

– قال عنه ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) :

« كان كثير الاستحضار حسن المفاكهة ، سارت تصانيفه فى البلاد فى حياته وانتفع بها الناس بعد وفاته ، ولم يكن على طريق المحدثين فى تحصيل العوالى وتمييز العالى من النازل ونحو ذلك من فنونهم ، وإنما هو من محدثى الفقهاء »[١] .

● **شيوخه :**

لقد أخذ ابن كثير العلم عن شيوخ كثيرين ، كان كل منهم يمثل ركناً هاماً وجانباً رئيسياً من جوانب شخصية ابن كثير العلمية ، فأخذ عن كل شيخ منهم علماً ما ، واجتمع كل هذا فى ابن كثير الذى تعددت علومه ومعارفه ، فهو الفقيه المحدث المفسر المؤرخ الناظم . وسنحاول أن نعطى لمحة عن بعض شيوخه وسنركز على أهمهم الذين تركوا أثراً كبيراً فيه .

١ – أبو الحجاج المزى (٦٥٤ – ٧٤٢ هـ) :

هو أبو الحجاج جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف المزى ، نسبته إلى المزة (من ضواحى دمشق) ، وقد كان محدث الديار الشامية فى عصره ، وكان عالماً بالرجال وبالحديث ، والعلماء بعده عيال على مصنفاته وعلمه وكتبه ، وله « تهذيب الكمال فى أسماء الرجال » ، « تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف » ، « المنتقى من الأحاديث » .

٢ – الإمام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ) :

وهو أشهر من أن يُعرَّف به ، فهو شيخ الإسلام الذى كان حرباً على المبتدعة بجميع فرقهم ، وكان مجاهداً فى ساحة القتال ، كان يحمل قلمه فى السلم وسيفه فى حرب الأعداء ، كان عالماً مدققاً قد خبر الفلسفات والمذاهب الداخلة فى إطار الإسلام والخارجة عنه ، وعلى يديه تخرج الكثير والكثير من علماء السلف ، لاقى المحن تلو المحن ورغم هذا لم يهتز قلمه ولم يُكسر سيفه .

(١) انظر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة – ابن حجر العسقلانى (١ / ٣٩٩) .

٣ - الحافظ شمس الدين الذهبي (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الذهبي ، من أهل ميافارقين ، مولده ووفاته في دمشق ، سمع من علمائها وطاف البلاد طلباً للعلم وتحصيله ، وَلِيَ الذهبي مشيخة دار الحديث السكرية بدمشق بعد وفاة ابن تيمية ، ووَلِيَ مشيخة الظاهرية قديماً ومشيخة النفيسية والفاضلية وأم الصالح . له مصنفات كثيرة في فروع عدة من العلم : التاريخ - علم رجال الحديث - علم الحديث - الفقه وغيره من فروع العلم ، وقد حققت له كتاب « الطب النبوي » وأثبت نسبته إليه .

● **مصنفاته وكتبه :**

١ - تفسير القرآن العظيم : وهو تفسير مشهور طبع كثيراً يعتمد فيه على النقول من النصوص من الكتاب والسنة ثم أقوال الصحابة وآثارهم ، وقد يعمد إلى ذكر بعض الإسرائيليات التي ينبه عليها .

٢ - البداية والنهاية : وهو كتاب كبير في التاريخ منذ بداية الخليقة إلى ما قبل وفاته ، وهو مرتب على السنوات ، وقد كتب حوادث إلى قبيل وفاته بسنتين . وهو أيضاً مطبوع مشهور .

٣ - جامع المسانيد : وهو كتاب كبير جمع فيه أحاديث الكتب العشرة : صحيح البخاري - صحيح مسلم - سنن أبي داود - سنن الترمذي - سنن ابن ماجه - سنن النسائي - مسند أحمد - مسند أبي يعلى الموصلي - مسند البزار - مصنف ابن أبي شيبة . وفي بعض المصادر[١] سمي « الهدى والسنن في أحاديث المسانيد والسنن » .

٤ - اختصار علوم الحديث : اختصر فيه كتاب علوم الحديث لأبي عمرو بن الصلاح ، وأضاف إليه بعض الفوائد في أصول علم الحديث من كتاب « المدخل إلى كتاب السنن » للحافظ البيهقي . وقد شرحه الشيخ أحمد شاكر وأسماه « الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث » . وهو مطبوع بدار التراث بالقاهرة .

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ - الحسيني (ص ٥٧ ، ٥٨) .

٥ - الاجتهاد فى طلب الجهاد : وهى رسالة صغيرة كتبها للأمير منجك لما حاصر الفرنج قلعة إياس . وقد طبعت بمطبعة أبى الهول بالقاهرة عام ١٩٢٨ م . وهى محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رمز وأرقام (تاريخ ٣٢٦١ ، ٣٢٧٤) .

٦ - التكميل فى معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل : وهو فى رجال الحديث ، اختصر فيه تهذيب الكمال .

٧ - الواضح النفيس فى مناقب الإمام محمد بن إدريس : وهو فى مناقب الشافعى .

٨ - شرح الجامع الصحيح البخارى : شرح منه قطعة من أوله ولم يكمله .

٩ - طبقات الفقهاء الشافعيين منه نسخة مخطوطة فى شستربتى (٣٣٩٠) كتبت فى حياة ابن كثير عام ٧٤٩ هـ .

١٠ - الكواكب الدرارى : وهو كتاب فى التاريخ انتخبه من البداية والنهاية .

● **وفاته :**

توفى الإمام ابن كثير فى يوم الخميس ٢٦ من شعبان عام ٧٧٤ هـ ، حيث دفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية ، وكان ابن كثير قد عمى فى أواخر حياته .

* * *

منهج التحقيق والنسخ التى اعتمدت عليها

أولاً : النسخ التى اعتمدنا عليها

١ - نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية رمزنا لها بالرمز (د) وهى موجودة بدار الكتب المصرية تحت رمز ورقم (تاريخ ١١١٠) ومصورة على الميكروفيلم رقم (٣٥٠٨٠) وهى نسخة مستنسخة من نسخة أخرى ، جاء هذا فى الصفحة الأخيرة من الجزء الأول من المخطوط :

وقد استنسخ فى محل الفطوغراف شهبال قبالة الباب العالى . .

وعلى الصفحة الأولى : « الجزء الأول من البداية والنهاية تأليف الشيخ الإمام العمدة الهمام العالم العامل الولى الواصل الفقيه المتقن المفسر المفنن الحجة الثبت الحافظ المفيد البارع عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى تغمده الله برحمته ورضوانه وأسكنه أعلى غرف جنانه ونفعنا والمسلمين بركاته بمحمد وآله آمين والحمد لله رب العالمين » .

٢ - النسخة الأخرى نسخة مطبوعة وهى المطبوعة بدار الفكر العربى وهى نسخة مليئة بتصحيفات وتحريفات كثيرة .

ثانياً : منهج التحقيق

١ - قمت بمضاهاة النسختين التى اعتمدت عليهما ، وإثبات الاختلافات بينهما للوصول إلى نسخة تامة صحيحة كاملة لهذا الجزء الذى اجتزأناه من الجزء الأول من البداية والنهاية .

٢ – وقد عملت على تصحيح التصحيفات والتحريفات فى الألفاظ وأسماء الرواة ، وهذا قد اقتضى مراجعة كثير من المعاجم اللغوية ومصادر الحديث النبوى .

٣ – تخريج الأحاديث الواردة فى الكتاب وذلك بالرجوع لكتب الحديث ومصادره ومراجعه من كتب الصحاح والسنن والمسانيد والوقوف على أقوال العلماء فى صحة الحديث أو ضعفه .

٤ – عرَّفت بالأعلام المذكورين فى الكتاب وخاصة الأسماء الغير معروفة لأكثر القراء وأيضاً المتخصصين ، ولا سيما الأسماء التى وقع بها التحريف فى ضبطها .

٥ – توضيح المعانى اللغوية للكلمات الغامضة التى قد تغمض على القراء ، خاصة فى الغربة التى نعيشها مع لغتنا ، وتوضيح هذه المعانى أمر هام جداً لفهم تراثنا الإسلامى .

٦ – بذلت جهداً كبيراً فى التعريف بالأماكن والمواضع الجغرافية والبلدان والقرى والأنهار وذلك بالتنقيب فى المراجع والمصادر الخاصة بالبلدان والتقويمات والمعاجم الجغرافية .

* * *

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بداية خلق الكون

السموات، والأرض، النجوم، الكواكب، الجبال، البحار
الأنهار، الملائكة، الجن، الإنس - آدم عليه السلام

الإمام الحافظ
أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي
"٧٠١-٧٧٤هـ"

تحقيق
عادل أبو المعاطي

دار البشير
القاهرة



بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتي ورجائي .

الحمد لله الأول الآخر ، الباطن الظاهر ، الذى هو بكل شيء عليم ، الأول فليس قبله شيء ، الآخر فليس بعده شيء ، الظاهر فليس فوقه شيء ، الباطن فليس دونه شيء ، الأزلى القديم الذى لم يزل موجوداً بصفات الكمال ، ولا يزال دائماً مستمراً باقياً سرمدياً بلا انقضاء ولا انفصال ولا زوال .

يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء ، وعدد الرمال ، وهو العلى الكبير المتعال ، العلى العظيم الذى خلق كل شيء فقدره تقديراً .

ورفع السماوات بغير عَمَدٍ ، وزيَّنها بالكواكب الزاهرات ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وسوَّى فوقهن سريراً شَرْجَعاً[1] عالياً منيفاً[2] متسعاً مقبياً[3] مستديراً ، هو العرش العظيم ، له قوائم عظام ، تحمله الملائكة الكرام ، وتَحفُّه الكروبيون[4] عليهم الصلاة والسلام ، ولهم زجل[5] بالتقديس والتعظيم ، وكذا أرجاء السماوات مشحونة بالملائكة ، ويَفِدُ منهم فى كل يوم سبعون ألفاً إلى البيت المعمور بالسماء السابعة[6] لا يعودون إليه ، آخر ما عليهم فى تهليل وتحميد وتكبير وصلاة وتسليم .

---

(١) الشرجع : السرير الطويل لا نهاية لنواحيه .

(٢) المنيف : العالى المرتفع .

(٣) أى مبنى كالقبة .

(٤) الكرب : القرب . والملائكة الكروبيون : أقرب الملائكة إلى حملة العرش ، وهم سادة الملائكة كجبريل وإسرافيل وميكائيل ، وهم المقربون .

(٥) الزجل : رفع الصوت ، فلهم صوت رفيع عالٍ بالتسبيح .

(٦) فى د ، ط : الرابعة . والصواب ما ذكرناه هنا انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٢٣٩) .

ووضع الأرض للأنام على تيار الماء ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها فى أربعة أيام قبل خلق السماء ، وأنبت فيها من كُلٍّ زوجين اثنين ، دلالة للألباء[1] من جميع ما يحتاج العباد إليه فى شتائهم وصيفهم ، ولكل ما يحتاجون إليه ويملكونه من حيوان بهيم .

وبدأ خَلْق الإنسان من طين ، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين فى قرار مكين ، فجعله سميعاً بصيراً بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً ، وشرَّفه بالعلم والتعليم ، خلق بيده الكريمة آدم أبا البشر ، وصوَّر جثته ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته ، وخلق منه زَوْجه حواء أم البشر فآنس[2] بها وحدته ، وأسكنهما جنته ، وأسبغ عليهما نعمته .

ثم أهبطهما إلى الأرض لما سبق فى ذلك من حكمة الحكيم ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، وقسمهم بقدره العظيم ملوكاً ورعاة ، وفقراء وأغنياء ، وأحراراً وعبيداً ، وحرائر وإماء . وأسكنهم أرجاء[3] الأرض ، طولها والعرض ، وجعلهم خلائف فيها يخلف البعض منهم البعض إلى يوم الحساب والعرض على العليم الحكيم .

وسخر لهم الأنهار من سائر الأقطار ، تشق الأقاليم إلى الأمصار ، ما بين صغار وكبار ، على مقدار الحاجات والأوطار[4] ، وأنبع لهم العيون والآبار ، وأرسل عليهم السحائب بالأمطار ، فأنبت لهم سائر صنوف الزرع والثمار ، وآتاهم من كل ما سألوه بلسان حالهم وقالهم :

﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (سورة إبراهيم : ٣٤)

---

(١) فى د : للأولياء .

(٢) فى د ، ط : فأنّس .

(٣) ناقصة فى : د .

(٤) الأوطار : جمع وطر ، وهى كل حاجة كان لصاحبها فيها همة . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنها وَطَراً ﴾ (سورة الأحزاب : ٣٧) .

فسبحان الكريم العظيم الحليم ، وكان من أعظم نعمه عليهم وإحسانه إليهم بعد أن خلقهم ورزقهم ويسَّر لهم[1] السبيل وأنطقهم ، أن أرسل رسله إليهم وأنزل كتبه عليهم ، مُبيِّنة حلاله وحرامه ، وأخباره وأحكامه ، وتفصيل كل شيء فى المبدأ والمعاد إلى يوم القيامة .

فالسعيد مَنْ قابل الأخبار بالتصديق والتسليم ، والأوامر بالانقياد ، والنواهى بالتعظيم ، ففاز بالنعيم المقيم ، وزُحْزِحَ عن مقام المكذبين فى الجحيم ذات الزقوم والحميم والعذاب الأليم .

أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، يملأ أرجاء السماوات والأرضين ، دائماً أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى يوم الدين ، فى كل ساعة وآنٍ[2] ووقت وحين ، كما ينبغى لجلاله العظيم ، وسلطانه القديم ووجهه الكريم .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا ولد له ، ولا والد له ، ولا صاحبة له ، ولا نظير ولا وزير له ، ولا مشير له ، ولا عديد[3] ولا نديد[4] ولا قسيم .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وحبيبه وخليله ، المصطفى من خلاصة العرب العَرْباء[5] من الصميم ، خاتم الأنبياء ، وصاحب الحوض الأكبر الرَّوَاء[6] ، صاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة ، وحامل اللواء ، الذى يبعثه الله المقام المحمود الذى يرغب

---

(١) فى د : ويسرهم .

(٢) فى د : وأوان ، وهما بمعنى واحد .

(٣) العديد : النظير والمثيل ، والجمع : الأعداد والعدائد .

(٤) النديد : المثل والنظير ، والجمع : أنداد .

(٥) العرب العاربة والعَرْباء : هم العرب الصرحاء الخُلَّص .

(٦) الحوض الرَّواء (بفتح الراء) : الماء الكثير ، وقيل : العذب الذى فيه للشاربين رِيٌّ وذهاب الظمأ .

إليه فيه الخلق كلهم حتى الخليل إبراهيم صلى الله عليه وعلى [سائر إخوانه][1] من النبيين والمرسلين ، وسلم وشرف وكرم أزكى صلاة وتسليم ، وأعلى تشريف وتكريم .

ورضى الله عن جميع أصحابه الغُرِّ[2] الكرام ، السادة النجباء[3] الأعلام ، خلاصة العالم بعد الأنبياء ، ما اختلط الظلام بالضياء ، وأعلن الداعى بالنداء ، وما نسخ النهارُ ظلامَ الليل البهيم[4] .

* * *

أما بعد ..

فهذا كتاب أذكر فيه بعون الله وحُسْن توفيقه ما ييسره[5] الله تعالى بَحَوْلِه وقوته من ذكر مبدأ المخلوقات : من خلق العرش والكرسى والسماوات والأرضين وما فيهن وما بينهن من الملائكة والجان والشياطين ، وكيفية خلق آدم عليه السلام ... وما ورد فى ذلك من الكتاب والسنة والآثار والأخبار المنقولة المقبولة عند العلماء وورثة الأنبياء ، الآخذين من مشكاة النبوة المصطفوية المحمدية على مَنْ جاء بها أفضل الصلاة والسلام .

ولسنا نذكر من الإسرائيليات إلا ما أذن الشارع فى نقله مما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وهو القسم الذى لا يُصدَّق ولا يُكذَّب ، مما فيه بسط لمختصر[6] عندنا ، أو تسمية لمبهم ورد به شرعنا مما لا فائدة فى تعيينه لنا ، فنذكره على سبيل التحلى به لا على سبيل الاحتياج إليه والاعتماد عليه . وإنما الاعتماد والاستناد على كتاب الله

---

(١) فى د : آله .

(٢) رجل أغر : كريم الأفعال واضحها . وأصل الغرة البياض فى الوجه .

(٣) النجباء : جمع نجيب وهو الفاضل الكريم السخى .

(٤) الليل البهيم : الشديد السواد .

(٥) فى ط : ما يسره .

(٦) فى د : المختصر .

وسنة رسوله[1] ﷺ ، ما صح نقله أو حسن ، وما كان فيه ضعف نُبَيِّنه ، وبالله المستعان وعليه التكلان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم العلى العظيم .

فقد قال الله تعالى فى كتابه :

﴿ كَذلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وقَدْ آتَيْناكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْراً ﴾

(سورة طه : ٩٩)

وقد قَصَّ الله على نبيه ﷺ خبر ما مضى من خلق المخلوقات ، وذكر الأمم الماضين ، وكيف فعل بأوليائه ، وماذا أحل بأعدائه ، وبيَّن ذلك رسول الله ﷺ لأمته[2] بياناً شافياً ، سنورد عند كل فصل ما وصل إلينا عنه ، صلوات الله وسلامه عليه ، من ذلك تلو الآيات الواردات فى ذلك .

فأخبرنا بما نحتاج إليه من ذلك ، وترك ما لا فائدة فيه ، مما قد يتزاحم على علمه ويتراجم[3] فى فهمه طوائف من علماء أهل الكتاب فيما لا فائدة فيه لكثير من الناس إليه .

وقد يستوعب نقله طائفة من علمائنا ، ولسنا نحذو حذوهم ولا ننحو نحوهم ، ولا نذكر منها إلا القليل على سبيل الاختصار ، ونبين ما فيه حق مما وافق ما عندنا ، مما خالفه فوقع فيه الإنكار .

فأما الحديث الذى رواه البخارى رحمه الله فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بَلِّغوا عنى ولو آية ، وحدِّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج ، وحدِّثوا عنى ولا تكذبوا علىَّ ، ومَنْ كذب علىَّ مُتعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النار »[4] ، فهو محمول على الإسرائيليات المسكوت عنها ، فليس عندنا

---

(١) فى ط : رسول الله .

(٢) فى د : لأعدائه لأمته .

(٣) فى د : يتراحم . والرجم : القول بالظن والتخمين ، ومنه قوله تعالى : ﴿ رَجْماً بِالْغَيْبِ ﴾ .

(٤) أخرجه البخارى (٦ / ٤٩٦) ، وأحمد (٢ / ١٥٩ ، ٢٠٢ ، ٢١٤) ، =

ما يصدقها ولا ما يكذبها ، فيجوز روايتها للاعتبار ، وهذا هو الذى نستعمله فى كتابنا هذا ، فأما ما شهد له شرعنا بالصدق فلا حاجة بنا إليه استغناء بما عندنا ، وما شهد له شرعنا منها[1] بالبطلان ، فذاك مردود لا يجوز حكايته إلا على سبيل الإنكار والإبطال .

فإذا كان الله سبحانه وله الحمد قد أغنانا برسولنا محمد ﷺ عن سائر[2] الشرائع ، وبكتابه عن سائر الكتب ، فلسنا نترامى على ما بأيديهم مما وقع فيه خبط وخلط[3] ، وكذب ووضع ، وتحريف وتبديل ، وبعد ذلك كله نسخ وتغيير .

فالمحتاج إليه قد بيَّنه لنا رسولنا ، وشرحه وأوضحه ، عرفه مَنْ عرفه ، وجهله مَنْ جهله ، كما قال على بن أبى طالب : « كتاب الله فيه خبر ما قبلكم ونبأ ما بعدكم وحُكْم ما بينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل ، مَنْ تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله »[4] .

وقال أبو ذر - رضى الله عنه - : « لقد توفى رسول الله ﷺ ، وما طائر يطير بجناحيه إلا أذكرنا منه علماً »[5] .

وقال البخارى فى كتاب بدء الخلق : وروى[6] عيسى بن موسى غنجار عن رقبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : قام فينا

= والترمذى (٥ / ٤٠) وقال : حسن صحيح . والطبرانى فى المعجم الصغير (١ / ١٦٦) عن عبد الله بن عمرو وليس عمرو بن العاص كما ذكر فى د ، ط .

(١) فى د : منه .

(٢) فى د : بسائر .

(٣) فى د : وغلط .

(٤) أخرجه الدارمى (٢ / ٣١٢) والترمذى (٥ / ١٧٢) وأحمد (١ / ٩١) . قال الترمذى : هذا الحديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مجهول وفى الحارث مقال .

(٥) أخرجه أحمد (٥ / ١٥٣ ، ١٦٢) من طريق الأعمش ، وعزاه ابن كثير فى تفسيره (٢ / ٤٠٤) للطبرانى من طريق آخر عن أبى ذر .

(٦) فى ط : وروى عن .

رسول الله ﷺ مقاماً ، فأخبرنا عن بدء الخلق ، حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم ، حفظ ذلك من حفظه ، ونسيه من نسيه »[١] .

قال أبو مسعود الدمشقى[٢] فى أطرافه : هكذا قال البخارى ، وإنما رواه عيسى غنجار عن أبى حمزة عن رقبة .

وقال الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله – فى مسنده : حدثنا أبو عاصم . ثنا عزرة[٣] بن ثابت . ثنا علباء بن أحمر اليشكرى[٤] . ثنا أبو زيد الأنصارى قال[٥] : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، ثم نزل فصلى الظهر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى العصر ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غابت الشمس ، فحدثنا بما كان ، وما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا »[٦] .

انفرد بإخراجه مسلم ، فرواه فى كتاب الفتن من صحيحه عن يعقوب بن إبراهيم الدورق وحجاج بن الشاعر ، جميعاً[٧] عن أبى عاصم الضحاك بن مخلد النبيل عن

---

(١) أخرجه البخارى (٦ / ٢٨٦) ، وعزاه المتقى الهندى فى منتخب الكنز (٢ / ٤٤٩) للبخارى والدارقطنى فى الأفراد عن عمر ، قال ابن حجر فى الفتح (٦ / ٢٩٠) : « وصل الحديث المذكور من طريق عيسى المذكور عن أبى حمزة وهو محمد بن ميمون السكرى عن رقبة الطبرانى فى مسند رقبة المذكور ... ولم ينفرد به عيسى فقد أخرجه أبو نعيم من طريق على بن الحسن بن شقيق عن أبى حمزة نحوه ، لكن بإسناد ضعيف » .

(٢) هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقى الحافظ ، كان صدوقاً ديِّناً ورعاً ، توفى ١٤١ هـ ، كان له عناية بالصحيحين ، له كتاب الأطراف . تذكرة الحفاظ (٣ / ١٠٦٨) .

(٣) فى د : عروة .

(٤) فى د : علياء بن أحمد اليشكر .

(٥) فى ط : قال قال .

(٦) أخرجه أحمد (٥ / ٣٤١) ، ومسلم (٤ / ٢٢١٧) .

(٧) فى د : كلاهما .

[عزرة عن علباء][1] عن أبي زيد عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ بنحوه .

* * *

(١) في د : عروة بن علياء .

الله خالق كل شئ

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : ﴿ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شىءٍ وهو على كُلِّ شىءٍ وَكيلٌ ﴾ (سورة الزمر : ٦٢)

فكل ما سواه تعالى فهو مخلوق له ، مربوب مُدبَّر ، مُكَوَّن بعد أَنْ لم يكن ، محدث بعد عدمه ، فالعرش الذى هو سقف المخلوقات إلى ما تحت الثرى ، وما بين ذلك من جامد وناطق ، الجميع خَلْقه ، وملكه وعبيده ، وتحت قهره وقدرته ، وتحت تصريفه ومشيئته .

﴿ هُو الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ فى سِتَّة أَيَّامٍ[1] ثمَّ اسْتوَى علَى العَرْشِ يَعْلَمُ ما يَلِجُ فى الأرضِ وما يَخْرُجُ منها وما يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ وما يَعْرُجُ فيها وهو مَعكُم أيْنما كُنْتُم ، واللهُ بما تَعْملُونَ بَصيرٌ ﴾ (سورة الحديد : ٤)

وقد أجمع العلماء قاطبة – لا يشك فى ذلك مسلم – أن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام كما دل عليه القرآن العظيم[2] ، واختلفوا فى هذه الأيام أهى كأيامنا هذه ؟ أو كل يوم كألف سنة مما تعدون ؟ على قولين كما بينا ذلك فى التفسير[3] ، وسنتعرض لإيراده فى موضعه .

---

(١) وقع خطأ وخبط فى هذه الآية فى الأصول فجاءت هكذا : (خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام) .

(٢) فى ط : الكريم .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٢ / ٢٢٠) فى تفسير سورة الأعراف آية (٥٤) .

واختلفوا هل كان قبل تخلْق[1] السماوات والأرض شيء مخلوق قبلهما .. فذهب طوائف من المتكلمين إلى أنه لم يكن قبلهما شيء ، وأنهما خلقتا من العدم المحض ، وقال آخرون : بل كان قبل السموات والأرض مخلوقات أخر لقوله تعالى : ﴿ وهُو الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ فى سِتَّةِ أيَّامٍ وكانَ عَرْشُه على المَاءِ ﴾ الآية(سورة هود : ٧)

وفى حديث عمران بن حصين كما سيأتى : « كان الله ولم يكن قبله شيء ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شيء ، ثم خلق السماوات والأرض »[2] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا بهز . حدثنا حماد بن سلمة . حدثنا يعلى[3] بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمه أبى رزين لقيط بن عامر العقيلى أنه قال : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السماوات والأرض ؟ قال : « كان فى عماء[4] ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء »[5] .

ورواه عن يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة به ، ولفظه : « أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ » وباقيه سواء .

وأخرجه الترمذى عن أحمد بن منيع ، وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة ومحمد بن الصباح ، ثلاثتهم عن يزيد بن هارون ، وقال الترمذى : حسن .

---

(١) ناقصة فى : د .

(٢) حديث عمران بن حصين سيأتى تخريجه فى موضعه .

(٣) فى ط : أبو يعلى . وهو خطأ .

(٤) العماء : الغيم الكثيف ، وهو فى كلام العرب السحاب ، ولا ندرى كيف كان ذلك العماء .
وقد نقل الترمذى عن شيخه أحمد بن منيع أن يزيد بن هارون قال : العماء أى ليس معه شيء .

(٥) أخرجه أحمد (٤ / ١٢) من طريق بهز ، (٤ / ١١) ، والترمذى (٥ / ٢٨٨) ، وابن ماجه (١ / ٦٤) من طريق يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة ، وأخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (١ / ٢٧١) من طريق حجاج بن منهال عن حماد . قال الألبانى : « إسناده ضعيف ، وكيع بن حدس مجهول لم يَرْوِ عنه غير يعلى بن عطاء ولا وثّقه غير ابن حبان » .

واختلف هؤلاء فى أيّها خُلِق أولاً ؟ فقال قائلون : خلق القلم قبل هذه الأشياء كلها ، وهذا هو اختيار ابن جرير وابن الجوزى وغيرهما . قال ابن جرير : وبعد القلم السحاب الرقيق .

واحتجوا بالحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن عبادة بن الصامت – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له : اكتب . فجرى فى تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة »[1] لفظ أحمد . وقال الترمذى : حسن صحيح غريب .

والذى عليه الجمهور فيما نقله الحافظ أبو العلاء الهمذانى[2] وغيره أن العرش مخلوق قبل ذلك ، وهذا هو الذى رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس ، كما دلَّ على ذلك الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه حيث قال : حدثنى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح . حدثنا ابن وهب . أخبرنى أبو هانىء الخولانى عن أبى عبد الرحمن الحبلى[3] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة . قال : وعرشه على الماء »[4] .

قالوا : فهذا التقدير هو كتابته بالقلم المقادير .

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ٣١٧) ، وأبو داود (٤ / ٢٢٥) ، والترمذى (٤ / ٤٥٧) (٥ / ٤٢٤) بإسناد واحد . وقال فى الموضع الأول : حديث غريب من هذا الوجه . وفى الثانى : حسن غريب . وقد ذكر ابن كثير هنا أن الترمذى قال : حسن صحيح غريب . فلعلها نسخة لم تصلنا لسنن الترمذى .

(٢) هو : شيخ الإسلام الحسن بن أحمد بن الحسن العطار شيخ همذان ، مولده عام ٤٨٨ هـ ، كان مقرئاً حافظاً متقناً إماماً فى علوم كثيرة تقياً ورعاً ، توفى عام ٥٦٩ هـ عن ٨١ عاماً (تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٢٤ – ١٣٢٧) .

(٣) فى ط : الجيلى . وهو خطأ .

(٤) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٤٤) ، وأحمد (٢ / ١٦٩) ، والترمذى (٤ / ٤٥٨) وقال : حسن صحيح غريب .

وقد دَلَّ هذا الحديث أن ذلك بعد خلق العرش ، فثبت تقديم العرش على القلم الذى كتب به المقادير كما ذهب إلى ذلك الجماهير .

ويُحمل حديث القلم على أنه أول المخلوقات من هذا العالم ، ويؤيد هذا ما رواه البخارى عن عمران بن حصين قال : قال أهل اليمن لرسول الله ﷺ : جئناك لنتفقه فى الدين ولنسألك عن أول هذا الأمر . فقال : « كان الله ولم يكن شىء قبله » . وفى رواية : « معه » . وفى رواية غيره : « وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شىء وخلق السماوات والأرض » . وفى لفظ « ثم خلق السماوات والأرض »(١) .

فسألوه عن ابتداء خلق السماوات والأرض ، ولهذا قالوا : جئناك نسألك عن أول هذا الأمر . فأجابهم عما سألوا فقط ، ولهذا لم يخبرهم بخلق العرش كما أخبر به فى حديث أبى رزين المتقدم .

قال ابن جرير وقال آخرون : بل خلق الله الماء قبل العرش . رواه السدى عن أبى مالك ، وعن أبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : « إن الله كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء » .

وحكى ابن جرير عن محمد بن إسحاق أنه قال : « أول ما خلق الله النور والظلمة ، ثم ميَّز بينهما ، فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلماً ، وجعل النور نهاراً مضيئاً مبصراً » .

قال ابن جرير : وقد قيل : إن الذى خلق ربنا بعد القلم الكرسى ، ثم خلق بعد الكرسى العرش ، ثم [خلق بعد ذلك](٢) الهواء والظلمة ، ثم خلق الماء فوضع عرشه على الماء . [والله سبحانه وتعالى أعلم](٣) .

---

(١) حديث عمران أخرجه البخارى (٦ / ٢٨٦) (١٣ / ٤٠٣) ، وأحمد (٤ / ٤٣١) .

(٢) فى د : بعد ذلك خلق .

(٣) ناقص فى : د .

صفة خلق العرش والكرسى

قال الله تعالى : ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجاتِ ذُو الْعَرْشِ ﴾ (سورة غافر : ١٥)

وقال تعالى : ﴿ فَتعالَى اللهُ المَلِكُ الحقُّ لا إلَه إلَّا هُو رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ﴾ . (سورة المؤمنون : ١١٦)

وقال : ﴿ اللهُ لا إلَه إلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ ﴾ (سورة النمل : ٢٦)

وقال : ﴿ وهُوَ الغفورُ الوَدودُ ذو العَرْشِ المجيدِ ﴾ (سورة البروج : ١٤ ، ١٥)

وقال تعالى : ﴿ الرَّحمَنُ على العَرْشِ استَوى ﴾ (سورة طه : ٥)

وقال : ﴿ ثُمَّ استَوىَ علَى العَرْشِ ﴾ فى غير ما آية من القرآن .

وقال تعالى : ﴿ الَّذينَ يَحملُونَ العَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهم ويُؤمنُونَ بهِ ويَستغفِرُونَ للَّذِينَ آمنُوا رَبَّنا وَسِعْتَ كُلَّ شيءٍ رَحْمةً وعِلْماً ﴾ (سورة غافر : ٧)

وقال تعالى : ﴿ ويَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيةٌ ﴾ (سورة الحاقة : ١٧)

وقال تعالى : ﴿ وتَرىَ المَلائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ العَرْشِ يُسبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهم وقُضِيَ بَيْنَهُم بِالحقِّ وقِيلَ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ ﴾ (سورة الزمر : ٧٥)

* * *

وفى الدعاء المروى فى الصحيح فى دعاء الكرب « لا إله إلا الله [العظيم الحليم][١] ، لا إله إلا الله رب العرش الكريم ، [لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض رب العرش الكريم][٢] »[٣] .

---

(١) فى د : الحليم العظيم .

(٢) ما بين المعقوفين ناقص فى : د .

(٣) أخرجه البخارى (١١ / ١٤٥) ، ومسلم (٤ / ٢٠٩٢) ، وأحمد (١ / ٢٢٨) ، والترمذى (٥ / ١٩٥) ، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٨) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق . حدثنا يحيى بن العلاء عن عمه شعيب بن خالد . حدثني سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة عن الأحنف بن قيس[١] عن عباس بن عبد المطلب قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ بالبطحاء ، فمرت سحابة فقال رسول الله ﷺ : أتدرون ما هذا ؟ قال : قلنا : السحاب . قال : والمزن . قلنا : والمزن . قال : والعنان[٢] . قال : فسكتنا . فقال : هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قال : قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة[٣] خمسمائة سنة ، كثف[٤] كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال[٥] بين رُكَبهنَّ وأظلافهن كما بين السماء والأرض ، ثم [فوق ذلك][٦] العرش بين[٧] أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله فوق ذلك ، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء »[٨] .

---

(١) سقط اسم (الأحنف بن قيس) من إسناد أحمد في النسخة المطبوعة المتداولة .

(٢) العنان : السحاب الذي يمسك الماء ، وتعترض وتلوح في الأفق .

(٣) ناقصة في : د .

(٤) في د : كشف . وما أثبتناه هنا هو الصواب . كثف الشيء : سمكه . وهو الثخين الغليظ .

(٥) الأوعال والوعول : الأشراف والرؤوس يُشَبَّهون بالأوعال التي لا تُرى إلا في رؤوس الجبال .

(٦) في ط : على ظهورهم . وما أثبتناه موافق للفظ أحمد والنسخة (د) .

(٧) ناقص في : د .

(٨) أخرجه أحمد (١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) ، وأبو داود (٤ / ٢٣١) ، والترمذي (٥ / ٤٢٤) وقال : حسن غريب . وابن ماجه (١ / ٦٩) . وأخرجه أيضاً ابن أبي عاصم في « السنة » (١ / ٢٥٣) كلهم من طريق سماك بن حرب عن عبد الله بن عميرة . وقد ضعّف الألباني إسناد الحديث لأجل عبد الله بن عميرة وقال : « قال الذهبي : فيه جهالة ، قال البخاري : لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس » . وفي إسناد أحمد « يحيى بن العلاء الرازي » . قال ابن حبان في « المجروحين » (٣ / ١١٦) : « كان ممن ينفرد =

هذا لفظ الإمام أحمد . ورواه أبو داود وابن ماجه والترمذى من حديث سماك بإسناده نحوه . وقال الترمذى : هذا حديث حسن . وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك ووقفه .

ولفظ أبى داود : « وهل تدرون بُعْدَ ما بين السماء والأرض ؟ قالوا : لا ندرى . قال : بُعْد ما بينهما إما واحدة أو اثنتين أو ثلاثة وسبعون سنة » والباقى نحوه .

وقال أبو داود : حدثنا عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن المثنى ومحمد بن بشار وأحمد ابن سعيد الرباطى . قالوا : حدثنا وهب بن جرير – قال أحمد : كتبناه من نسخته وهذا لفظه – قال : حدثنا أبى . قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن يعقوب بن عتبة[1] عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال : أتى رسولَ الله ﷺ أعرابىٌّ فقال : يا رسول الله جهدت الأنفس وجاعت العيال[2] ونهكت[3] الأموال وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على[4] الله ، ونستشفع بالله عليك . فقال رسول الله ﷺ : « ويحك أتدرى ما تقول ؟ وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عُرِفَ ذلك فى وجوه أصحابه ، ثم قال : « ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد [من خلقه][5] ، شأن الله أعظم من ذلك ، ويحك أتدرى ما الله ؟

= عن الثقات بالأشياء المقلوبات ، لا يجوز الاحتجاج به ، كان وكيع شديد الحمل عليه » . وقال ابن معين : ليس بشىء . وقال أبو زرعة : فى حديثه ضعف . وقال أبو حاتم الرازى : ليس بالقوى . انظر الجرح والتعديل (٩ / ١٧٩ ، ١٨٠) والضعفاء الكبير للعقيلى (٤ / ٤٣٧) .

(١) فى ط : عقبة .

(٢) لفظ أبى داود فى سننه : « وضاعت العيال » .

(٣) أى نقصت الأموال وهلكت .

(٤) فى د : إلى .

(٥) فى د : إن .

إن عرشه على سماواته لهكذا – وقال بأصابعه مثل القبة عليه – وإنه ليئط به أطيط الرَّحْل[1] بالراكب »[2] .

قال ابن بشار[3] فى حديثه : « إن الله فوق عرشه وعرشه فوق[4] سمواته » وساق الحديث .

وقال عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار عن يعقوب بن عتبة[5] وجبير بن محمد بن جبير عن أبيه عن جده .

[قال أبو داود][6] : والحديث بإسناد أحمد بن سعيد [هو الصحيح . وافقه عليه جماعة منهم يحيى بن معين وعلى بن المدينى ، ورواه جماعة منهم عن ابن اسحاق كما قال أحمد][7] أيضاً ، وكان سماع عبد الأعلى وابن المثنى وابن بشار من نسخة واحدة فيما بلغنى ، تفرد بإخراجها أبو داود .

وقد صنف الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقى[8] جزءاً فى الرد على هذا الحديث

---

(١) الأطيط صوت الرَّحْل والإبل من ثقل أحمالها . والمقصود أن الله سبحانه لعظمته وعلو شأنه فإن العرش يئط .

(٢) أخرجه أبو داود (٤ / ٢٣٢) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (١ / ٢٥٢) ، وقد استغرب ابن كثير هذا الحديث فى تفسيره (١ / ٣١٠) . قال الألبانى فى تخريجه لـ « السنة » لابن أبى عاصم : « إسناده ضعيف ورجاله ثقات ، لكن ابن إسحاق مدلس ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث ، وهذا ما لم يفعله فيما وقفت عليه من الطرق إليه » . وقد عزاه الألبانى أيضاً لابن خزيمة فى التوحيد والآجرى فى الشريعة .

(٣) فى د : ابن يسار .

(٤) فى د : على .

(٥) فى ط : عقبة .

(٦ ، ٧) ما بين المعقوفين فى الموضعين ساقط من : د .

(٨) هو على بن الحسن بن هبة الله محدث الشام فى عصره ، ولد ٤٩٩ هـ ، بدأ سماع العلم وهو سن ٦ سنوات باعتناء أبيه وأخيه ، له شيوخ وتلاميذ كثيرون وله مصنفات كثيرة جداً ، توفى ٥٧١ هـ . انظر ترجمة وافية له فى تذكرة الحفاظ (٤ / ١٣٢٨ – ١٣٣٣) .

سماه بـ « بيان الوهم والتخليط الواقع فى حديث الأطيط » ، واستفرغ وسعه فى الطعر على محمد بن إسحاق بن يسار راويه ، وذكر كلام الناس فيه .

ولكن قد رُوِىَ هذا اللفظ من طريق أخرى عن غير محمد بن إسحاق ، فرواه عبد بن حميد وابن جرير فى تفسيريهما ، وابن أبى عاصم والطبرانى فى كتابى السنة لهما ، والبزار فى مسنده ، والحافظ الضياء المقدسى فى مختارته من طريق أبى إسحاق السبيعى عن عبد الله بن خليفة عن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قال : « أتت امرأةٌ إلى رسول الله ﷺ فقالت : ادعُ الله أن يدخلنى الجنة . قال : فعظم الرب تبارك وتعالى وقال : « إن كرسيه وسع السماوات والأرض ، وإن له أطيطاً كأطيط الرَّحْل الجديد[1] [من ثقله][2] »[3] .

عبد الله بن خليفة هذا ليس بذاك المشهور ، وفى سماعه من عمر نظر . ثم منهم من يرويه موقوفاً ومرسلاً ، ومنهم من يزيد فيه زيادة غريبة والله أعلم .

وثبت فى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا سألتم الله الجنة فسلُوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، وفوقه عرش الرحمن »[4] .

---

(١) فى د : الحديد .

(٢) ناقص فى : د .

(٣) أخرجه ابن أبى عاصم فى « السنة » (١ / ٢٥١) ، وابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣ / ١٠) ، وقد عزاه ابن كثير فى تفسيره (١ / ٣١٠) لأبى يعلى الموصلى فى مسنده ، ولم أجده فى المسند المطبوع ، وقد وجدت أن الهيثمى فى الزوائد (١٠ / ١٥٩) عزاه له فى الكبير . قال ابن كثير : « عندى فى صحته نظر » . وقد ضعف إسناده الألبانى فى تخريجه على « السنة » (١ / ٢٥١) لأجل عبد الله بن خليفة . وقال فى سلسلته الضعيفة أن الحديث منكر .

(٤) أخرجه البخارى (٦ / ١١) (١٣ / ٤٠٤) ، وأحمد (٢ / ٣٣٥ ، ٣٣٩) ، وابن أبى عاصم فى السنة (١ / ٢٥٦) عن أبى هريرة .

يُرْوَى « وفوقه » بالفتح على الظرفية ، وبالضم . قال شيخنا الحافظ المزى[1] : وهو أحسن ، أى وأعلاها عرش الرحمن .

وقد جاء فى بعض الآثار « إن أهل الفردوس يسمعون أطيط العرش ، وهو تسبيحه وتعظيمه »[2] وما ذاك إلا لقربهم منه .

وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : « لقد اهتزَّ عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ »[3] .

وذكر الحافظ بن الحافظ محمد بن عثمان بن أبى شيبة فى كتاب « صفة العرش » عن بعض السلف « أن العرش مخلوق من ياقوتة حمراء ، بُعْدُ ما بين قُطْرِيه مسيرة خمسين ألف سنة »[4] .

وذكرنا[5] عند قوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ المَلائِكَةُ والرُّوحُ إلَيْهِ فى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُه

---

(١) يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج محدث الشام ، ولد ٦٥٤ هـ ، حافظ ثقة حجة حسن الأخلاق ، توفى عام ٧٤٢ هـ (تذكرة الحفاظ ٤ / ١٤٩٨) .

(٢) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٨ / ٢٩٤) عن أبى أمامة ، وقد عزاه إليه الهيثمى فى « الزوائد » : « فيه جعفر بن الزبير وهو متروك » ، وقد عزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٤ / ٢٥٤) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى و ابن مردويه والحاكم وصححه عن أبى أمامة ، ولم يورد الحاكم هذه الزيادة وقال بعده (٢ / ٣٧١) : هذا حديث لم نكتبه إلا من هذا الإسناد ، ولم نجد بداً من إخراجه » ، وقال الذهبى : جعفر هالك .

(٣) أخرجه البخارى (٧ / ١٢٢) ، ومسلم (٤ / ١٩١٥) ، وأحمد (٣ / ٢٩٥ ، ٣١٦ ، ٣٤٩) ، والترمذى (٥ / ٦٨٩) ، وابن ماجه (١ / ٥٦) .

(٤) أخرج أبو الشيخ الأصفهانى فى كتاب العظمة (٢ / ٥٨١) عن سعد الطائى أن العرش ياقوتة حمراء ، وذكر ابن كثير هذا الأثر فى تفسيره (٢ / ٤٣٧) ، وقال ابن حجر فى الفتح (١٣ / ٤١٥) : « وقع فى مرسل قتادة أن العرش ياقوتة حمراء ، أخرجه عبد الرزاق ، وله شاهد عن سهل بن سعد مرفوع لكن سنده ضعيف » .

(٥) فصَّله فى تفسيره (٤ / ٤١٨) .

خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ (سورة المعارج : ٤) ، أنه بُعْدُ ما بين العرش إلى الأرض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة ، واتساعه خمسون ألف سنة .

وقد ذهب طائفة من أهل الكلام إلى أن العرش فلك[1] مستدير من جميع جوانبه ، محيط بالعالم من كل جهة ، ولذا سموه الفلك التاسع والفلك الأطلس والأثير .

وهذا ليس بجيد ، لأنه قد ثبت فى الشرع أن له قوائم تحمله الملائكة ، والفلك لا يكون له قوائم ولا يُحمل ، وأيضاً فإنه فوق الجنة والجنة فوق السماوات ، وفيها مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فالبعد الذى بينه وبين الكرسى ليس هو نسبة فلك إلى فلك .

وأيضاً فإن العرش فى اللغة عبارة عن السرير الذى للملك كما قال تعالى : ﴿ ولَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة النمل : ٢٣)

وليس هو فلكاً ولا تفهم منه العرب ذلك ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، فهو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات .

قال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَه يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِم وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ (سورة غافر : ٧)

وقد تقدم فى حديث الأوعال[2] أنهم ثمانية وفوق ظهورهن العرش .

وقال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ ﴾ (سورة الحاقة : ١٧)

وقال شهر بن حوشب : حملة العرش ثمانية : أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك ، وأربعة يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك .

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا عبد الله بن محمد هو أبو بكر

---

(١) فى د : ذلك .

(٢) تقدم هذا الحديث ص ٣٨ .

ابن أبي شيبة . حدثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة[1] عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ صدّق أمية - يعني ابن أبي الصلت - في شيء[2] من شعره فقال :

رجُلٌ وثورٌ تحت رِجْل يمينه والنسرُ للأخرى ولَيْثٌ مرصدُ

فقال رسول الله ﷺ : صدق . فقال :

والشمسُ تَطْلُع كلَّ آخر ليلةٍ حمراء يُصبح لونها يَتوردُ[3]

تأبى فما تَطْلُعُ لنا في رِسْلها إلَّا مُعذَّبةٌ وإلَّا تجلدُ

فقال رسول الله ﷺ : صدق »[4] . فإنه حديث صحيح الإسناد رجاله ثقات .

وهو يقتضي أن حملة العرش اليوم أربعة ، فيعارضه حديث الأوعال . اللهم إلا أن يقال إن إثبات هؤلاء الأربعة على هذه الصفات لا ينفي ما عداهم . والله أعلم .

ومن شعر أمية بن أبي الصلت في العرش قوله :

مجِّدوا اللهَ فهْو للمجدِ أهْلٌ ربُّنا في السَّماءِ أمسَى كبيرا

بالبناء العَالي الذِي بَهرَ النا سَ وسوَّى فوق السَّماءِ سَريرا

شَرْجَعاً لا ينالُهُ بَصَرُ العَيْـ ـنِ ترى حولَهُ الملائكَ صُورا

صور جمع أصور ، وهو المائل العنق لنظره إلى العلو[5] . والشرجع هو العالي المنيف . والسرير هو العرش في اللغة .

---

(١) في ط : عقبة .

(٢) في ط : بيتين .

(٣) في ط : حمراء مطلع لونها متورد .

(٤) أخرجه أحمد (١ / ٢٥٦) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١ / ٢٥٥) ، وأبو يعلى في مسنده (٤ / ٣٦٥) ، والطبراني في الكبير (١١ / ٢٣٣) كلهم من طريق ابن أبي شيبة بهذا الإسناد . قال الهيثمي في المجمع (٨ / ١٢٧) : « رجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس » .

(٥) في لسان العرب : صور جمع أصور وهو المائل العنق لثقل حمله .

ومن شعر عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - الذى عرَّض به عن القراءة لامرأته حين اتهمته بجاريته :

شهدتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وأنَّ النَّارَ مَثْوَى الكَافِرينا
وأنَّ العَرْشَ فوق الماءِ طَافٍ وفَوْقَ العرشِ رَبُّ العالمينا
وتحمله ملائكةٌ كِرَامٌ ملائكةُ الإلهِ مُسَوِّمِينَا[1]

ذكره ابن عبد البر وغير واحد من الأئمة[2] .

وقال أبو داود : حدثنا أحمد بن حفص بن عبد الله . حدثنى أبى . حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال : « أُذِنَ لى أن أُحدِّثَ عن مَلَكٍ من ملائكة الله عز وجل من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » ، ورواه ابن أبى حاتم[3] ولفظه : « مخفق[4] الطير مسيرة سبعمائة عام »[5] .

وأما الكرسى :

فروى ابن جرير من طريق جويبر - وهو ضعيف - عن الحسن البصرى أنه كان يقول : الكرسى هو العرش[6] .

---

(١) ناقص فى : د .
(٢) أورده ابن القيم فى إغاثة اللهفان (١ / ٣٩٧) وعزاه أيضاً لابن عبد البر . وذكر محققه : رواه ابن عبد البر فى الاستيعاب وقال : رويناه من وجوه صحاح .
(٣) فى ط : ابن أبى عاصم . وما أثبتناه هو ما فى تفسير ابن كثير (٤ / ٤١٤) .
(٤) فى ط : محقق .
(٥) أخرجه أبو داود (٤ / ٢٣٢) وعزاه المتقى الهندى فى « منتخب الكنز » (٢ / ٤٥٤) لأبى داود والضياء المقدسى فى المختارة عن جابر . وعزا نحوه الهيثمى فى « الزوائد » (١ / ٨٠) للطبرانى فى الأوسط وقال : « رجاله رجال الصحيح » . وقال ابن كثير فى التفسير (٤ / ٤١٤) عن إسناد ابن أبى حاتم : « هذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات » .
(٦) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٣ / ١٠) . قال ابن حبان فى المجروحين =

بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين أنه غيره .

وعن ابن عباس وسعيد بن جبير أنهما قالا في قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّماواتِ والأَرْضَ ﴾[1] أي علمه[2] .

والمحفوظ عن ابن عباس ، كما رواه الحاكم في مستدركه – وقال : إنه على شرط الشيخين ولم يخرجاه – من طريق سفيان الثورى عن عمار الدهنى عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : الكرسى موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله عز وجل[3] .

وقد رواه شجاع بن مخلد الفلاس[4] في تفسيره عن أبي عاصم النبيل عن الثورى فجعله مرفوعاً[5] ، والصواب أنه موقوف على ابن عباس .

وحكاه ابن جرير عن أبي موسى الأشعرى والضحاك بن مزاحم وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير ومسلم البطين .

= (١ / ٢١٧) : « جويبر يروى عن الضحاك أشياء مقلوبة . وقال ابن معين : ضعيف » . وانظر ميزان الاعتدال للذهبي (١ / ٤٢٧) .

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى في التفسير (٣ / ٩ ، ١١) ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور (١ / ٣٢٧) لعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقى في الأسماء والصفات .

(٣) أخرجه الحاكم (٢ / ٢٨٢) وأقره الذهبي على صحته على شرط الشيخين ، وأخرجه أيضاً أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٢ / ٥٥٢ ، ٥٨٢) ، والطبراني في الكبير (١٢ / ٣٩) ، وابن خزيمة في « التوحيد » ص ١٠٧ ، والبيهقى في الأسماء والصفات (٢ / ٨٩) ، والخطيب البغدادى في تاريخه (٩ / ٢٥١) .

(٤) البغوى ، نزيل بغداد ، أبو الفضل ، من رجال الحديث ، له كتاب فيه وكتاب في التفسير ، ولد عام ١٥٥ هـ ، وتوفي ببغداد عام ٢٣٥ هـ عن ٨٠ عاماً ، الأعلام (٣ / ١٥٧) .

(٥) طريق شجاع بن مخلد المرفوعة أخرجها الخطيب البغدادى في تاريخه (٩ / ٢٥١) . قال ابن الجوزى في العلل المتناهية (١ / ٢٢) : « وهم شجاع في رفعه » .

وقال السدى عن أبى مالك : « الكرسى تحت العرش » . وقال السدى : « السماوات والأرض فى جوف الكرسى ، والكرسى بين يدى العرش »[1] .

وروى ابن جرير وابن أبى حاتم من طريق الضحاك عن ابن عباس أنه قال : « لو أن السماوات السبع والأرضين السبع بُسِطْنَ ثم وُصِلْنَ بعضهن إلى بعض ما كُنَّ فى سعة الكرسى إلا بمنزلة الحلقة فى المفازة »[2] .

وقال ابن جرير : حدثنى يونس . حدثنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثنى أبى قال : قال رسول الله ﷺ : « ما السماوات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة أُلقيت فى تُرْس[3] » .

قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما الكرسى فى العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهرى فلاة[4] من الأرض »[5] . أول الحديث مرسل ، وعن أبى ذر منقطع .

وقد روى عنه من طريق أخرى موصولاً ، فقال الحافظ أبو بكر بن مردويه فى تفسيره : أخبرنا سليمان بن أحمد الطبرانى . أنبأنا عبد الله بن وهيب الغزى[6]

---

(١) أخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (٢ / ١٤٧) ، والقرطبى فى تفسيره (٢ / ١٠٨٥) .

(٢) أورده ابن كثير فى تفسيره (١ / ٣٠٩) وعزاه أيضاً لابن جرير وابن أبى حاتم .

(٣) الترس : درع حديدى من بين الأسلحة التى يتوقى بها المقاتل ضربات العدو .

(٤) الفلاة من الأرض : الصحراء وجمعها فلوات

(٥) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٣ / ١٠) .

(٦) فى د : وهب المغربى . وفى ط : وهيب المغربى . وقد ضبطت فى ابن كثير (١ / ٣٠٩) : المقرى ، وكلها تحريفات ، وهى فى المعجم الصغير للطبرانى (١ / ٢١٥) : الغزى كما أثبتناها هنا . وقد ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد (٢ / ٤٧) وضبطها (العرى) وأعتقد أنه تصحيف ، وقال الهيثمى عنه : لم أعرفه .

أنبأنا محمد بن أبى السرى العسقلانى[1] أنبأنا محمد بن عبد الله التميمى عن القاسم بن محمد الثقفى عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى أنه سأل رسول الله ﷺ عن الكرسى ، فقال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة ، وإن فضل العرش على الكرسى كفضل الفلاة على تلك الحلقة »[2] .

وقال ابن جرير فى تاريخه : حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا أبى عن سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير قال : سُئل ابن عباس عن قوله عز وجل :

(١) فى ط : ابن أبى سرى . وفى المعجم الصغير للطبرانى (١ / ٢١٥) : محمد بن أحمد بن أبى السرى . وهو محمد بن المتوكل أبو عبد الله محدث فلسطين حافظ صدوق ، وثقه يحيى ابن معين . وقال ابن حبان : كان من الحفاظ . وقال ابن عدى : كثير الغلط . وقال أبو حاتم : لين الحديث . مات عام ٢٣٨ هـ . انظر : الجرح والتعديل (٨ / ١٠٥) ، وتذكرة الحفاظ للذهبى (٢ / ٤٧٣) ، وميزان الاعتدال (٥ / ١٤٨) .

(٢) حديث أبى ذر هذا قطعة من حديث طويل أخرجه من طريق القاسم بن محمد ، ابن جرير الطبرى فى تاريخه (١ / ١٥٠) ، وذكره ابن كثير (١ / ٣٠٩) بلفظه ومتنه . ولهذا الحديث طرق أخرى منها :

• طريق يحيى بن يحيى الغسانى عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر ، أخرجها ابن حبان (ص ٥٢ موارد) وأبو نعيم فى الحلية (١ / ١٦٦) والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢ / ١٤٨) وصحح إسناد هذه الطريق ، وذكر ابن حجر فى الفتح (١٣ / ٤١١) أن ابن حبان صححه وقال : « وله شاهد عن مجاهد أخرجه سعيد بن منصور فى التفسير بسند صحيح عنه » . قلت : فى هذه الطريق إبراهيم بن هشام ، قال الذهبى فى ميزان الاعتدال (٦ / ٥١) : « إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان فلم يُصِبْ » . وقال أيضاً (١ / ٧٣) : « قال أبو حاتم : كذاب . وقال أبو زرعة : كذاب » .

• وللحديث طريق أخرى : يحيى بن سعيد السعدى عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبى ذر . وقد أخرجها الحاكم فى مستدركه (٢ / ٥٩٧) والعقيلى فى الضعفاء (٤ / ٤٠٤) والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢ / ١٤٨) وابن عدى فى الكامل (٧ / ٢٦٩٩) وقال : هذا حديث منكر من هذا الطريق . وقال ابن حبان فى المجروحين (٣ / ١٢٩) : يحيى بن سعيد يروى عن ابن جريج المقلوبات لا يحل الاحتجاج به إذا انفرد . وقال الذهبى فى تلخيصه للمستدرك : ليس بثقة .

﴿ وكَانَ عَرْشُه علَى الماءِ ﴾ على أى شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح[1] .

والسماوات والأرضون وكل ما فيهن من شيء تحيط بها البحار ، ويحيط بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل - [فيما قيل][2] - الكرسى .

ورُوِىَ عن وهب بن منبه نحوه .

وفَسَّر وهب الهيكل فقال : شيء[3] من أطراف السماوات محدق[4] بالأرضين والبحار كأطناب الفسطاط[5] .

وقد زعم بعض من ينتسب إلى علم الهيئة[6] أن الكرسى عبارة عن الفلك الثامن الذى يسمونه فلك الكواكب الثوابت ، وفيما زعموه نظر لأنه قد ثبت أنه أعظم من السماوات السبع بشيء كثير ، فقد[7] ورد الحديث المتقدم بأن نسبتها إليه كنسبة حلقة ملقاة بأرض فلاة ، وهذا ليس نسبة فلك إلى فلك .

فإن قال قائلهم : فنحن نعترف بذلك ونسميه مع ذلك فلكاً . فنقول : الكرسى ليس فى اللغة عبارة عن الفلك ، وإنما هو كما قال غير واحد من السلف بين يدى العرش

---

(١) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (١٢ / ٥) ، وابن أبى عاصم فى « السنة » (١ / ٢٥٨) والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٢ / ١١٧) . قال الألبانى : إسناده جيد موقوف .

(٢) ناقص فى : د .

(٣) فى د : هو .

(٤) فى ط : يحدق .

(٥) الأطناب : جمع طُنُب وهو حبل طويل يشد به الفسطاط وهو الخيمة .

(٦) علم الهيئة : علم يبحث فيه عن أحوال الأجرام البسيطة العلوية والسفلية من حيث الكمية والكيفية والوضع والحركة اللازمة لها وما يلزم منها ، وبالجملة فموضوع الهيئة الجسم البسيط من حيث إمكان عروض الأشكال والحركات المخصوصة ونحوها وموضوع علم السماء والعالم الذى هو من أقسام الطبعى الجسم البسيط أيضاً لكن من حيث إمكان عروض التغير والثبات . انظر : « كشاف اصطلاحات الفنون » التهانوى - طبعة كلكتا ١٨٤٢ م .

(٧) زدناها ليستقيم الكلام .

كالمرْقَاة[1] إليه ، ومثل هذا لا يكون فلكاً .

وزعمهم[2] أن الكواكب الثوابت مرصعة فيه لا دليل لهم عليه ، هذا مع اختلافهم في ذلك أيضاً كما هو مقرر في كتبهم . والله أعلم .

* * *

(١) المرقاة : الدرجة ، واحدة من مراقي الدَّرَج(السلم) .

(٢) في ط : وزعم .

ذكر اللوح المحفوظ

قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة . حدثنا منجاب ابن الحارث . حدثنا إبراهيم بن يوسف . حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك ابن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن نبى الله ﷺ قال : « إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درَّة بيضاء ، صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، لله فيه فى كل يوم ستون وثلثمائة لحظة يخلق ويرزق ، ويميت ويحيى ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء »[1] .

وقال إسحاق بن بشر : أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال : « إن فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ، ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدَّق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة » .

قال : « واللوح المحفوظ لوح من درة بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله فى حجر ملَكٍ » .

وقال أنس بن مالك وغيره من السلف : « اللوح المحفوظ فى جبهة إسرافيل » .

وقال مقاتل : « هو عن يمين العرش » .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٢ / ٧٢) وفيه زياد بن عبد الله البكائى وليث بن أبى سليم وهما ضعيفان ، انظر المجروحين لابن حبان (٢ / ٢٣١) ، وابن عدى فى الكامل (٣ / ١٠٤٨) (٦ / ٢١٠٥) ، وأخرجه البيهقى فى « الأسماء والصفات » (٢ / ٢٣٤) من طريق أبى حمزة الثمالى عن سعيد بن جبير به موقوفاً ، وأبو حمزة « كثير الوهم فى الأخبار حتى خرج عن حد الاحتجاج به إذا انفرد مع غلوه فى تشيعه » (المجروحين ١ / ٢٠٦) .



ما ورد فى خلق السموات والأرض وما بينهما

قال الله تعالى : ﴿ الحَمْدُ لله الَّذى خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ وجَعَلَ الظُّلماتِ والنُّورَ ثمَّ الَّذِينَ كَفروا بِربِّهم يَعْدِلُونَ ﴾ (سورة الأنعام : ١)

وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ ومَا بَيْنهما فى سِتَّةِ أيَّامٍ ﴾ فى غير ما آية من القرآن (سورة الفرقان : ٥٩)

وقد اختلف المفسرون فى مقدار هذه الستة الأيام على قولين : فالجمهور على أنها كأيامنا هذه . وعن ابن عباس ومجاهد والضحاك وكعب الأحبار : أن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون . رواهن ابن جرير وابن أبى حاتم .

واختار هذا القول الإمام أحمد بن حنبل فى كتابه الذى ردَّ فيه على الجهمية[1] ، وابن جرير وطائفة من المتأخرين ، والله أعلم ، وسيأتى ما يدل على هذا القول .

وروى ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم وغيره أن أسماء الأيام الستة « أبجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت » .

وحكى ابن جرير فى أول الأيام ثلاثة أقوال ، فروى عن محمد بن إسحاق أنه قال : « يقول أهل التوراة : ابتدأ الله الخلق يوم الأحد ، ويقول أهل الإنجيل : ابتدأ الله الخلق يوم الاثنين ، ونقول نحن المسلمين فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ : ابتدأ الله الخلق يوم السبت » .

---

(١) انظر « الرد على الزنادقة والجهمية » لأحمد بن حنبل – ط . السلفية ١٣٩٣ هـ – ص ١١ .

وهذا القول الذى حكاه ابن إسحاق عن المسلمين مال إليه طائفة من الفقهاء من الشافعية وغيرهم . وسيأتى فيه حديث أبى هريرة : « خلق الله التربة يوم السبت » .

والقول بأنه الأحد رواه ابن جرير عن السدى، عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن جماعة من الصحابة ، ورواه أيضاً عن عبد الله ابن سلام ، واختاره ابن جرير ، وهو نص التوراة ، ومال إليه طائفة آخرون من الفقهاء .

وهو أشبه بلفظ الأحد ، ولهذا كمل الخلق فى ستة أيام ، فكان آخرهن الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم فى الأسبوع ، وهو اليوم الذى أضل الله عنه أهل الكتاب قبلنا كما سيأتى إن شاء الله .

وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتوىَ إلى السَّماءِ فَسوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ وهو بكُلِّ شيءٍ عَلِيمٌ** ﴾ (سورة البقرة : ٢٩)

وقال تعالى : ﴿ **قُلْ أئنَّكُمْ لَتكفُرونَ بالَّذِى خلقَ الأرضَ فى يَوْمَينِ وتَجْعلُونَ لَهُ أنْداداً ذلِكَ رَبُّ العالمينَ * وجَعَلَ فيها رَوَاسىَ مِنْ فَوقِهَا وبَارك فيها وقدَّرَ فيها أقواتَها فى أرْبعةِ أيّامٍ سَواءً للسَّائِلينَ * ثُمَّ استوى إلى السَّماءِ وهِى دُخَانٌ فقالَ لَها وللأرضِ ائتيا طَوْعاً أوْ كَرْهاً قالتَا أتيْنا طائعينَ * فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سماواتٍ فى يَوْمَيْنِ وَأوْحَى فى كُلِّ سماءٍ أمْرهَا وزيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمصابيحَ وحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ** ﴾ .

(سورة فصلت : ٩ – ١٢)

فهذا يدل على أن الأرض خُلِقَتْ قبل السماء ، لأنها كالأساس للبناء ، كما قال تعالى : ﴿ **اللهُ الَّذِى جَعَلَ لكُمُ الأرضَ قَرَاراً والسماءَ بِناءً وصوَّركُم فأحْسَنَ صُوَرَكُمْ ورَزَقكُم مِنَ الطَّيباتِ ذلكُم اللهُ ربُّكُم فَتبارَكَ اللهُ ربُّ العالمِينَ** ﴾ (سورة غافر : ٦٤)

وقال تعالى : ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الأرضَ مِهَاداً * والجِبالَ أَوْتَاداً** ﴾ إلى أن قال : ﴿ **وبَنَيْنا فَوْقَكمْ سَبْعاً شِدَاداً * وجعلْنا سِرَاجاً وَهَّاجاً** ﴾ (سورة النبأ : ٦ – ١٣)

وقال تعالى : ﴿ **أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كفروا أَنَّ السماواتِ والأرضَ كانتَا رَتْقاً فَفَتقْناهُمَا وجَعلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (سورة الأنبياء : ٣٠)

أى فصلنا ما بين السماء والأرض حتى هبت الرياح ونزلت الأمطار وجرت العيون والأنهار ، وانتعش الحيوان .

ثم قال : ﴿ وجَعلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ ﴾ .
(سورة الأنبياء : ٣٢)

أى عما خلق فيها من الكواكب الثوابت والسيارات والنجوم الزاهرات والأجرام النيرات ، وما فى ذلك من الدلالات على حكمة خالق الأرض والسماوات ، كما قال تعالى : ﴿ وكأيِّنْ مِنْ آيةٍ فى السماواتِ والأرضِ يَمرُّونَ عَليْها وهُمْ عنها مُعْرِضُونَ * ومَا يُؤمِنُ أكثرُهم باللهِ إلَّا وهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (سورة يوسف : ١٠٥ ، ١٠٦)

فأما قوله تعالى : ﴿ ءأنتُم أشدُّ خَلْقاً أَم السماءُ بَناهَا * رفَعَ سَمْكها فَسوَّاها * وأغْطَشَ ليلَها وأخرجَ ضُحَاهَا * والأرضَ بعد ذلك دَحَاها * أخرجَ مِنها ماءَها ومَرْعَاها * والجبالَ أرْسَاهَا * مَتَاعاً لكُمْ ولأنْعامِكُمْ ﴾ (سورة النازعات : ٢٧ - ٣٣) فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خَلْق السماء على خَلْق الأرض ، فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين ولم يفهموا هذه الآية الكريمة ، فإن مقتضى هذه الآية أن دَحْىَ الأرض[1] وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خَلْق السماء .

وقد كان ذلك مُقدَّراً[2] فيها بالقوة ، كما قال تعالى : ﴿ وبَارَكَ فيها وقَدَّرَ فِيها أقْواتَها ﴾ (سورة فصلت : ١٠)

أى هَيَّأ أماكن الزرع ومواضع العيون والأنهار ، ثم لما أكمل خلق صورة العالم [العلوى والسفلى][3] دحا الأرض ، فأخرج منها ما كان مودعاً فيها فخرجت العيون ، وجرت الأنهار ، [ونبتت الزروع][4] والثمار ، ولهذا فُسِّر الدحى بإخراج الماء والمرعى

---

(١) دحا الأرض : بسطها وأوسعها .

(٢) فى د : مقداراً .

(٣) فى ط : السفلى والعلوى .

(٤) فى ط : ونبت الزرع .

منها وإرساء الجبال فقال : ﴿ وَالأَرْضَ بعدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنها ماءَهَا ومَرْعاهَا ﴾ (سورة النازعات : ٣٠ ، ٣١)

وقوله : ﴿ والجبالَ أَرْسَاهَا ﴾ أى قرَّرها فى أماكنها التى وضعها فيها ، وثبَّتها وأكّدها وأطدها[١] .

وقوله : ﴿ وَالسَّماءَ بَنَيْناهَا بِأَيْدٍ وإنَّا لَمُوسِعُونَ * والأَرْضَ فَرَشْناهَا فَنِعْمَ المَاهِدُونَ * ومِنْ كُلِّ شيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعلَّكُمْ تَذكَّرُونَ ﴾ (سورة الذاريات : ٤٧ - ٤٩)

(بأَيْدٍ) أى بقوة . (وإنَّا لَمُوسِعُونَ) وذلك أن كل ما علا اتسع ، فكل سماء أعلى من التى تحتها فهى أوسع منها ، ولهذا كان الكرسى أعلى من السماوات وهو أوسع منهن كلهن ، والعرش أعظم من ذلك كله بكثير .

وقوله بعد هذا (والأَرْضَ فَرَشْناهَا) أى بسطناها وجعلناها مهداً أى قَارَّةً[٢] ساكنة غير مضطربة ولا مائدة[٣] بكم . ولهذا قال : (فنِعمَ الماهِدُونَ) ، والواو لا تقتضى الترتيب فى الوقوع ، وإنما تقتضى الإخبار المطلق فى اللغة ، والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا عمر بن حفص[٤] بن غياث . حدثنا أبى . حدثنا الأعمش . حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين قال : دخلت على النبى ﷺ وعقلت[٥] ناقتى بالباب ، فأتاه ناس من بنى تميم فقال : اقبلوا البشرى يا بنى تميم . قالوا : قد بشرتنا فأعطنا مرتين . ثم دخل عليه ناس من اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن أن[٦] لم يقبلها بنو تميم . قالوا : قد قبلنا يا رسول الله ، قالوا : جئناك نسألك عن هذا الأمر . قال : « كان الله ولم يكن شيء غيره ،

---

(١) أطدها : ثبّتها وثقّلها .

(٢) قارة : مستقرة .

(٣) ماد الشيء : تحرك ومال . فالله خلق الأرض غير متحركة ولا مائلة بما عليها ، فهو سبحانه قد أرساها بالجبال .

(٤) فى د ، ط : جعفر . وهو خطأ .

(٥) عقلت ناقتى : شددت ناقتى بالحبل وربطتها بالباب .

(٦) فى د : إذ . وهى رواية أخرى عند أحمد وغيره .

وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شىء ، وخلق السماوات والأرض » . فنادى مُنَادٍ : ذهبت ناقتك يا ابن الحصين ، فانطلقت فإذا هى تقطع دونها السراب ، فوالله لوددت أنى كنت تركتها »[1] .

هكذا رواه ها هنا ، وقد رواه فى كتاب المغازى وكتاب التوحيد ، وفى بعض ألفاظه : « ثم خلق السماوات والأرض » ، وهو لفظ النسائى أيضاً .

وقال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا حجاج . حدثنى ابن جريج . أخبرنى إسماعيل بن أميَّة عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال : « أخذ رسول الله ﷺ بيدى فقال : خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال فيها[2] يوم الأحد ، وخلق الشجر فيها[3] يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء[4] ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق[5] فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » .

وهكذا رواه مسلم عن سريج[6] بن يونس وهارون بن عبد الله ، والنسائى عن هارون ويوسف بن سعيد ، ثلاثتهم عن حجاج بن محمد المصيصى الأعور عن ابن جريج به مثله سواء[7] .

---

(١) حديث عمران بن حصين سبق تخريجه فى ص ٣٦ ، وأخرجه البخارى أيضاً (٨ / ٨٣ ، ٩٨) ، وأحمد (٤ / ٤٣٣ ، ٤٣٦) .

(٢ – ٣) زيادة من : د . وهى فى لفظ حديث أحمد .

(٤) فى ط : الثلاث .

(٥) فى ط : خلق خلق .

(٦) فى د : شريح .

(٧) حديث أبى هريرة أخرجه أحمد (٢ / ٣٢٧) ، ومسلم (٤ / ٢١٤٩) ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (١ / ٥٨) (٢ / ١٢٤) ، وابن خزيمة فى صحيحه (٣ / ١١٧) ، والخطيب البغدادى فى تاريخه (٥ / ١٨٨) كلهم من طريق حجاج بن محمد عن ابن جريج به .

وقد رواه النسائى فى التفسير عن إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى عن محمد بن الصباح عن أبى عبيدة الحداد عن الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أخذ بيدى فقال : « يا أبا هريرة ، إن الله خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ، ثم استوى على العرش يوم السابع ، وخلق التربة يوم السبت »[1] . وذكر تمامه بنحوه ، فقد اختُلِفَ فيه على ابن جريج .

وقد تكلم فى هذا الحديث على بن المدينى والبخارى والبيهقى[2] وغيرهم من الحفاظ ، قال البخارى فى التاريخ : وقال بعضهم عن كعب وهو أصح .

يعنى أن هذا الحديث مما سمعه أبو هريرة وتلقاه من كعب الأحبار[3] ، فإنهما كانا يصطحبان ويتجالسان للحديث ، فهذا يحدثه عن صحفه ، وهذا يحدثه بما يصدقه عن النبى ﷺ ، فكان هذا الحديث مما تلقاه أبو هريرة عن كعب عن صحفه ، فوهم بعض الرواة فجعله مرفوعاً إلى النبى ﷺ ، وأكد رفعه بقوله : « أخذ رسول الله ﷺ بيدى » .

ثم فى متنه غرابة شديدة ، فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السماوات ، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها فى سبعة أيام ، وهذا[4] خلاف القرآن ، لأن الأرض خلقت فى أربعة أيام ، ثم خلقت السماوات فى يومين من دخان ، وهو بخار الماء الذى ارتفع حين اضطرب الماء العظيم الذى خلق من رَبَدَةِ[5] الأرض بالقدرة العظيمة البالغة .

---

(١) أورد هذه الرواية للنسائى الشيخ حافظ أحمد حكمى فى كتابه « معارج القبول » (١ / ١١٢) وقال : « رواه النسائى فى تفسير سورة السجدة من سننه الكبرى ، وفيه أخضر بن عجلان . قال الذهبى : وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ، ولَيَّنه الأزدى » .

(٢) ناقصة فى : د . وانظر كلامه على هذا الحديث فى « الأسماء والصفات » (٢ / ١٢٤) .

(٣) هو : كعب بن ماتع أبو إسحاق ، تابعى ، كان فى الجاهلية من علماء اليهود فى اليمن ، وأسلم فى زمن أبى بكر ، توفى بحمص عام ٣٢ هـ عن ١٠٤ سنة .

(٤) فى د : وما فيها فى .

(٥) فى د : زبدة . وفى ط : ربذة . والصواب ما أثبتناه . الربَد (بفتح الباء) : الطين ، فالمقصود طين الأرض .

كما قال إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير[1] فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : ﴿ **هُو الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فى الأرْضِ جَميعاً ثُمَّ استَوى إلى السَّماءِ فَسوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ** ﴾[2] قال : إن الله كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً مما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ، ثم أيبس[3] الماء فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعل سبع أرضين فى يومين الأحد والاثنين ، وخلق الأرض على حوت وهو النون الذى قال الله تعالى : ﴿ **نُون والقَلمِ ومَا يَسْطُرونَ** ﴾[4] ، والحوت فى الماء ، والماء على صفاة والصفاة[5] على ظهر ملك ، والملك على صخرة والصخرة فى الريح ، وهى الصخرة التى ذكرها لقمان ليست فى الأرض ولا فى السماء ، فتحرك الحوت فاضطرب فتزلزلت الأرض فأرسى عليها الجبال فقرَّت ، وخلق الله يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب ، وفتق السماء وكانت رتقاً[6] فجعلها سبع سماوات فى يومين الخميس والجمعة ، وإنما سُمِّى يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض وأوحى فى كل سماء أمرها .

ثم قال : خلق فى كل سماء خلقها من الملائكة والبحار وجبال البرد وما لا يعلمه غيره ، ثم زيَّن السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظاً يحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على العرش .

---

(١) هو : إسماعيل بن عبد الرحمن السدى ، تابعى ، حجازى الأصل ، سكن الكوفة ، صاحب التفسير والمغازى والسير ، وكان إماماً عارفاً بالوقائع وأيام الناس توفى عام ١٢٨ هـ (الأعلام ١ / ٣١٧) .

(٢) سورة البقرة : ٢٩ .

(٣) فى د : أنبش .

(٤) سورة القلم : ١ .

(٥) فى ط : صفات والصفات . والصفاة : الحجر الصلد الضخم الذى لا ينبت شيئاً .

(٦) أى أن السماء كانت لا ينزل منها شىء ماء أو غيره ، ففتقها بنزول الماء منها .

هذا الإسناد يذكر به السدى أشياء كثيرة فيها غرابة ، وكأن كثيراً منها مُتلقًّى من الإسرائيليات .

فإن كعب الأحبار لما أسلم فى زمن عمر[1] كان يتحدث بين يدى عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – بأشياء من علوم أهل الكتاب فيستمع له عمر تأليفاً له ، وتعجباً مما عنده مما وافق كثير منه الحق الذى ورد به الشرع المطهر ، فاستجاز كثير من الناس نقل ما يورده كعب الأحبار لهذا ، ولما جاء من الإذن فى التحديث عن بنى إسرائيل ، لكن كثيراً ما يقع فيما يرويه غلط كبير وخطأ كثير .

وقد روى البخارى فى صحيحه عن معاوية أنه كان يقول فى كعب الأحبار : « وإن كنا – مع ذلك – لنبلو عليه الكذب »[2] ... أى فيما ينقله لا أنه يتعمد ذلك والله أعلم .

ونحن نورد ما نورده من الذى يسوقه[3] كثير من كبار الأئمة المتقدمين عنهم ، ثم نتبع ذلك من الأحاديث بما يشهد له بالصحة أو يكذبه ، ويبقى الباقى مما لا يُصدَّق ولا يُكذَّب ، وبالله[4] المستعان وعليه التكلان .

قال البخارى : حدثنا قتيبة . حدثنا مغيرة بن عبد الرحمن القرشى عن أبى الزناد[5] عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله الخلق كتب فى كتابه ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتى غلبت غضبى »[6] .

---

(١) اختلف فى زمن إسلامه على ثلاثة أقوال هذا أحدها ، والثانى فى خلافة أبى بكر ، والثالث فى عهد النبى ﷺ وتأخرت هجرته ، قال ابن حجر فى الفتح (١٣ / ٣٣٥) : « والأول أشهر » .

(٢) أخرجه البخارى فى صحيحه معلقاً مجزوماً به (١٣ / ٣٣٣) ، قال ابن الجوزى – فيما نقله عنه ابن حجر فى الفتح (١٣ / ٣٣٥) : « المعنى أن بعض الذى يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذباً لا أنه يتعمد الكذب وإلا فقد كان كعب من أخيار الأحبار » .

(٣) فى د : يستوفيه .

(٤) فى ط : وبه .

(٥) فى ط : أبى زناد .

(٦) أخرجه من طريق أبى الزناد عن الأعرج به البخارى (٦ / ٢٨٧) (١٣ / ٤٠٤ ، ٤٤٠) ، =

وكذا رواه مسلم والنسائى عن قتيبة به .

ثم قال البخارى : باب ما جاء فى سبع أرضين ، وقول الله تعالى : ﴿ **اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً** ﴾ (سورة الطلاق : ١٢)

ثم قال : حدثنا على بن عبد الله . أخبرنا ابن عُلَيَّة عن على بن المبارك . حدثنا يحيى ابن أبى كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبى سلمة بن عبد الرحمن – وكانت بينه وبين ناس خصومة فى أرض ، فدخل على عائشة فذكر لها ذلك – فقالت : يا أبا سلمة اجتنب الأرض ، فإن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ ظلم قِيدَ شبرٍ طُوِّقَهُ من سبع أرضين »[١] .

ورواه أيضاً فى كتاب المظالم ، ومسلم من طرق عن يحيى بن أبى[٢] كثير به ، ورواه أحمد من حديث محمد بن إبراهيم عن أبى سلمة به ، ورواه أيضاً عن يونس عن أبان عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن عائشة بمثله .

ثم قال البخارى : حدثنا بشر بن محمد قال : أخبرنا عبد الله عن موسى بن عقبة عن سالم عن أبيه قال : قال النبى ﷺ : « مَنْ أخذ شيئاً مِنَ الأرض بغير حقه خُسِفَ به يوم القيامة إلى سبع أرضين »[٣] .

ورواه فى المظالم أيضاً عن مسلم بن إبراهيم عن عبد الله هو ابن المبارك عن موسى ابن عقبة به ، وهو من أفراده .

= ومسلم (٤ / ٢١٠٧) ، وأحمد (٢ / ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٣٥٨) ، ولم أقف عليه عند النسائى فى السنن الصغرى فلعله فى الكبرى .

(١) أخرجه البخارى (٥ / ١٠٣) (٦ / ٢٩٢) ، ومسلم (٣ / ١٢٣١) ، وأحمد (٦ / ٦٤ ، ٧٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩) .

(٢) زيادة من : د .

(٣) أخرجه البخارى فى بدء الخلق (٦ / ٢٩٢) وفى المظالم (٥ / ١٠٣) ، وأخرجه أحمد (٢ / ٩٩) من طريق ابن المبارك به .

وذكر البخارى ها هنا حديث محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن[1] الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، السنة اثنى عشر شهراً[2] » الحديث[3] .

ومراده والله أعلم تقرير قوله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (سورة الطلاق : ١٢) ، أى فى العدد ، كما أن عدة الشهور الآن اثنى عشر مطابقة لعدة الشهور عند الله فى كتابه الأول ، فهذه مطابقة فى الزمان كما أن تلك مطابقة فى المكان .

ثم قال البخارى : حدثنا عبيد بن إسماعيل . حدثنا أبو أسامة عن هشام عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : أنه خاصمته أروى[4] – فى حقٍّ زعمت أنه انتقصه لها – إلى مروان ، فقال سعيد – رضى الله عنه – : أنا أنتقص من حقها شيئاً ؟ أشهد لَسَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : « مَنْ أخذ شبراً مِنَ الأرض ظلماً فإنه يُطَوَّقَهُ يوم القيامة من سبع أرضين »[5] . ورواه ...[6] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا حسن وأبو سعيد مولى بنى هاشم . حدثنا عبد الله بن لهيعة . حدثنا عبيد الله[7] بن أبى جعفر عن أبى عبد الرحمن الحبلى[8] عن ابن مسعود

---

(١) زيادة من : د .

(٢) فى د : يوماً .

(٣) أخرجه البخارى (٦ / ٢٩٣) (٨ / ٣٢٤) (١٠ / ٧) ، ومسلم (٣ / ١٣٠٥) ، وأحمد (٥ / ٣٧) ، وأبو داود (٢ / ١٩٥) .

(٤) هى أروى بنت أُنَيْس (بالتصغير) انظر فتح البارى (٦ / ٢٩٥) ، وقد ترجم لها ابن الأثير فى أسد الغابة فى معرفة الصحابة (٧ / ٩) .

(٥) أخرجه من هذه الطريق البخارى (٦ / ٢٩٣) ، وأحمد (١ / ١٨٨) ، ومسلم (٣ / ١٢٣٠) . وأبو نعيم فى الحلية (٢ / ١٨١) (٨ / ٣٨٥) .

(٦) بياض فى الأصول .

(٧) فى د ، ط : عبد الله بن أبى جعفر ، وصحته عبيد الله ، انظر الجرح والتعديل (٥ / ٣١٠) .

(٨) ناقصة فى : ط .

قال : قلت : يا رسول الله ، أى الظلم أعظم ؟ قال : ذراع من الأرض [ينتقصها[1] المرء المسلم من حق أخيه ، فليس حصاة من الأرض][2] يأخذها أحد إلا طُوِّقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ، ولا يعلم قعرها إلا الذى خلقها » تفرد به أحمد ، وهذا إسناد لا بأس به[3] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان . حدثنا وهيب . حدثنا سهيل عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طُوِّقه من سبع أرضين »[4] . تفرد به من هذا الوجه وهو على شرط مسلم .

وقال أحمد : حدثنا يحيى عن ابن عجلان حدثنى أبى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع شبراً من الأرض بغير حقه طُوِّقه إلى سبع أرضين »[5] تفرد به أيضاً وهو على شرط مسلم .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا عفان . حدثنا أبو عوانة عن عمر بن أبى سلمة عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « مَنْ أخذ مِنَ الأرض شبراً بغير حقه طوقه من سبع أرضين »[6] . تفرد به أيضاً .

وقد رواه الطبرانى من حديث معاوية بن قرة عن ابن عباس مرفوعاً مثله[7] .

* * *

---

(١) فى د ، ط : ينتقصه . وما أثبتناه لفظ أحمد .

(٢) ما بين المعقوفين ناقص فى : د .

(٣) أخرجه أحمد (١ / ٣٩٦ ، ٣٩٧) ، والطبرانى فى الكبير (١٠ / ٢٦٦) من طريق ابن لهيعة أيضاً . قال الهيثمى فى المجمع (٤ / ١٧٤) : « رواه أحمد والطبرانى فى الكبير وإسناد أحمد حسن » .

(٤) أخرجه أحمد (٢ / ٣٨٨) .

(٥) أخرجه أحمد (٢ / ٤٣٢) .

(٦) أخرجه أحمد (٢ / ٣٨٧) .

(٧) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٢ / ٢١١) ، قال الهيثمى فى المجمع (٤ / ١٧٥) : « فيه محمد بن الفضل بن عطية وهو متروك كذاب » .

فهذه الأحاديث كالمتواترة فى إثبات سبع أرضين ، والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى ، والتى تحتها فى وسطها عند أهل الهيئة حتى ينتهى الأمر إلى السابعة وهى صماء لا جوف لها ، وفى وسطها المركز وهو نقطة مُقدَّرة مُتوهَّمة ، وهو محطُّ الأثقال ، إليه ينتهى ما يهبط من كل جانب إذا لم يعاوقه مانع .

واختلفوا هل هُنَّ متراكمات بلا تفاصل ، أو بين كل واحدة والتى تليها خلاء على قولين ، وهذا الخلاف جار فى الأفلاك أيضاً .

والظاهر أن بين كل واحدة[1] منهن وبين الأخرى مسافة ، لظاهر قوله تعالى : ﴿ **الله الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ ومِنَ الأرضِ مِثْلَهُنَّ يَتنزَّلُ الأمرُ بَيْنهُنَّ** ﴾ الآية .
(سورة الطلاق : ١٢)

وقال الإمام أحمد : حدثنا سريج[2] . حدثنا الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة قال : « بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ مرت سحابة فقال : أتدرون ما هذه ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : العنان ، وزوايا الأرض تسوقه إلى من لا يشكرونه من عباده ولا يدعونه . أتدرون ما هذه فوقكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : الرقيع[3] موج مكفوف[4] وسقف محفوظ ، أتدرون كم بينكم وبينها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : مسيرة خمسمائة سنة . ثم قال : أتدرون ما الذى فوقها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : مسيرة خمسمائة عام ، حتى عَدَّ سبع سماوات ، ثم قال : أتدرون ما فوق ذلك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : العرش ، أتدرون كم

---

(١) تكرر هنا فى د ، ط : والتى تليها خلاء على قولين ، وهذا الخلاف جار فى الأفلاك أيضاً والظاهر أن بين كل واحدة .

(٢) فى د ، ط : شريح .

(٣) فى د ، ط : الرفيع ، والصواب ما أثبتناه . والرقيع سماء الدنيا ، سميت بذلك لأنها مرقوعة بالنجوم .

(٤) مكفوف : أى أن نواحى سحابه مجموع .

بينه[1] وبين السماء السابعة ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : مسيرة خمسمائة عام . ثم قال : أتدرون ما هذه تحتكم ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : أرض ، أتدرون ما تحتها ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : أرض أخرى ، أتدرون كم بينهما ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين . ثم قال : وأيم الله لو دليتم أحدكم إلى الأرض السفلى السابعة لهبط . ثم قرأ : ﴿ **هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ وهُوَ بِكُلِّ شَىءٍ عَلِيمٌ** ﴾ »[2] (سورة الحديد : ٣)

ورواه الترمذى عن عبد بن حميد وغير واحد عن يونس بن محمد المؤدب عن شيبان ابن عبد الرحمن عن قتادة قال : حدث الحسن عن أبى هريرة وذكره ، إلا أنه ذكر أن بُعْد ما بين كل أرضين خمسمائة عام ، وذكر فى آخره كلمة[3] ذكرناها عند تفسير هذه الآية من سورة الحديد ، ثم قال الترمذى : هذا حديث غريب من هذا الوجه . قال : ويُرْوَى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى بن زيد أنهم قالوا : لم يسمع الحسن من أبى هريرة[4] .

ورواه أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم فى تفسيره من حديث أبى جعفر الرازى عن قتادة عن الحسن عن أبى هريرة ، فذكر مثل لفظ الترمذى سواء ، بدون الزيادة[5] فى آخره[6] .

---

(١) فى د : بينكم . وهو لفظ مسند أحمد المطبوع ، ولكن السياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) أخرج هذه الطريق أحمد فى المسند (٢ / ٣٧٠) . قال الهيثمى فى « المجمع » (٧ / ١٢٠) : « فيه الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف » . وقال ابن حبان فى « المجروحين » (١ / ٢٤٨) : « يروى عن الثقات بما لا يتابع عليه ، قال ابن معين : الحكم ضعيف » .

(٣) هذه الكلمة هى : لهبط على الله . قال الترمذى : « فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا : إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه ، علم الله وقدرته وسلطانه فى كل مكان ، وهو على العرش كما وصف فى كتابه » .

(٤) أخرجه الترمذى فى سننه (٥ / ٤٠٣) من هذه الطريق عن شيبان عن قتادة به .

(٥) فى ط : زيادة .

(٦) طريق أبى جعفر هذه أخرجها ابن أبى عاصم فى « السنة » (١ / ٢٥٤) ، =

ورواه ابن جرير فى تفسيره عن بشر عن يزيد عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مرسلاً[1] . وقد يكون هذا أشبه والله أعلم .

ورواه الحافظ أبو بكر البزار والبيهقى من حديث أبى ذر الغفارى عن النبى ﷺ ، ولكن لا يصح إسناده والله أعلم[2] .

* * *

وقد تقدم عند صفة العرش فى حديث الأوعال ما يخالف هذا فى ارتفاع العرش عن السماء السابعة وما يشهد له وفيه : « وبُعْد ما بين كل سماءين خمسمائة عام ، وكُثُفُها - أى سمكها - خمسمائة عام » .

وأما ما ذهب إليه بعض المتكلمين على حديث « طُوِّقَهُ من سبع أرضين » أنها سبعة أقاليم ، فهو قول يخالف ظاهر الآية والحديث الصحيح وصريح كثير من ألفاظه مما يعتمد من الحديث الذى أوردناه من طريق الحسن عن أبى هريرة ، ثم إنه حمل الحديث والآية على خلاف ظاهرهما بلا مستند ولا دليل والله أعلم .

وهكذا ما يذكره كثير من أهل الكتاب وتلقاه عنهم طائفة من علمائنا من أن هذه الأرض من تراب ، والتى تحتها من حديد ، والأخرى من حجارة من كبريت ، والأخرى من كذا ، فكل هذا إذا لم يخبر به ويصح سنده إلى معصوم فهو مردود على قائله .

= قال الألبانى : إسناده ضعيف لعنعنة الحسن ولضعف أبى جعفر الرازى . قلت : فهذه ثلاث طرق لحديث أبى هريرة ، وهو منقطع لأن الحسن البصرى لم يسمع من أبى هريرة شيئاً. وانظر فى هذا كتاب « المراسيل » لابن أبى حاتم (ص ٣٨ ، ٣٩) .

(١) أخرج هذه الطريق المرسلة عن قتادة ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٢٧ / ٢١٦) .

(٢) حديث أبى ذر عزاه ابن كثير فى التفسير (٤ / ٣٠٣) للبزار فى مسنده والبيهقى فى « الأسماء والصفات » وقال : « فى إسناده نظر وفى متنه غرابة ونكارة » ، قال الألبانى فى تخريجه لكتاب « السنة » (١ / ٢٥٤) : « وهو مع انقطاعه ضعيف لضعف أحمد بن عبد الجبار » .

وهكذا الأثر المروى عن ابن عباس أنه قال : « فى كل أرض من الخلق مثل ما فى هذه ، حتى آدم كآدمكم ، وإبراهيم كإبراهيمكم » . فهذا ذكره ابن جرير مختصراً ، واستقصاه البيهقى فى « الأسماء والصفات »(١) .

وهو محمول – إن صح نقله عنه – على أنه أخذه ابن عباس رضى الله عنه عن الإسرائيليات ، والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد . حدثنا العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت ، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت : يارب هل من خلقك شىء أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد . قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الحديد ؟ قال : نعم النار . قالت : يا رب فهل من خلقك شىء أشد من النار ؟ قال : نعم الريح . قالت : يارب فهل من خلقك شىء أشد من الريح ؟ قال : نعم ، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله »(٢) . تفرد به أحمد .

وقد ذكر أصحاب الهيئة أعداد جبال الأرض فى سائر بقاعها شرقاً وغرباً ، وذكروا طولها وبُعْد امتدادها وارتفاعها ، وأوسعوا القول فى ذلك بما يطول شرحه هنا .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ** ﴾ (سورة فاطر : ٢٧)

---

(١) أخرجه ابن جرير فى التفسير (١٤ / ١٥٣) ، والبيهقى فى « الأسماء » (٢ / ١٣٢) ، والحاكم (٢ / ٤٩٣) من طريق عمرو بن مرة مختصراً . قال ابن حجر فى الفتح (٦ / ٢٩٣) : « إسناده صحيح » وقال الحاكم : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى . وقد أخرجه الحاكم والبيهقى فى الموضعين المشار إليهما من طريق عطاء بن السائب ، صححه الحاكم وأقره الذهبى ، وقال البيهقى : « إسناده صحيح وهو شاذ بمرة لا أعلم لأبى الضحى عليه متابعاً » .

(٢) أخرجه أحمد (٣ / ١٢٤) ، والترمذى (٥ / ٤٥٤) ، وأبو يعلى الموصلى فى مسنده (٧ / ٢٨٦) كلهم من طريق يزيد بن هارون بهذا الإسناد . قال الترمذى : « حديث =

قال ابن عباس وغير واحد : الجدد الطرائق . وقال عكرمة وغيره : الغرابيب[1] الجبال الطوال السود .

وهذا هو المشاهد من الجبال فى سائر الأرض تختلف باختلاف بقاعها وألوانها .

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه الجودى[2] على التعيين ، وهو جبل عظيم شرقى جزيرة ابن عمر إلى جانب دجلة عند الموصل ، امتداده من الجنوب إلى الشمال مسيرة ثلاثة أيام وارتفاعه مسيرة نصف يوم ، وهو أخضر لأن فيه شجراً من البلوط ، وإلى جانبه قرية يقال لها قرية « الثمانين » لسكنى الذين نجوا فى السفينة مع نوح عليه السلام فى موضعها ، فيما ذكره غير واحد من المفسرين ، والله أعلم[3] .

* * *

= غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه » . وقد حمل الألبانى قول الترمذى هذا أن الحديث ضعيف ، وعلته أن فيه سليمان بن أبى سليمان ، قال الذهبى : لا يكاد يعرف . انظر : مشكاة المصابيح (١ / ٦٠٢) ، وميزان الاعتدال (٢ / ٢١١) .

(١) فى ط : الغرايب .

(٢) ذكره عز وجل فى سورة هود آية ٤٤ : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ .

(٣) وقع هنا فى د : وذكر تعالى طور سيناء .

فصل
فى
البحار والأنهار

قال الله تعالى : ﴿ وهُوَ الَّذِى سَخَّرَ البحرَ لتأكُلوا مِنه لحماً طَرِّياً وتَستخرجُوا منه حِلْيةً تَلْبَسُونَها وترَى الفُلْكَ مَواخِرَ فيهِ ولتبتغُوا مِنْ فَضْلِهِ ولَعلَّكم تَشْكُرونَ * وألقى فى الأرضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَميدَ بكُمْ وأنهَاراً وسُبُلاً لَعلَّكُمْ تَهتدُونَ * وعَلاماتٍ وبالنَّجمِ هُمْ يَهتدُونَ * أفمَنْ يَخلقُ كَمنْ لا يَخلقُ أفَلا تَذكَّرُونَ * وإنْ تعدُّوا نِعْمةَ اللهِ لا تُحصُوهَا إنَّ اللهَ لَغفورٌ رحيمٌ ﴾ (سورة النحل : ١٤ - ١٨)

وقال تعالى : ﴿ ومَا يَستَوِى البَحْرانِ هَذَا عَذْبٌ فُراتٌ سَائِغٌ شرابُه وهذا مِلْحٌ أجَاجٌ ومِنْ كُلٍّ تَأكُلونَ لَحْماً طَرِّياً وتَستَخرِجُونَ حِلْيةً تَلبَسُونَها وتَرىَ الفُلْكَ فيه مَواخِرَ لِتبتغُوا مِنْ فَضلِهِ ولَعلَّكُمْ تَشْكُرونَ ﴾ (سورة فاطر : ١٢)

وقال تعالى : ﴿ وهُوَ الَّذِى مَرَجَ البَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وجَعَلَ بَيْنَهمَا بَرْزَخاً وحِجْراً مَحْجُوراً ﴾ (سورة الفرقان : ٥٣)

وقال تعالى : ﴿ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقيانِ * بَيْنَهما بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيانِ ﴾ .

(سورة الرحمن : ١٩ ، ٢٠)

فالمراد بالبحرين البحر الملح المر وهو الأجاج ، والبحر العذب هو هذه الأنهار السارحة بين أقطار الأمصار لمصالح العباد . قاله ابن جريج وغير واحد من الأئمة .

وقال تعالى : ﴿ ومِنْ آياتِه الجَوارِ فى البَحْرِ كالأعْلامِ * إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَواكِدَ على ظَهْرِهِ إنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * أَوْ يُوبِقْهُنَّ بما كَسَبُوا ويَعْفُ عن كثيرٍ ﴾ . (سورة الشورى : ٣٢ - ٣٤)

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفُلْكَ تَجْرِى فى البَحْرِ بنعْمةِ اللهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتهِ إنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّار شَكُور * وإذَا غَشِيهُمْ مَوْجٌ كالظُّلَلِ دَعَوا اللهَ مُخْلصِينَ له الدِّينَ فلمَّا نَجَّاهُمْ إلى البَرِّ فَمِنهم مُقْتَصِدٌ وما يَجْحَدُ بآياتِنَا إلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كفُورٍ ﴾ .

(سورة لقمان : ٣١ ، ٣٢)

وقال تعالى : ﴿ إنَّ فى خَلْقِ السَّماواتِ والأرضِ واخْتلافِ الَّليلِ والنَّهارِ والفُلْكِ الَّتى تَجْرِى فى البَحْرِ بما يَنْفَعُ الناسَ وما أنزلَ اللهُ من السماءِ من ماءٍ فأَحْيا بِهِ الأرضَ بعد مَوْتِهَا وبثَّ فيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وتَصْرِيفِ الرِّياحِ والسَّحابِ المُسخَّرِ بين السَّماءِ والأرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة البقرة : ١٦٤)

فامتنَّ تعالى على عباده بما خلق لهم من البحار والأنهار ، فالبحر المحيط بسائر أرجاء الأرض وما ينبت منه فى جوانبها الجميع مالح الطعم مر ، وفى هذا حكمة عظيمة لصحة الهواء ، إذ لو كان حلواً لأنتن الجو وفسد الهواء بسبب ما يموت فيه من الحيوانات فكان يؤدى إلى تفانى[١] بنى آدم ، ولكن اقتضت الحكمة البالغة أن يكون على هذه الصفة لهذه المصلحة ، ولهذا لما سُئِلَ رسول الله ﷺ عن البحر قال : « هو الطَّهور ماؤه الحِلُّ ميتته »[٢] .

وأما الأنهار فماؤها حلو عَذْب فرات[٣] سائغ شرابها لمن أراد ذلك ، وجعلها جارية سارحة ينبعها تعالى فى أرض ويسوقها إلى أخرى رزقاً للعباد ، ومنها كبار ومنها صغار بحسب الحاجة والمصلحة .

---

(١) أى فناء بنى آدم .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (١ / ٢٢) ، ومن طريقه أخرجه أحمد (٢ / ٢٣٧ ، ٣٦١) ، وأبو داود (١ / ٢١) ، والترمذى (١ / ١٠٠) ، وابن ماجه (١ / ١٣٦) ، والنسائى (١ / ٥٠ ، ١٧٦) (٧ / ٢٠٧) . قال الترمذى : حسن صحيح . وانظر كامل تحقيق الشوكانى لهذا الحديث بطرقه وأقوال العلماء عليه فى نيل الأوطار (١ / ١٤ ، ١٥) .

(٣) الفرات : الماء الشديد العذوبة .

وقد تكلم أصحاب علم الهيئة و التسيير[1] على تعداد البحار والأنهار الكبار وأصول منابعها وإلى أين ينتهى سيرها بكلام فيه حكم ودلالات على قدرة الخالق تعالى ، وأنه فاعل بالاختيار والحكمة .

وقوله تعالى : ﴿ والبَحْرِ المَسْجُورِ ﴾ (سورة الطور : ٦)

فيه قولان :

أحدهما : أن المراد به البحر الذى تحت العرش المذكور فى حديث الأوعال ، وأنه فوق السماوات السبع بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء ، وهو الذى ينزل منه المطر قبل البعث ، فتحيا منه الأجساد من قبورها . وهذا القول هو اختيار الربيع بن أنس[2] .

والثانى : أن البحر اسم جنس يعم سائر البحار التى فى الأرض ، وهو قول الجمهور .

واختلفوا فى معنى البحر المسجور ، فقيل : المملوء ، وقيل : يصير[3] يوم القيامة ناراً تؤجج فيحيط بأهل الموقف كما ذكرناه فى التفسير[4] عن على وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد[5] وغيرهم . وقيل : المراد به الممنوع المكفوف المحروس عن أن يطغى فيغمر الأرض ومن عليها فيغرقوا . رواه الوالبى عن ابن عباس ، وهو قول السدى وغيره .

---

(١) فى ط : التفسير .

(٢) كان عالم مَرْو فى زمانه ، صدوق ، سمع أنس بن مالك وأبا العالية الرياحى والحسن البصرى ، سمع منه الأعمش وابن المبارك . سجنه أبو مسلم الخراسانى تسعة أعوام ، وتحيل ابن المبارك حتى دخل عليه فسمع منه . يقال : توفى سنة ١٣٩ هـ . حديثه فى السنن الأربعة . انظر : سير الأعلام (٦ / ١٤٩) ، والجرح والتعديل للرازى (٣ / ٤٥٤) .

(٣) فى د : يسير .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٢٤٠) .

(٥) فى د ، ط : ابن مجاهد . وهو خطأ .

ويؤيده الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا يزيد . حدثنا العوام . حدثنى شيخ كان مرابطاً بالساحل قال : لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب فقال : حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : « ليس من ليلة إلا والبحر يشرف فيها ثلاث مرات[١] يستأذن الله عز وجل أن ينفضخ[٢] عليهم ، فَيَكُفُّه الله عز وجل »[٣] .

ورواه إسحاق بن راهويه عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب حدثنى شيخ مرابط قال : خرجت ليلة لحرسى لم يخرج أحد من الحرس غيرى ، فأتيت الميناء فصعدت فجعل يُخيَّل إلىَّ أن البحر يشرف يحاذى برؤوس الجبل ، فعل ذلك مراراً وأنا مستيقظ ، فلقيت أبا صالح فقال : حدثنا عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال : « ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله أن ينفضخ[٤] عليهم ، فَيَكُفُّه الله عز وجل »[٥] . فى إسناده رجل مُبْهَم[٦] . والله أعلم .

وهذا من نعمه تعالى على عباده أَنْ كفَّ شر البحر عن أن يطغى عليهم وسخره لهم يحمل مراكبهم ليبلغوا عليها إلى الأقاليم النائية بالتجارات وغيرها ، وهداهم فيه

---

(١) وقع هنا فى مسند أحمد المطبوع : على الأرض .

(٢) فى د ، ط : يتفصح ، وفى أحمد : ينفضح ، وفى منتخب الكنز : ينفصح ، وفى الجامع الصغير : ينتضح ، وفى العلل لابن الجوزى : ينفضخ وهو الصواب ، يقال : انفضخ الدلو إذا دفق ما فيه الماء .

(٣) أخرجه أحمد (١ / ٤٣) . قال الشيخ أحمد شاكر فى تحقيقه للمسند (١ / ٢٨٦) : إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذى روى عنه العوام بن حوشب ، وأبو صالح مولى عمر مجهول أيضاً » .

وقد أشار إليه السيوطى فى الجامع الصغير (٥ / ٣٨٤) بالحسن . وقد ضعف ابن الجوزى العوام بن حوشب فى العلل المتناهية (١ / ٤٠) وأورد له هذا الحديث .

(٤) تقدم تصويب ضبطه .

(٥) عزاه المتقى الهندى فى منتخب الكنز لابن راهويه .

(٦) فى د : متهم . والصواب ما أثبتناه . وهو الشيخ الذى روى عنه العوام بن حوشب .

بما خلقه فى السماء والأرض من النجوم والجبال التى جعلها لهم علامات يهتدون بها فى سيرهم ، وبما خلق لهم فيه من اللآلىء والجواهر النفيسة العزيزة الحسنة الثمينة التى لا توجد إلا فيه ، وبما خلق فيه من الدواب الغريبة وأحلها لهم حتى ميتتها كما قال تعالى :

﴿ أُحِلَّ لَكُم صَيْدُ البَحْرِ وطَعَامُه ﴾ (سورة المائدة : ٩٦)

وقال النبى ﷺ : « هو الطهورُ ماؤه الحِلُّ ميتتُه »[١] .

وفى الحديث الآخر : « أُحلَّت لنا ميتتان ودمان : السمك والجراد ، والكبد والطحال »[٢] . رواه أحمد وابن ماجه . وفى إسناده نظر .

وقد قال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده : وجدت فى كتاب[٣] محمد بن معاوية البغدادى . حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رفعه قال : « كلم الله هذا البحر الغربى وكلم البحر الشرقى[٤] ، فقال للغربى : إنى حامل فيك عباداً من عبادى فكيف أنت صانع بهم ؟ قال : أغرقهم ، قال : بأسك فى نواحيك ، وحرمه الحلية[٥] والصيد . وكلم هذا البحر الشرقى فقال : إنى حامل فيك عباداً من عبادى فما أنت صانع بهم ؟ قال : أحملهم على يدى[٦] ، وأكون لهم كالوالدة لولدها ، فأثابه الحلية[٧] والصيد »[٨] .

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث ص ٧٠ .

(٢) أخرجه الشافعى فى مسنده (ص ٣٤٠) ، وأحمد (٢ / ٩٧) ، وابن ماجه (٢ / ١٠٧٣ ، ١١٠٢) ، والدارقطنى فى سننه (٤ / ٢٧١) ، وفيه عبد الرحمن بن زيد ، قال ابن حبان فى المجروحين (٢ / ٥٧) : « كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك فى روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك » .

(٣) فى د : كتابى عن . وهو لفظ البزار .

(٤) فى د : الشرعى .

(٥) فى د : الحيلة .

(٦) فى كشف الأستار : بدنى .

(٧) فى د : الحيلة .

(٨) أخرجه البزار (٢ / ٢٦٥ كشف الأستار) وجادة ، قال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » =

ثم قال : لا نعلم أحداً رواه عن سهيل إلا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ، وهو منكر الحديث . قال : وقد رواه سهيل عن النعمان[١] بن أبى عياش عن عبد الله بن عمرو[٢] موقوفاً[٣] .

قلت : الموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص أشبه ، فإنه قد كان وجد يوم اليرموك زاملتين[٤] مملوءتين كتباً من علوم أهل الكتاب ، فكان يُحدِّث منهما بأشياء كثيرة من الإسرائيليات ، منها المعروف والمشهور والمنكور والمردود .

فأما المعروف فتفرد به عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر[٥] بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب أبو القاسم المدنى قاضيها . قال فيه الإمام أحمد : ليس بشيء وقد سمعته منه ثم مزقت حديثه ، كان كذاباً وأحاديثه مناكير . وكذا ضعفه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والجوزجانى[٦] والبخارى وأبو داود والنسائى ، وقال ابن عدى : عامة أحاديثه مناكير وأفظعها حديث البحر[٧] .

* * *

= (٥ / ٢٨١) : « فيه عبد الرحمن بن عبد الله وهو متروك » وأخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٤ /١٥٨٨) فى ترجمة عبد الرحمن المذكور وساق فيه كلام أحمد بن حنبل عنه والذى سيذكره ابن كثير هنا بعد سطور . وقال ابن حبان فى المجروحين (٢ / ٥٣) : « كان يهم فيقلب الإسناد ويلزق المتن بالمتن » . وانظر العلل المتناهية (١ / ٤٨ - ٥٢) فى تضعيف هذا الحديث بطرقه .

(١) فى د ، ط : عبد الرحمن . وهو خطأ .

(٢) فى د : عبد الله بن عمر .

(٣) حديث عبد الله بن عمرو أخرجه ابن الجوزى فى العلل المتناهية (١ / ٥١) موقوفاً .

(٤) الزاملة : البعير يحمل عليه الإنسان طعامه ومتاعه وحاجياته . وفى ط : ذابلتين وهو خطأ .

(٥) فى ط : عمرو .

(٦) فى د : والجواليقى . والجوزجانى هو إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق ، أبو إسحاق محدث الشام وأحد الحفاظ المصنفين الثقات ، نسبته إلى جوزجان بخراسان مولده فيها ووفاته بدمشق ، له كتاب فى الجرح والتعديل (الأعلام ١ / ٨١) .

(٧) فى د : البخارى .

قال علماء التسيير[1] المتكلمون على العروض والأطوال والبحار والأنهار والجبال والمساحات وما فى الأرض من المدن والخراب والعمارات[2] والأقاليم السبعة الحقيقية فى اصطلاحهم والأقاليم المتعددة العرفية ، وما فى البلدان والأقاليم من الخواص والنباتات ، وما يوجد فى كل قطر من صنوف المعادن والتجارات قالوا : الأرض مغمورة بالماء العظيم إلا مقدار الربع منها وهو تسعون درجة .

والعناية الإلهية اقتضت انحسار الماء عن هذا القدر منها لتعيش الحيوانات عليها وتنبت الزروع والثمار منها ، كما قال تعالى : **﴿ والأرضَ وضَعَها للأنامِ * فيها فاكِهةٌ والنَّخلُ ذاتُ الأكْمامِ * والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحانِ * فَبِأيِّ آلاءِ رَبِّكما تُكذِّبانِ ﴾** .

(سورة الرحمن : ١٠ – ١٣)

قالوا : المعمور من هذا البادى منها قريب الثلثين منه أو أكثر قليلاً ، وهو خمس وتسعون درجة . قالوا : فالبحر المحيط الغربى ويقال له أقيانوس ، وهو الذى يتاخم بلاد المغرب[3] ، وفيه الجزائر الخالدات ، وبينها وبين ساحله عشر درج مسافة شهر تقريباً ، وهو بحر لا يمكن سلوكه ولا ركوبه لكثرة موجه واغتلامه[4] وما فيه من الرياح والأمواج ، وليس فيه صيد ولا يُستخرج منه شيء ولا يُسَافر فيه لمتجر ولا لغيره ، وهو آخذ فى ناحية الجنوب حتى يسامت[5] جبال القمر ، ويقال جبال القمر التى منها أصل منبع نيل مصر ويتجاوز خط الاستواء .

ثم يمتد شرقاً ويصير جنوبى الأرض ، وفيه هناك جزائر الزابج[6] ، وعلى ساحله

---

(١) فى ط : التفسير .

(٢) الأماكن العامرة بالناس الآهلة بهم .

(٣) فى د : العرب . والمقصود به المحيط الأطلسى .

(٤) فى ط : واختلاف . واغتلام البحر : شدة اضطراب أمواجه .

(٥) يسامت هنا : أى يقصد ويتجه نحو .

(٦) فى د : التخريج .

خراب كثير ، ثم يمتد شرقاً وشمالاً حتى يتصل ببحر الصين والهند ، ثم يمتد شرقاً حتى يسامت نهاية الأرض الشرقية المكشوفة وهناك بلاد الصين ، ثم ينعطف فى شرق الصين إلى جهة الشمال حتى يجاوز بلاد الصين ويسامت سد يأجوج ومأجوج ، ثم ينعطف ويستدير[1] على أراضٍ غير معلومة الأحوال .

ثم يمتد مُغرِّباً فى شمال الأرض ويسامت بلاد الروس ويتجاوزها ويعطف مغرباً وجنوباً ويستدير على الأرض ويعود إلى جهة الغرب ، وينبثق من الغربى إلى متن الأرض الزقاق الذى ينتهى أقصاه إلى أطراف الشام من الغرب ، ثم يأخذ فى بلاد الروم[2] حتى يتصل بالقسطنطينية[3] وغيرها من بلادهم .

وينبعث من المحيط الشرقى بحار أُخَر فيها جزائر كثيرة ، حتى إنه يقال : إن فى بحر الهند ألف جزيرة وسبعمائة جزيرة فيها مدن وعمارات سوى الجزائر العاطلة ، ويقال لهذا البحر « البحر[4] الأخضر » ، فشرقيه بحر الصين ، وغربيه بحر اليمن ، وشماله بحر الهند ، وجنوبيه غير معلوم .

وذكروا أن بين بحر الهند وبحر الصين جبالاً فاصلة بينهما وفيها فجاج[5] يسلك المراكب بينها يُسيِّرها لهم الذى خلقها كما جعل مثلها فى البر أيضاً .

قال الله تعالى : ﴿ **وجَعَلْنا فى الأَرْضِ رَوَاسِىَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وجَعَلْنَا فيها فِجَاجاً سُبُلاً لَعلَّهم يَهْتَدُونَ** ﴾ (سوْرة الأنبياء : ٣١)

---

(١) فى د : ويسير .

(٢) فى د : الروس .

(٣) هى استانبول حالياً بتركيا ، وكانت تسمى القسطنطينية فى عهد الدولة البيزنطية ، وسميت فى بعض مراحلها الإسلامية الأستانة .

(٤) تكررت فى د . وهو تلك المنطقة التى تقع فيها جزر أندونيسيا والفلبين ، ومن الممكن أن يكون قد سمى بالبحر الأخضر لكثرة الجزر الخضراء فى هذه المنطقة . وجنوبيه الذى لم يكن معلوماً أيام ابن كثير هو استراليا الحالية .

(٥) الفجاج جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين .

وقد ذكر بطليموس أحد ملوك الهند فى كتابه المسمى بـ « المجسطى » الذى عُرِّبَ فى زمان المأمون ، وهو أصل هذه العلوم أن البحار المتفجرة من المحيط الغربى والشرقى والجنوبى والشمالى كثيرة جداً ، فمنها ما هو واحد ، ولكن يسمى بحسب البلاد المتاخمة له .

فمن ذلك بحر القلزم[1] ، والقلزم قرية على ساحله قريب من أيلة[2] ، وبحر فارس[3] ، وبحر الخزر[4] ، وبحر ورنك ، وبحر الروم[5] ، وبحر بنطس[6] وهو بحر الأزرق ، مدينة على ساحله ، وهو بحر القرم[7] أيضاً ، ويتضايق حتى يصب فى بحر الروم عند جنوبى القسطنطينية ، وهو خليج[8] القسطنطينية ، ولهذا تسرع المراكب فى سيرها من القرم إلى بحر الروم ، وتبطىء إذا جاءت من الإسكندرية إلى القرم لاستقبالها جزيان الماء .

وهذا من العجائب فى الدنيا ، فإن كل ماء جارٍ فهو حلو إلا هذا ، وكل بحر راكد فهو ملح أجاج إلا ما يذكر عن بحر الخزر ، وهو بحر جرجان وبحر طبرستان أن فيه قطعة كبيرة ماء حلواً فراتاً على ما أخبر به المسافرون عنه .

---

(١) بحر القلزم هو البحر الأحمر . وقرية القلزم هى مدينة السويس الحالية .

(٢) أيلة : هى ما يعرف الآن بإيلات وهى تقع فى نهاية خليج العقبة .

(٣) بحر فارس : هو الخليج العربى الآن .

(٤) هو بحر قزوين الذى تطل عليه الجمهوريات الجنوبية الغربية فى الاتحاد السوفيتى وتطل عليه إيران فيقع فى شمالها .

(٥) هو البحر الأبيض المتوسط ، وقد أطلق عليه الرومان عندما كانوا فى أوج قوتهم اسم (مارنوسترم) أى بحرنا . والاسم المعروف به الآن مشتق من كلمتين لاتينيتين هما « ميدياس » أى المتوسط ، وتيرا أى الأبيض .

(٦) فى ط : بنطس . وفى د : برنس . وهو ما يعرف الآن باسم البحر الأسود ، وتقع عليه دول تركيا والاتحاد السوفيتى ورومانيا وبلغاريا . وقد كان يسمى بحر بنطس نسبة إلى سلسلة جبال بنطس بتركيا قريباً منه .

(٧) فى د : القمر .

(٨) هو ما يعرف الآن بخليج البسفور .

قال أهل الهيئة : وهو بحر مستدير الشكل إلى الطول ما هو ، وقيل : إنه مثلث كالقِلْع[(١)] ، وليس[(٢)] هو متصلاً بشىء من البحر المحيط ، [بل منفرد][(٣)] وحده ، وطوله ثمانمائة ميل وعرضه ستمائة ، وقيل أكثر من ذلك والله أعلم .

ومن ذلك البحر الذى يخرج منه المد والجزر عند البصرة ، وفى بلاد المغرب نظيره أيضاً ، يتزايد الماء من أول الشهر ولا يزال فى زيادة إلى تمام الليلة الرابعة عشر منه وهو المد ، ثم يشرع فى النقص وهو الجزر[(٤)] إلى آخر الشهر .

وقد ذكروا تحديد هذه البحار ومبتداها[(٥)] ومنتهاها ، وذكروا ما فى الأرض من البحيرات المجتمعة من الأنهار وغيرها من السيول وهى البطائح[(٦)] .

وذكروا ما فى الأرض من الأنهار المشهورة الكبار ، وذكروا ابتداءها وانتهاءها ، ولسنا بصدد بسط ذلك والتطويل فيه ، وإنما نتكلم على ما يتعلق بالأنهار [الوارد ذكرها][(٧)] فى الحديث .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **اللهُ الَّذى خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ وأنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأخْرجَ به مِنَ الثَّمراتِ رِزْقاً لكُمْ وسَخَّر لكمُ الفُلْكَ لِتَجْرِىَ فى البَحْرِ بأمْرِه وسَخَّر لكُمُ الأنهارَ * وسَخَّر لكُمُ الشمسَ والقَمرَ دَائِبيْنِ وسَخَّر لكُمُ الليلَ والنهارَ * وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سألتُموهُ وإنْ تَعُدوا نِعْمةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إنَّ الإنْسانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ .
(سورة إبراهيم : ٣٢ - ٣٤)

---

(١) القلع : شراع السفينة ، وهو مثلث الشكل .

(٢) فى د : ويصير .

(٣) فى د : بالمنفرد .

(٤) فى د : الخزار .

(٥) فى د : ومسيرها .

(٦) البطائح : جمع البطحاء ، وهو تراب لين مما جرته السيول ، ذو حصى صغير .

(٧) فى د : الواردة وذكروها .

ففى الصحيحين من طريق قتادة عن أنس بن مالك [عن مالك][1] بن صعصعة أن رسول الله ﷺ لما ذكر سدرة المنتهى قال : « فإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران ، فأما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات »[2] .

وفى لفظ فى البخارى : « وعنصرهما » أى مادتهما أو شكلهما وعلى صفتهما ونعتهما ، وليس فى الدنيا مما فى الجنة [إلا الأسماء][3] .

وفى صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن عمر [عن خبيب][4] بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « سيحان وجيحان والفرات والنيل ، كُلٌّ من أنهار الجنة »[5] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا ابن نمير ويزيد . أنبأنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « فُجِّرَتْ أربعة أنهار من الجنة : الفرات والنيل وسيحان وجيحان »[6] . وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم .

وكأن المراد – والله أعلم – من هذا أن هذه الأنهار تشبه أنهار الجنة فى صفائها وعذوبتها وجريانها ومن جنس تلك فى هذه الصفات ونحوها .

---

(١) ناقص فى : د .

(٢) أخرجه البخارى (٦ / ٣٠٢) (٧ / ٢٠١) ، ومسلم (١ / ١٤٩ – ١٥١) ، وأحمد (٤ / ٢٠٧ ، ٢٠٨) والنسائى (١ / ٢١٧) ، والطبرانى فى المعجم الصغير (٢ / ١٣١) .

(٣) فى د : الأسماء . وفى ط : الأسماوية .

(٤) فى د : جندب .

(٥) أخرجه مسلم (٤ / ٢١٨٣) ، وأخرجه الديلمى فى الفردوس حديث (٦٩٠٩) بلفظ : « النيل والفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة » .

(٦) أخرجه أحمد (٢ / ٢٦١) والبغدادى فى تاريخه (٨ / ١٨٥) والحميدى فى مسنده (٢ / ٤٩١) وأبو يعلى فى مسنده (١٠ / ٣٢٧) عن محمد بن عمرو به . قال الألبانى فى الصحيحة (١ / ١٧) : « هذا إسناد حسن » .

كما قال فى الحديث الآخر الذى رواه الترمذى وصححه من طريق سعيد بن عامر عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « العجوة من الجنة ، وفيها شفاء من السم »[١] .

أى تشبه ثمر الجنة لا أنها مُجْتَنَاةٌ من الجنة ، فإن الحس يشهد بخلاف ذلك ، فتعين أن المراد غيره ، وكذا قوله ﷺ : « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء »[٢] وكذا قوله : « إذا اشتد [الحر فأبردوا عن الصلاة][٣] فإن شدة الحر من فيح جهنم »[٤] وهكذا هذه الأنهار أصل منبعها مُشَاهَدٌ من الأرض .

أما النيل .. وهو النهر الذى ليس فى أنهار الدنيا له نظير فى خفته ولطافته وبُعْد مسراه فيما بين مبتداه إلى منتهاه ، فمبتداه من الجبال القمر أى البيض ، ومنهم من يقول « جبال القمر » بالإضافة إلى الكوكب ، وهى فى غربى الأرض وراء خط الاستواء إلى الجانب الجنوبى .

ويقال إنها حمر ينبع من بينها عيون ، ثم يجتمع من عشر ميلات متباعدة ، ثم يجتمع كل خمسة منها فى بحر ، ثم يخرج منها أنهار ستة ، ثم تجتمع كلها فى بحيرة أخرى ،

---

(١) أخرجه من هذه الطريق الترمذى (٤ / ٤٠٠) وقال : حسن غريب . ويبدو أن الإمام ابن كثير قد اطلع على نسخة للترمذى لم تصل إلينا صحح فيها الترمذى هذا الحديث ، وأخرجه من طريق شهر بن حوشب عن أبى هريرة الإمام أحمد (٢ / ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٤٢١ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥١١) .

(٢) روى هذا الحديث غير واحد من الصحابة ، انظر البخارى (١٠ / ١٧٤) (٦ / ٣٣٠) ، مسلم (٤ / ١٧٣١) ، وأحمد (٢ / ٢١ ، ١٣٤) (٣ / ٤٦٤) (٥ / ٢١٦) (٦ / ٥٠) ، وابن ماجه (٢ / ١١٤٩) ، والترمذى (٤ / ٤٠٤) .

(٣) فى ط : الحمى فأبردوها بالماء .

(٤) أخرجه عن أبى هريرة البخارى (٢ / ١٨) ، ومسلم (١ / ٤٣٠) وأحمد (٢ / ٢٢٩ ، ٢٣٨ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٣١٨ ، ٣٤٨ ، ٣٧٧ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٠ ، ٤١١ ، ٤٦٢ ، ٥٠١ ، ٥٠٧) ، وأبو داود (١ / ١١٠) ، والنسائى (١ / ٢٤٨) ، والترمذى (١ / ٢٩٥) وقال : حسن صحيح .

ثم يخرجُ منها نهر واحد هو النيل ، فيمرُّ على بلاد السودان بالحبشة ثم على النوبة ومدينتها العظمى دمقلة[1] ثم على أسوان ثم يَفِدُ على ديار مصر .

وقد تحمل إليها من بلاد الحبشة زيادات أمطارها وما اجترف من ترابها وهى محتاجة إليهما معاً ، لأن مطرها قليل لا يكفى[2] زروعها وأشجارها ، وتربتها رمال لا تنبت شيئاً حتى يجىء النيل بزيادته وطينه فينبت فيه ما يحتاجون إليه ، وهى من أحق الأراضى بدخولها فى قوله تعالى :

﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الماءَ إلى الأَرْضِ الجُرُزِ فنُخْرِجُ به زَرْعاً تأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُم وأَنْفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ ﴾ (سورة السجدة : ٢٧)

ثم يجاوز النيل مصر قليلاً فيفترق شطرين عند قرية [على شاطئه][3] يقال لها « شطنوف »[4] ، فيمرُّ الغربى على رشيد ويصب فى البحر المالح ، وأما الشرقى [فيفترق أيضاً عند جوْجَر[5] فرقتين : تمرُّ الغربية منهما على دمياط من غربيها ويصب فى البحر ، والشرقية][6] منهما يمرُّ على أشمون طناح[7] فيصب هناك فى بحيرة شرق دمياط

---

(١) فى د : دملقة . وهى مدينة دنقلة الحالية فى السودان فى الإقليم الشمالى بها بالقرب من نهر النيل .

(٢) فى د : يغنى .

(٣) ناقص فى : د .

(٤) من القرى القديمة التابعة لمركز أشمون بمحافظة المنوفية بمصر . وكان النيل يتفرع عندها إلى فرعين لغاية منتصف القرن ١٦ ، ولكن بعد ذلك اتصلت جزيرة دروة بها فأصبح النيل يتفرع عند القناطر الخيرية .

(٥) قرية قديمة تابعة لمركز طلخا التابع لمحافظة الدقهلية على الضفة الغربية لفرع النيل بين ميت عساس وطلخا .

(٦) ما بين القوسين المعقوفين ناقص فى : د .

(٧) مدينة قديمة قرب دمياط كانت تابعة للدقهلية قبل ذلك وكانت عاصمة الدقهلية والمرتاحية بعد ضمهما وكانت إذ ذاك من أزهى وأشهر المدن المصرية ، وفى أوائل الحكم العثمانى أصبحت المنصورة عاصمة الدقهلية ، فأصبحت أشمون طناح مجرد قرية عادية من قرى مركز دكرنس .

يقال لها « بحيرة تنيس »[1] وبحيرة دمياط .

وهذا بُعْدٌ عظيم فيما بين مبتداه إلى منتهاه ، ولهذا كان ألطف المياه .

وقال ابن سينا : له خصوصيات دون مياه سائر الأرض ، فمنها أنه أبعدها مسافة من مجراه إلى أقصاه ، ومنها أنه يجرى على صخور ورمال ليس فيه خز ولا طحلب[2] ولا أوحال ، ومنها أنه لا يخضر فيه حجر ولا حصاة ، وما ذاك إلا لصحة مزاجه وحلاوته ولطافته ، ومنها أن زيادته فى أيام نقصان سائر الأنهار ، ونقصانه فى أيام زيادتها وكثرتها .

وأما ما يذكره بعضهم من أن أصل منبع النيل من مكان مرتفع اطلع عليه بعض الناس ، فرأى هناك هولاً عظيماً وجوارى حساناً وأشياء غريبة ، وأن الذى اطلع على ذلك لا يمكنه الكلام بعد هذا ، فهو من خرافات المؤرخين وهذيانات الأفاكين .

* * *

وقد قال عبد الله بن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال : « [لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل شهر بؤنة][3] من أشهر العجم[4] فقالوا : أيها الأمير إن لنيلنا هذا سُنَّةً لا يجرى إلا بها ، فقال لهم : وما ذاك ؟ قالوا : إذا كانت اثنتى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بِكْرٍ بين أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلىّ والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون فى الإسلام ، وإن الإسلام يهدم [ما كان قبله][5] . فأقاموا بؤنة والنيل لا يجرى لا قليلاً ولا كثيراً – وفى رواية : فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى وهو لا يجرى حتى هموا بالجلاء – فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ،

---

(١) أعتقد أنها بحيرة المنزلة باسمها الحالى .

(٢) الطحلب : خُضْرة تعلو الماء الراكد ، وهو الذى يكون على الماء كأنه نسج العنكبوت .

(٣) فى د : لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بؤنة .

(٤) وقع هنا فى ط بين قوسين : القبطية .

(٥) فى ط : ما قبله .

فكتب إليه عمر : إنك قد أصبت بالذى فعلت ، وإنى قد بعثت إليك ببطاقة داخل كتابى هذا فألقها فى النيل ، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة ففتحها فإذا فيها :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر[1] : أما بعد ، فإن كنت تجرى[2] من قِبَلِكَ فلا تجرِ ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله أن يجريك » .

فألقى عمرو البطاقة فى النيل ، فأصبح يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً فى ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السُّنة عن أهل مصر إلى اليوم » .

* * *

وأما الفرات فأصلها من شمالى أرض الروم[3] فتمرُّ إلى قرب ملطيه ثم تمرُّ على شمشاط[4] ، ثم على البيرة[5] قبليها ثم تُشرِّق إلى بالس[6] وقلعة جَعْبر[7] ثم الرقة[8] ثم إلى الرحبة[9] شماليها ثم إلى عانة[10] ثم إلى هيت ثم إلى الكوفة ، ثم تخرج إلى فضاء العراق ،

---

(١) فى د : أهل مصر .

(٢) فى د : إنما تجرى .

(٣) فى د : أردن الروم . وفى ط : أررن الروم .

(٤) فى د ، ط : شميشاط . وهى مدينة ببلاد الروم (تركيا حالياً) على شاطىء الفرات وكانت خراباً فى زمن ياقوت الحموى كما قال عنها .

(٥) قال ياقوت الحموى : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية وهى قلعة حصينة .

(٦) بلدة بالشام بين حلب والرقة وكانت على ضفة الفرات الغربية فلم يزل الفرات يشرق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما فى أيامنا هذه (أيام الحموى) أربعة أميال .

(٧) قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين وكانت قديماً (قبل الحموى) دوسر وهى منسوبة إلى رجل أعمى من بنى قشير يقال له جعبر بن مالك .

(٨) مدينة مشهورة على الفرات من جانب الفرات الشرق . وهى عاصمة محافظة الرقة بسوريا .

(٩) المقصود هنا رحبة مالك بن طوق بين الرقة وبغداد على شاطىء الفرات . قال البلاذرى : لم يكن لها أثر قديم إنما أحدثها مالك بن طوق التغلبى فى خلافة المأمون .

(١٠) بلد مشهور بين الرقة وهيت يعد فى أعمال الجزيرة (أى المنطقة الواقعة بين نهرى دجلة والفرات) قرب حديثة النورة (يبدو أنها مدينة الحديثة على خريطة العراق) . أما عانة فتوجد على الخريطة (عنه) .

ويصب فى بطائح كبار أى بحيرات وترد إليها ، ويخرج منها أنهار كبار معروفة .

وأما سيحان[١] ويقال له سيحون أيضاً ، فأوله من بلاد الروم ويجرى من الشمال والغرب إلى الجنوب والشرق ، وهو غربى مجرى جيحان ودونه فى القدر ، وهو ببلاد الأرض التى تعرف اليوم ببلاد سيس[٢] ، وقد كانت فى أول الدولة الإسلامية فى أيدى المسلمين ، فلما تغلَّب[٣] الفاطميون على الديار المصرية وملكوا الشام وأعمالها عجزوا عن صونها عن الأعداء ، فتغلب تقفور[٤] الأرمنى على هذه البلاد أعنى بلاد سيس فى حدود الثلاثمائة وإلى يومنا هذا ، والله المسئول عودها إلينا بحَوْله وقوته .

ثم يجتمع سيحان وجيحان عند أذنه[٥] فيصيران نهراً واحداً ، ثم يصبان فى بحر الروم بين أياس وطرسوس[٦] .

وأما جيحان ويقال له جيحون أيضاً ، وتسميه العامة « جاهان »[٧] ، وأصله فى بلاد الروم ويسير فى بلاد سيس من الشمال إلى الجنوب ، وهو يقارب الفرات فى القدر ، ثم يجتمع هو وسيحان عند اذنه فيصيران نهراً واحداً ، ثم يصبان فى البحر عند أياس وطرسوس ، والله أعلم .

---

(١) نهر سيحان منبعه من نهر أذنه التركية حالياً ، وسيأتى التعريف بأذنه قريباً ، ويمتد فى الأراضى السورية حتى يصب فى بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) .

(٢) وهى تركيا حالياً ، ولكن لم يتضح لى تسمية بلاد سيس .

(٣) فى د : انقلب .

(٤) فى د : التفقور .

(٥) تقع اذنه الآن فى تركيا يحدها شمالاً أنقرة وشرقاً حلب وجنوباً البحر المتوسط وغرباً قونيه وبعض أنقرة ، كثيرة الغابات والأشجار بها مسلمون وأرمن وروم وبروتسانت ويرويها نهرا سيحون وجيحون .

(٦) هما ميناءان فى سورية على البحر الأبيض المتوسط ويسميان الآن : بانياس – طرطوس ، وهما تابعان لمحافظة اللاذقية .

(٧) فى د : جامان .

الله الذى رفع السموات

قال الله تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى رَفَعَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمّ استَوى على العَرْشِ وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمرَ كُلٌّ يَجْرِى لأجَلٍ مُسمًّى يُدبِّرُ الأمْرَ يُفصِّلُ الآياتِ لَعلَّكُمْ بلقاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وهو الَّذِى مَدَّ الأرضَ وجعلَ فيها رَوَاسِىَ وأَنْهاراً ومِنْ كُلِّ الثَّمراتِ جَعَلَ فيها زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى الليلَ النهارَ إنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتفكَّرُونَ * وفى الأرضِ قِطَعٌ مُتجاوِرَاتٌ وجنَّاتٌ مِنْ أعْنابٍ وزَرْعٌ ونَخِيلٌ صِنْوانٌ وغَيْرُ صِنْوانٍ يُسْقَى بماءٍ واحِدٍ ونُفَضِّلُ بَعْضَها على بَعْضٍ فى الأُكُلِ إنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الرعد : ٢ — ٤)

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّماواتِ والأرْضَ وأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً فأَنْبَتْنا به حَدائِقَ ذَاتَ بَهْجةٍ ما كَانَ لكُمْ أَنْ تُنْبِتوا شَجَرَها ءَإلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الأرضَ قَرَاراً وجَعَلَ خِلَالَها أَنْهاراً وجَعَلَ لها رَواسِىَ وجَعَلَ بين البَحْرَيْنِ حَاجِزاً ءَإلَهٌ مع اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُم لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النمل : ٦٠ — ٦١)

وقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ ومِنْه شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ لَكُمْ به الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ والنَّخيلَ والأعْنابَ ومِنْ كُلِّ الثَّمراتِ إنَّ فى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ * وسَخَّرَ لكمُ الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنُّجومَ مُسخَّراتٍ بأمْرِه إنَّ فى ذَلِكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة النحل : ١٠ — ١٢)

فذكر تعالى ما خلق فى الأرض من الجبال والأشجار والثمار والسهول والأوعال وما خلق من صنوف المخلوقات من الجمادات والحيوانات فى البرارى والقفار والبر والبحار ما يدل على عظمته وقدرته وحكمته ورحمته بخلقه ، وما سهل لكل دابة من

الرزق الذى هى محتاجة إليه فى ليلها ونهارها وصيفها وشتائها وصباحها ومسائها ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (سورة هود : ٦)

وقد روى الحافظ أبو يعلى[1] عن محمد بن المثنى عن عبيد بن واقد عن محمد بن عيسى بن كيسان عن محمد بن المنكدر عن جابر عن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « خلق الله ألف أمة منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر ، وأول شىء يهلك من هذه الأمم الجراد ، فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قُطِعَ سلكه »[2] .

عبيد بن واقد أبو عباد البصرى ، ضعفه أبو حاتم . وقال ابن عدى : عامة ما يرويه لا يُتابع عليه وشيخه أضعف منه . قال الفلاس والبخارى : منكر الحديث . وقال أبو زرعة : لا ينبغى أن يُحدَّث عنه . وضعفه ابن حبان والدارقطنى ، وأنكر عليه ابن عدى هذا الحديث بعينه وغيره ، والله أعلم .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (سورة الأنعام : ٣٨)

---

(١) هو الحافظ الثقة محدث الجزيرة أحمد بن على بن المثنى صاحب المسند ووثقه تلميذه ابن حبان بالإتقان والدين ، وُلد ٢١٠ هـ وتوفى ٣٠٧ هـ . تذكرة الحفاظ (٢ / ٧٠٧) .

(٢) لم أجده فى مسند أبى يعلى المطبوع ويبدو أنه فى مسنده الكبير ، وقد أشار إلى هذا الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٧ / ٣٢٢) وقال : فيه عبيد بن واقد القيسى وهو ضعيف . وكذا أخرجه ابن عدى فى « الكامل » (٦ / ٢٢٤٩) ، وابن حبان فى « المجروحين » (٢ / ٢٥٦) من طريق شيخه أبى يعلى ثم قال : « هذا شىء لا شك أنه موضوع ليس هذا من كلام رسول الله ﷺ » . وكذا أورده ابن الجوزى فى « الموضوعات » (٣ / ١٣) ، وقد عزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (١ / ١٣) إلى الحكيم الترمذى فى « نوادر الأصول » ، وأبى الشيخ فى العظمة ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، والخطيب فى التاريخ ، قال : بسند ضعيف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذكر ما يتعلق بخلق السموات وما فيهن من الآيات

قد قدمنا أن خلق الأرض قبل خلق السماء كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ ما فِى الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ فَسوَّاهُنَّ سَبْعَ سماواتٍ وهو بكُلِّ شىءٍ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة : ٢٩)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ أئِنَّكُمْ لَتَكْفُرونَ بالَّذِى خَلَقَ الأرضَ فى يَوْمَيْنِ وتَجْعلُونَ لَهُ أنْداداً ذَلِكَ رَبُّ العالمينَ * وجَعَلَ فيها رَوَاسِىَ مِنْ فَوْقِهَا وبَارَكَ فيها وقَدَّرَ فيهَا أقْواتَها فى أرْبعةِ أيَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلينَ * ثُمَّ اسْتَوَى إلى السَّماءِ وَهِى دُخَانٌ فقال لها وللأرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالتَا أَتَيْنَا طَائِعينَ * فقضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فى يَوْمَيْنِ وأَوْحَى فى كُلِّ سَماءٍ أمْرَهَا وزَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصابِيحَ وحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العزيزِ العَليم ﴾ (سورة فصلت : ٩ – ١٢)

وقال تعالى : ﴿ أأنْتُمْ أشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بناها * رَفَعَ سَمْكَها فسوَّاهَا * وأغْطَشَ لَيْلَهَا وأخْرَجَ ضُحَاهَا * والأرضَ بعدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (سورة النازعات : ٢٧ – ٣٠)

فإن الدحى غير الخلق وهو بعد خلق السماء .

وقال تعالى : ﴿ تَبارَكَ الَّذِى بيدهِ المُلْكُ وهُوَ على كُلِّ شىءٍ قديرٌ * الَّذِى خَلَقَ الموتَ والحياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُم أحسنُ عَمَلاً وهو العزيزُ الغفورُ * الذى خَلَقَ سَبْعَ سماواتٍ طِباقاً ما تَرىَ فى خَلْقِ الرَّحمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فارْجِعِ البَصرَ هل ترىَ مِنْ فُطُورٍ * ثُم ارْجِعِ البَصرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إليكَ البَصرُ خاسِئاً وهو حَسِيرٌ * ولقدْ زَيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بِمصابيحَ وجَعَلْناهَا رُجُوماً للشياطينِ وأعْتَدْنَا لَهُمْ عَذابَ السَّعيرِ ﴾ .

(سورة الملك : ١ – ٥)

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا كيفَ خَلَقَ اللهُ سَبْعَ سماواتٍ طِبَاقاً * وجعلَ القمرَ فيهِنَّ نُوراً وجعلَ الشمسَ سِرَاجاً ﴾ (سورة نوح : ١٥ ، ١٦)

وقال تعالى : ﴿ اللهُ الَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ ومِنَ الأرضِ مِثْلَهُنَّ يَتنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنهُنَّ لِتَعْلَمُوا أنَّ اللهَ على كُلِّ شىءٍ قَدِيرٌ وأنَّ اللهَ قَدْ أحاطَ بكُلِّ شىءٍ عِلْماً ﴾ .

(سورة الطلاق : ١٢)

وقال تعالى : ﴿ تبارَكَ الَّذِى جَعَلَ فى السَّماءِ بُرُوجاً وجَعَلَ فيها سِرَاجاً وقَمَراً مُنِيراً * وهُوَ الذِى جعلَ الليلَ والنَّهارَ خِلْفةً لِمَنْ أرادَ أَنْ يَذكَّرَ أَوْ أرادَ شُكُوراً ﴾

(سورة الفرقان : ٦١ ، ٦٢)

وقال تعالى : ﴿ إنَّا زَيَّنَّا السماءَ الدُّنْيا بِزِينَةٍ الكَواكِبِ * وحِفْظاً من كُلِّ شَيْطانٍ مَارِدٍ * لا يَسَّمَّعُونَ إلى الملأ الأعْلى ويُقْذَفُونَ من كُلِّ جانبٍ * دُحُوراً ولَهُمْ عذابٌ وَاصِبٌ * إلَّا مَنْ خَطِفَ الخَطْفَةَ فأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (سورة الصافات : ٦ - ١٠)

وقال تعالى : ﴿ ولقدْ جَعلْنَا فى السَّماءِ بُرُوجاً وزيَّنَّاهَا للنَّاظِرِينَ * وحَفِظْناهَا من كُلِّ شَيْطانٍ رجيمٍ * إلَّا مَنِ استَرَقَ السَّمْعَ فأَتْبَعَهُ شِهابٌ مبينٌ ﴾ (سورة الحجر : ١٦ - ١٨)

وقال تعالى : ﴿ والسماءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وإنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ (سورة الذاريات : ٤٧)

وقال تعالى : ﴿ وجَعلْنَا السماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وهُمْ عَنْ آياتِها مُعْرِضُونَ * وهُوَ الَّذِى خَلَقَ الليلَ والنهارَ والشمسَ والقمرَ كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبحُونَ ﴾ .

(سورة الأنبياء : ٣٢ ، ٣٣)

وقال تعالى : ﴿ وآيةٌ لهمُ الليلُ نَسْلَخُ منه النهارَ فإذَا هُمْ مُظْلِمُونَ * والشمسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لها ذَلِكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ * والقمرَ قَدَّرْنَاهُ مَنازِلَ حتَّى عَادَ كالعُرْجُونِ القديمِ * لا الشَّمْسُ يَنْبغى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمرَ ولَا الليلُ سابقُ النهارِ وكُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبحُونَ ﴾

(سورة يس : ٣٧ - ٤٠)

وقال تعالى : ﴿ فَالِقُ الإصْباحِ وجَعلَ الليلَ سَكَناً والشَّمْسَ والقمرَ حُسْباناً ذَلِكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ * وهُو الذِى جَعلَ لكُمُ النُّجومَ لِتَهْتَدُوا بها فى ظُلماتِ البَرِّ والبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلمُونَ ﴾

(سورة الأنعام : ٩٦ ، ٩٧)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ فى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى على العَرْشِ يُغْشِي الليلَ النهارَ يَطْلُبه حَثِيثاً والشمسُ والقمرُ والنجومُ مُسخَّراتٌ بأمرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمينَ ﴾ (سورة الأعراف : ٥٤)

والآيات فى هذا كثيرة جداً ، وقد تكلمنا على كل منها فى التفسير .

والمقصود أنه تعالى يخبر عن خلق السماوات وعظمة اتساعها وارتفاعها ، وأنها فى غاية الحسن والبهاء والكمال والسناء[1] .

كما قال تعالى : ﴿ والسماءِ ذَاتِ الحُبُكِ ﴾ (سورة الذاريات : ٧)

أى الخَلْق الحسن .

وقال تعالى : ﴿ فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إليكَ البصَرُ خَاسِئاً وهُوَ حَسِيرٌ ﴾ (سورة الملك : ٣ ، ٤)

أى خاسئاً عن أن يرى فيها نقصاً أو خللاً ، ﴿ وهُوَ حَسِيرٌ ﴾ أى كليل ضعيف ، ولو نظر حتى يَعْىَ ويَكِلَّ ويَضْعُفَ لما اطلع على نقص فيها ولا عيب ، لأنه تعالى قد أحكم خَلْقها وزيَّنَ بالكواكب أُفْقها .

كما قال : ﴿ والسماءِ ذَاتِ البُرُوجِ ﴾ (سورة البروج : ١)

أى : النجوم . وقيل : محال الحرس التى يرمى منها بالشهب لمسترق[2] السمع . ولا منافاة بين القولين .

وقال تعالى : ﴿ ولقدْ جَعلْنَا فى السَّماءِ بُرُوجاً وزَيَّنَّاهَا للنَّاظِرينَ * وحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ (سورة الحجر : ١٦ ، ١٧)

فذكر أنه زيَّن منظرها بالكواكب الثوابت والسيارات والشمس والقمر والنجوم الزاهرات ، وأنه صان حوزتها عن حلول الشياطين بها ، وهذا زينة معنًى ، فقال : ﴿ وحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ .

---

(١) السناء : الضوء والرفعة .

(٢) استراق السمع : اختلاس النظر والسمع .

كما قال : ﴿ إنَّا زَيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بزينةٍ الكواكبِ * وحِفْظاً من كُلِّ شيطانٍ ماردٍ * لَا يَسَّمَّعُونَ إلى الملأِ الأعْلَى ﴾ (سورة الصافات : ٦ - ٨)

* * *

قال البخارى فى كتاب « بدء الخلق »[١] : وقال قتادة : ﴿ ولقدْ زَيَّنَّا السماءَ الدنيا بمصَابيحَ ﴾ خلق هذه النجوم لثلاث : جعلها زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يُهْتَدَى بها . فمن تأول بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به .

وهذا الذى قاله قتادة مُصرَّحٌ به فى قوله تعالى : ﴿ ولقدْ زَيَّنَّا السماءَ الدُّنيا بمصابيحَ وجَعلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّياطِينِ ﴾ (سورة الملك : ٥)

وقال تعالى : ﴿ وهُوَ الذِى جعلَ لكُمُ النجومَ لِتَهْتَدُوا بها فى ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ ﴾ (سورة الأنعام : ٩٧)

فمن تكلف غير هذه الثلاث أى من علم أحكام ما تدل عليه حركاتها ومقارناتها فى سيرها وأن ذلك يدل على حوادث أرضية فقد أخطأ ، وذلك أن أكثر كلامهم فى هذا الباب ليس فيه إلا حَدْس[٢] وظنون كاذبة ودعاوى باطلة .

وذكر تعالى أنه خلق سبع سماوات طباقاً ، أى واحدة فوق واحدة ، واختلف أصحاب الهيئة هل هُنَّ متراكات أو متفاصلات بينهن خلاء ، على قولين ، والصحيح الثانى لما قدمنا من حديث عبد الله بن عميرة عن الأحنف عن العباس فى حديث الأوعال أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة عام ، ومن كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة ، وكُثُفُ كل سماء خمسمائة سنة » الحديث بتمامه رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والترمذى وحسَّنه[٣] .

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه (٦ / ٢٩٥) فى كتاب بدء الخلق . قال ابن حجر فى الفتح : « وصله عبد بن حميد من طريق شيبان عنه به » .

(٢) الحدس : الظن والتخمين .

(٣) تقدم حديث الأوعال ص ٣٨ ، وتقدم تخريجه هناك .

وفى الصحيحين من حديث أنس فى حديث الإسراء قال فيه : « ووجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال : مرحباً وأهلاً بابنى نِعْمَ الابن أنت . إلى أن قال : ثم عرج إلى السماء الثانية . وكذا ذكر فى الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة » .

فدل على التفاصل بينها لقوله : « ثم عرج بنا حتى أتينا السماء الثانية فاستفتح فقيل : من هذا ؟ » الحديث . وهذا يدل على ما قلناه والله أعلم .

وقد حكى ابن حزم وابن المنير وأبو الفرج بن الجوزى وغير واحد من العلماء الإجماعَ على أن السماوات كرة مستديرة ، واستدل على ذلك بقوله : ﴿ **كُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ (سورة الأنبياء : ٣٣) . قال الحسن : يدورون . وقال ابن عباس : فى فلكة مثل فلكة المغزل . قالوا : ويدل على ذلك أن الشمس تغرب كل ليلة من المغرب ثم تطلع فى آخرها من المشرق ، كما قال أمية بن أبى الصلت :

والشمسُ تَطْلُعُ[1] كلَّ آخر ليلةٍ حمراء يُصبح لونُها يَتورَّدُ[2]
تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها إلَّا مُعذَّبةً وإلَّا تَجلَّدُ

فأما الحديث الذى رواه البخارى حيث قال : حدثنا محمد بن يوسف حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذرٍّ قال : قال رسول الله ﷺ لأبى ذرٍّ حين غربت الشمس : « تدرى أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيُؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يُقبل منها وتستأذن فلا يُؤذن لها ، ويُقال لها : ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى : ﴿ **والشمسُ تجرى لِمُستَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ** ﴾ (سورة يس : ٣٨) »[3]

---

(١) فى د : تبدو .
(٢) فى ط : حمراء مطلع لونها متورد .
(٣) أخرجه البخارى (٦ / ٢٩٧) (٨ / ٥٤١) (١٣ / ٤٠٤) ، ومسلم (١ / ١٣٨) ، وأحمد (٥ / ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ١٧٧) ، وأبو داود الطيالسى فى مسنده (٢ / ٦٢) ، والترمذى (٤ / ٤٧٩) (٥ / ٣٦٤) .

هذا لفظه فى بدء الخلق ، ورواه فى التفسير وفى التوحيد من حديث الأعمش أيضاً .
ورواه مسلم فى الإيمان من طريق الأعمش ومن طريق يونس بن عبيد ، وأبو داود من طريق الحكم بن عتبة كلهم عن إبراهيم بن يزيد بن شريك عن أبيه عن أبى ذر به نحوه .
وقال الترمذى : حسن صحيح .

إذا عُلم هذا فإنه حديث لا يعارض ما ذكرناه من استدارة الأفلاك التى هى السماوات على أشهر القولين ، ولا يدل على كُرِّية العرش كما زعمه زاعمون قد أبطلنا قولهم فيما سلف ، ولا يدل على أنها تصعد إلى فوق السماوات من جهتنا حتى تسجد تحت العرش ، بل هى تغرب عن أعيننا وهى مستمرة فى فلكها الذى هى فيه ، وهو الرابع فيما قاله غير واحد من علماء التسيير[1] .

وليس فى الشرع ما ينفيه ، بل فى الحس وهو الكشوفات ما يدل عليه ويقتضيه ، فإذا ذهبت فيه حتى تتوسطه وهو وقت نصف الليل مثلاً فى اعتدال الزمان بحيث يكون بين القطبين الجنوبى والشمالى فإنها تكون أبعد ما يكون من العرش لأنه مُقبَّب من جهة وجه العالم ، وهذا محل سجودها كما يناسبها . كما أنها أقرب ما تكون من العرش وقت الزوال من جهتنا .

فإذا كانت فى محل سجودها استأذنت الرب جل جلاله فى طلوعها من الشرق فيؤذن لها فتبدو من جهة الشرق وهى مع ذلك كارهة لعصاة بنى آدم أن تطلع عليهم ، ولهذا قال أمية :

تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها إلَّا مُعذَّبة وإلا تجلَّدُ

فإذا كان الوقت الذى يريد الله طلوعها من جهة مغربها تسجد على عادتها وتستأذن فى الطلوع من عادتها فلا يُؤْذَن لها ، فجاء « أنها تسجد أيضاً ثم تستأذن فلا يُؤْذَن لها ، ثم تسجد فلا يُؤْذَن لها وتطول تلك الليلة ، كما ذكرنا فى التفسير[2] ، فتقول : يارب إن

---

(١) فى ط : التفسير .

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣ / ٥٧١ ، ٥٧٢) .

الفجر قد اقترب وإن المدى بعيد . فيقال لها : ارجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها ، فإذا رآها الناس آمنوا جميعاً ، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً»[1] .

وفسروا بذلك قوله تعالى : ﴿ **والشمسُ تجرِى لمسْتقرٍّ لَهَا** ﴾ قيل : لوقتها الذى تُؤْمَرُ فيه أن تطلع من مغربها . وقيل : مستقرها موضعها الذى تسجد فيه تحت العرش . وقيل : منتهى سيرها وهو آخر الدنيا .

وعن ابن عباس أنه قرأ (والشمس تجرى لا مستقر لها) أى ليست تستقر ، فعلى هذا تسجد وهى سائرة .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **لَا الشمسُ يَنْبغِى لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القمرَ ولَا الليلُ سَابِقُ النهارِ وكُلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبحُونَ** ﴾ (سورة يس : ٤٠)

أى لا تدرك الشمسُ القمرَ فتطلع فى سلطانه ودولته ولا هو أيضاً ، ولا الليل سابق النهار أى ليس سابقه بمسافة يتأخر ذاك عنه فيها ، بل إذا ذهب [الليل جاء النهار فى أثره متعقباً له ، وإذا ذهب][2] النهار جاء الليل فى أثره متعقباً له ، كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **يُغْشِى الليلَ النهارَ يَطْلُبُه حَثِيثاً والشمسُ والقمرُ والنجومُ مُسخَّراتٌ بأمرِهِ أَلَا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تبارَكَ اللهُ رَبُّ العالمينَ** ﴾ (سورة الأعراف : ٥٤)

وقال تعالى : ﴿ **وهُوَ الذِى جعلَ الليلَ والنهارَ خِلْفَةً لِمَنْ أرادَ أَنْ يَذكَّرَ أَوْ أَرادَ شُكُوراً** ﴾ (سورة الفرقان : ٦٢)

أى يخلف هذا لهذا وهذا لهذا .

كما قال رسول الله ﷺ : « إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم »[3] .

---

(١) أورده ابن كثير فى تفسيره معزوًّا إلى عبد الرزاق من حديث عبد الله بن عمرو .

(٢) ما بين المعقوفين ناقص فى : ط .

(٣) أخرجه البخارى (٤ / ١٩٦) ، ومسلم (٢ / ٧٧٢) ، وأحمد (١ / ٣٥ ، ٤٨ ، ٥٤) ، =

فالزمان المحقق ينقسم إلى ليل ونهار وليس بينهما غيرهما ، ولهذا قال تعالى : ﴿ **يُولِجُ اللَّيلَ فى النهارِ ويُولِجُ النهارَ فى الليلِ وسخَّر الشمسَ والقمرَ كُلٌّ يجرِى لأجلٍ مُسمًّى** ﴾ (سورة فاطر : ١٣)

فيولج من هذا فى هذا ، أى يأخذ من طول هذا فى قصر هذا فيعتدلان كما فى أول فصل الربيع[١] يكون الليل قبل ذلك طويلاً والنهار قصيراً ، فلا يزال الليل ينقص والنهار يتزايد حتى يعتدلا وهو أول الربيع ، ثم يشرع النهار يطول ويتزايد والليل يتناقص [إلى آخر فصل الربيع ، ثم يتراجع الأمر وينعكس الحال فيشرع النهار يتناقص والليل فى ازدياد][٢] حتى يعتدلا أيضاً فى أول فصل الخريف ، ثم يشرع الليل يطول ويقصر النهار إلى آخر فصل الخريف ، ثم يترجح النهار قليلاً قليلاً ويتناقص الليل شيئاً فشيئاً حتى يعتدلا فى أول فصل الربيع كما قدمنا ، وهكذا فى كل عام .

ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولَهُ اخْتِلافُ الَّيلِ والنَّهارِ** ﴾ (سورة المؤمنون : ٨٠)

أى هو المتصرف فى ذلك كله ، الحاكم الذى لا يُخالَفُ ولا يُمانَع ، ولهذا يقول فى ثلاث آيات عند ذكر السماوات والنجوم والليل والنهار ﴿ **ذَلِكَ تقديرُ العزيزِ العليمِ** ﴾ ، أى العزيز الذى قهر[٣] كل شيء ودان له كل شيء ، فلا يُمانع ولا يُغالب ، العليم بكل شيء فقدر كل شيء تقديراً على نظام لا يختلف ولا يضطرب .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « قال الله : يؤذينى ابن آدم يسبُّ الدهر ، وأنا الدهر بيدى الأمر ، أقلِّب الليل والنهار » وفى رواية « وأنا الدهر أقلِّب ليله ونهاره »[٤] .

= والترمذى (٣ / ٧٢) ، وأبو داود (٢ / ٣٠٤) من حديث عمر بن الخطاب .

(١) فى د : النهار .

(٢) ما بين القوسين ناقص فى : ط .

(٣) فى ط : قد قهر .

(٤) أخرجه البخارى (٨ / ٥٧٤) (١٠ / ٥٦٤) (١٣ / ٤٦٤) ، ومسلم (٤ / ١٧٦٢) ، وأحمد (٢ / ٢٣٨ ، ٢٧٢ ، ٣٩٥ ، ٤٩٦) ، وأبو داود (٤ / ٣٦٩) .

قال العلماء كالشافعى وأبى عبيد القاسم بن سلام[1] وغيرهما : « يسب الدهر » أى يقول : فعل بنا الدهر كذا ، يا خيبة الدهر ، أيتم الأولاد وأرمل النساء .

قال الله تعالى : « وأنا الدهر » أى أنا الدهر الذى يعنيه ، فإنه فاعل ذلك الذى أسنده إلى الدهر والدهر مخلوق ، وإنما فاعل هذا هو الله ، فهو يسب فاعل ذلك ويعتقده الدهر ، والله هو الفاعل لذلك الخالق لكل شيء ، المتصرف فى كل شيء كما قال : « وأنا الدهر بيدى الأمر أُقلِّب ليله ونهاره » .

كما قال تعالى : ﴿ **قُلِ اللهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِى المُلْكَ مَنْ تَشاءُ وتَنْزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ بِيَدِكَ الخيرُ إنَّكَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ * تُولِجُ الليلَ فى النهارِ وتُولِجُ النهارَ فى الليلِ وتُخْرِجُ الحَىَّ مِنَ المَيِّتِ وتُخْرِجُ الميِّتَ مِنَ الحَىِّ وتَرْزُقُ مَنْ تشاءُ بغيرِ حِسَابٍ** ﴾ (سورة آل عمران : ٢٦ ، ٢٧)

وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً والقمرَ نُوراً وقدَّرهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحساب ما خَلقَ اللهُ ذَلِكَ إلَّا بالحقِّ يُفصِّلُ الآياتِ لقومٍ يَعْلمُونَ * إنَّ فى اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ وما خَلقَ اللهُ فى السماواتِ والأرضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ** ﴾ (سورة يونس : ٥ ، ٦)

أى فاوت بين الشمس والقمر فى نورهما وفى شكلهما وفى وقتهما وفى سيرهما ، فجعل هذا ضياء وهو شعاع الشمس برهان ساطع وضوء باهر ، والقمر نوراً أى أضعف من برهان الشمس وجعله مستفاداً من ضوئها .

(**وقَدَّره مَنازِلَ**) أى يطلع أول ليلة من الشهر صَغيراً ضئيلاً قليل النور لقربه من الشمس وقلة مقابلته لها ، فبقدر مقابلته لها يكون نوره ، ولهذا فى الليلة الثانية يكون أبعد منها بضعف ما كان فى الليلة الأولى ، فيكون نوره بضعف النور أول ليلة .

ثم كلما بَعُدَ ازداد نوره حتى يتكامل إبداره ليلة مقابلته إياها من المشرق وذلك ليلة

---

(١) هو الإمام البغدادى اللغوى الفقيه ثقة ، مأمون حافظ للحديث وعلله ، توفى بمكة عام ٢٢٤ هـ ، من كتبه : الأموال والناسخ والمنسوخ . تذكرة الحفاظ (٢ / ٤١٧) .

أربع عشر من الشهر ، ثم يشرع فى النقص لاقترابه إليها من الجهة الأخرى إلى آخر الشهر فيستتر [حتى يعود][1] كما بدا فى أول الشهر الثانى . فَبِه تُعرف الشهور وبالشمس تُعرف الليالى والأيام ، وبذلك تُعرف السنون والأعوام .

ولهذا قال تعالى : ﴿ هُو الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً والقمرَ نُوراً وقَدَّرهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ ﴾
(سورة يونس : ٥)

وقال تعالى : ﴿ وجعلْنَا الليلَ والنهارَ آيَتَيْنِ فَمحَوْنَا آيةَ اللَّيلِ وجَعلْنَا آيةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكم ولِتَعْلَمُوا عَددَ السِّنينَ والحِسابَ وكُلَّ شَيءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً ﴾
(سورة الإسراء : ١٢)

وقال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عن الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَواقِيتُ للنَّاسِ والحَجِّ ﴾ .
(سورة البقرة : ١٨٩)

وقد بسطنا القول على هذا كله فى التفسير . فالكواكب التى فى السماء منها سيارات وهى المتخيرة[2] فى اصطلاح علماء التسيير[3] وهو علم غالبه صحيح ، بخلاف علم الأحكام فإن غالبه باطل ودعوى ما لا دليل عليه وهى سبعة : القمر فى سماء الدنيا ، وعطارد فى الثانية ، والزهرة فى الثالثة ، والشمس فى الرابعة ، والمريخ فى الخامسة ، والمشترى فى السادسة ، وزحل فى السابعة . وبقية الكواكب يسمونها الثوابت وهى عندهم فى الفلك الثامن وهو الكرسى فى اصطلاح كثير من المتأخرين .

وقال آخرون : بل الكواكب كلها فى السماء الدنيا ولا مانع من كون بعضها فوق بعض .

وقد يُستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ زيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمصَابِيحَ وجَعلْنَاهَا رُجُوماً للشَّياطِينِ ﴾
(سورة الملك : ٥)

---

(١) ناقص فى : د .

(٢) فى د : المتحيزة .

(٣) فى ط : التفسير .

وبقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سماواتٍ فى يَوْمَيْنِ وأَوْحَى فى كُلِّ سَماءٍ أَمْرَهَا وزَيَّنَّا السَّماءَ الدّنيا بِمصابِيحَ وحِفْظاً ذَلِكَ تَقْديرُ العَزيزِ العَليمِ ﴾ (سورة فصلت : ١٢)

فخص سماء الدنيا من بينهن بزينة الكواكب ، فإن دلَّ هذا على كونها مُرَصَّعة فيها فذاك ، وإلا فلا مانع مما قاله الآخرون ، والله أعلم .

وعندهم أن الأفلاك السبعة بل الثمانية تدور بما فيها من الكواكب الثوابت والسيارات تدور على خلاف فلكه من المغرب إلى المشرق ، فالقمر يقطع فلكه فى شهر والشمس تقطع فلكها وهو الرابع فى سنة[1] ، فإذا كان السيران[2] ليس بينهما تفاوت وحركاتهما متقاربة كان قدر السماء الرابعة بقدر السماء الدنيا ثنتى عشرة مرة ، وزحل يقطع فلكه وهو السابع فى ثلاثين سنة ، فعلى هذا يكون بقدر السماء الدنيا ثلثمائة وستين مرة .

وقد تكلموا على مقادير أجرام هذه الكواكب وسيرها وحركاتها وتوسعوا فى هذه الأشياء حتى تعدوا إلى علم الأحكام وما يترتب على ذلك من الحوادث الأرضية ومما لا علم لكثير منهم به .

وقد كان اليونانيون الذين كانوا يسكنون الشام قبل زمن المسيح عليه السلام بدهور لهم فى هذا كلام كثير يطول بسطه ، وهم الذين بنوا مدينة دمشق وجعلوا لها أبواباً سبعة ، وجعلوا على رأس كل باب هيكلاً على صفة الكواكب السبعة ، يعبدون كل واحد فى هيكله ، ويدعونه بدعاء يأثره[3] عنهم غير واحد من أهل التواريخ وغيرهم ، وذكره صاحب « السر المكتوم فى مخاطبة الشمس والقمر والنجوم » وغيره من علماء الحرنانيين فلاسفة حران فى قديم الزمان ، وقد كانوا مشركين يعبدون الكواكب السبعة ، وهم طائفة من الصابئين .

---

(١) أثبت العلم الحديث أن الشمس تدور حول نفسها ، وأن الأرض وسائر كواكب المجموعة الشمسية تدور حول الشمس فى مدارات محددة ، وتقطعه الأرض حول الشمس فى عام .

(٢) فى د : النيران .

(٣) يأثره : أى يخبر به .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ ومِنْ آياتِهِ الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ لَا تَسْجُدوا للشمسِ ولَا للقمرِ واسْجُدوا للهِ الذِى خَلقَهُنَّ إنْ كنتُم إيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .

(سورة فصلت : ٣٧)

وقال تعالى إخباراً عن الهدهد أنه قال لسليمان عليه السلام مخبراً عن بلقيس وجنودها ملكة سبأ فى اليمن وما والاها :

﴿ إنِّى وجدتُ امرأةً تَمْلِكُهُمْ وأُوتِيَتْ من كُلِّ شىءٍ ولَهَا عَرْشٌ عظيمٌ * وَجدْتُّها وقَوْمَها يَسْجُدونَ للشمسِ من دُونِ اللهِ وزيَّنَ لَهُم الشيطانُ أعْمالَهُمْ فَصدَّهم عن السبيل فَهُمْ لا يَهتَدُونَ * ألَّا يَسْجُدوا لله الذِى يُخْرِجُ الخَبْءَ فى السماواتِ والأرضِ ويَعْلَمُ ما تُخْفُونَ وما تُعْلِنُونَ * اللهُ لَا إلهَ إلَّا هُوَ رَبُّ العَرْشِ العظيم ﴾ .

(سورة النمل : ٢٣ - ٢٦)

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فى السَّماواتِ ومَنْ فى الأرضِ والشَّمْسُ والقمرُ والنُّجومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ وكثيرٌ من الناسِ وكثيرٌ حَقَّ عليه العذابُ ومَنْ يُهِنِ اللهُ فما لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشاءُ ﴾ (سورة الحج : ١٨)

وقال تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا إلى مَا خلقَ اللهُ من شىءٍ يَتفيَّؤُا ظِلَالَهُ عَنِ اليَمينِ والشَّمائِلِ سُجَّداً للهِ وهُمْ دَاخِرُونَ * وللهِ يَسْجُدُ ما فى السَّماواتِ وما فى الأرضِ مِنْ دَآبةٍ والملائكةُ وهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ * يَخافُونَ رَبَّهم مِنْ فَوْقِهِمْ ويَفْعلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة النحل : ٤٨ - ٥٠)

وقال تعالى : ﴿ وللهِ يَسْجُدُ مَنْ فى السَّماواتِ[1] والأَرْضِ طَوْعاً وكَرْهاً وظِلالُهُمْ بالغُدُوِّ والآصَالِ ﴾ (سورة الرعد : ١٥)

وقال تعالى : ﴿ تُسبِّحُ لَهُ السماواتُ السبعُ والأرضُ ومَنْ فيهِنَّ وإنْ مِنْ شىءٍ إلَّا يُسبِّحُ بِحَمْدِه ولكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إنَّه كانَ حَلِيماً غَفُوراً ﴾ (سورة الإسراء : ٤٤)

والآيات فى هذا كثيرة جداً .

---

(١) وقع هنا فى د خطأ فى الآية الكريمة : ومن فى الأرض .

ولما كان أشرف الأجرام المشاهدة فى السماوات والأرض هى الكواكب ، وأشرفهن منظراً وأشرفهن معتبراً الشمس والقمر ، استدل الخليل على بطلان إلاهية شيء منهن . وذلك فى قوله تعالى :

﴿ فلَمَّا جَنَّ عليه الليلُ رأى كَوْكباً قالَ هَذَا رَبِّى فَلمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحبُّ الآفِلين ﴾ – أى الغائبين – **﴿ فلَمَّا رأىَ القمرَ بازِغاً قال هَذا رَبِّى فلمَّا أفَلَ قال لَئِنْ لم يَهْدِنى ربِّى لأكُونَنَّ من القَوْمِ الضَّالِّينَ * فلما رأىَ الشمسَ بازغةً قال هَذَا رَبِّى هَذَا أكبرُ فلمَّا أفلَتْ قال يا قَوْمِ إنِّى برىءٌ مما تُشرِكُونَ * إنِّى وجَّهْتُ وجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّماواتِ والأرضَ حَنِيفاً ومَا أنَا مِنَ الْمُشْرِكينَ ﴾** (سورة الأنعام : ٧٦ – ٧٩)

فَبيَّن بطريق البرهان القطعى أن هذه الأجرام المشاهدات من الكواكب والقمر والشمس لا يصلح شيء منها للإلهية ، لأنها كلها مخلوقة مربوبة مُدبَّرة مُسخَّرة فى سيرها ، لا تحيد عما خُلِقَتْ له ، ولا تزيغ عنه إلا بتقدير مُتْقن محرر لا تضطرب ولا تختلف .

وذلك دليل على كونها مربوبة مصنوعة مسخرة مقهورة ، ولهذا قال تعالى : **﴿ ومِنْ آيَاتِه اللَّيلُ والنَّهارُ والشمسُ والقمرُ لَا تَسْجُدُوا للشمسِ ولَا للقمرِ وَاسْجُدُوا للهِ الَّذى خَلَقهُنَّ إنْ كُنتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾** (سورة فصلت : ٣٧)

وثبت فى الصحيحين فى صلاة الكسوف من حديث ابن عمر وابن عباس وعائشة وغيرهم من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال فى خطبته يومئذ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته »[1] .

وقال البخارى فى « بدء الخلق » : حدثنا مسدَّد . حدثنا عبد العزيز بن المختار .

---

(١) رُوِىَ هذا الحديث عن عدة من الصحابة . انظر : أحمد (٢ / ١١٨) (٤ / ١٢٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣) (٥ / ٣٧ ، ٤٢٨) ، والبخارى (٦ / ٢٩٧) ، ومسلم (٢ / ٦٢٠) وأبو داود (١ / ٣٠٥) ، والنسائى (٣ / ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٣٩ ، ١٤١) ، وابن ماجه (١ / ٤٠٠) .

حدثنا عبد الله الدانَاج[1] . حدثنى أبو سلمة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « الشمس والقمر مُكَوَّران يوم القيامة » . انفرد به البخارى[2] .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار بأبسط من هذا السياق فقال : حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى . حدثنا يونس بن محمد . حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الدانَاج سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن زمن[3] خالد بن عبد الله القسرى[4] فى هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس إليه فحدَّث قال : حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشمس والقمر ثوران فى النار يوم القيامة » . فقال الحسن : وما ذنبهما[5] ؟ فقال : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول ما ذنبهما[6] ؟ »[7] . ثم قال البزار : لا يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه ، ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث .

---

(١) معناه العالم بلغة الفرس ، وهو فى الأصل داناه فَعُرِّب ، وعبد الله المذكور تابعى صغير ، واسم أبيه فيروز ، والداناج لقب له . انظر فتح البارى (٦ / ٢٩٩) .

(٢) أخرجه البخارى (٦ / ٢٩٧) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١٥ / ١١٥) وصححه ، وذكره التبريزى فى « مشكاة المصابيح » (٣ / ٥٤) وعزاه للبخارى أيضاً . وعزاه المتقى الهندى فى « منتخب الكنز » (٢ / ٤٦٠) لأبى يعلى الموصلى عن أبى هريرة .

(٣) فى د : عن .

(٤) قال ابن حجر فى الفتح (٦ / ٢٩٩) أن الأصح أنه خالد بن عبد الله بن أُسيد ، فهذا كان قد ولى البصرة لعبد الملك قبل الحجاج بخلاف خالد القسرى . وأخذ هذا من رواية الخطابى لهذا الحديث .

(٥ - ٦) فى د ، ط : وما دينهما ؟ وصححناه من إيراد ابن حجر له فى الفتح .

(٧) ذكره ابن حجر العسقلانى فى فتح البارى (٦ / ٢٩٩) وعزاه للبزار من هذا الطريق ثم قال : « ومثله أخرجه الإسماعيلى وقال : « فى مسجد البصرة » ولم يقل خالد القسرى . وأخرجه الخطابى من طريق يونس بهذا الإسناد فقال : فى زمن خالد بن عبد الله أى ابن أُسيد وهو أصح . وعزاه الشوكانى فى الفوائد المجموعة (ص ٤٥٩) للبيهقى فى البعث والنشور ، والبزار مرفوعاً عن أبى هريرة .

وروى الحافظ أبو يعلى الموصلى من طريق يزيد الرقاشى - وهو ضعيف - عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار »[1] .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى[2] . حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ قال : « يُكوِّر الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ، ويبعث الله ريحاً دبوراً[3] فتضرمها ناراً »[4] .

فدلَّتْ هذه الآثار على أن الشمس والقمر من مخلوقات الله خلقها الله لما أراد ، ثم يفعل فيها ما يشاء ، وله الحجة الدامغة[5] والحكمة البالغة ، فلا يُسأل عما يفعل لعلمه وحكمته وقدرته ومشيئته النافذة وحكمه الذى لا يُردُّ ولا يُمانع ولا يُغالب .

وما أحسن ما أورده الإمام محمد بن إسحاق بن يسار فى أول كتاب السيرة من الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل فى خلق السماء والأرض[6] والشمس والقمر وغير ذلك .

---

(١) أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده (٩ / ٢٨١) حديث (٢١٠٣) ، وأبو يعلى (٧ / ١٤٨) ، وابن حبان فى « المجروحين » (١ / ٢٨٩) ، وفيه ضعيفان : درست بن زياد ، ويزيد الرقاشى . قال ابن حبان عن درست : « منكر الحديث جداً » ، وقال ابن الجوزى فى « العلل المتناهية » (١ / ٤٦) بعد إخراجه الحديث : يزيد الرقاشى ليس بشئ » . وانظر أيضاً : « تنزيه الشريعة » (١ / ١٩٠) ، و « الفوائد المجموعة » (ص ٤٥٩) . وانظر : مجمع الزوائد (١٠ / ٣٩٠) .

(٢) فى د ، ط : الأزدى . وهو خطأ ، وهو عمرو بن عبد الله بن حنش أبو عثمان ، صدوق ثقة كوفى . انظر « الجرح والتعديل » (٦ / ٢٤٤ - ٢٤٥) .

(٣) الريح الدبور : هى الريح تأتى من خلفك إذا وقفت فى القبلة متجهة نحو المشرق .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور (٦ / ٣١٨) لابن أبى الدنيا فى « الأهوال » وابن أبى حاتم وأبى الشيخ فى « العظمة » عن ابن عباس .

(٥) فى د ، ط : الدافعة .

(٦) فى د : والقمر .

قال ابن هشام : هى لامية ابن أبى الصلت .

إلى اللهِ أهدى مِدْحتى وثَنائِيا ... وقَوْلاً [رضيًّا لا يَنى][1] الدهر باقياً
إلى الملكِ الأعْلَى الذى ليسَ فوقَهُ ... إلـهٌ ولا ربٌّ يكـونُ مُدَانيـا
ألَا أيُّها الإنسانُ إيَّاكَ والرَّدَى ... فإنَّكَ لا تَخْفى من اللهِ خافيا
وإيَّاك لا تجعل مع الله غيره ... فإنَّ سبيلَ الرُّشد أصبح باديا
حنانيك إن الجِنَّ كانت رجاءهم ... وأنت إلهى ربنا ورجائيا
رضيتُ بك اللهم رباً فلن أُرَى ... أدين إلهاً غيرك الله ثانيا
وأنتَ الذى من فضل مَنٍّ ورحمةٍ ... بعثتَ إلى موسى رسولاً مناديا
فقلتَ له اذهب وهارون فادعُوَا ... إلى الله فرعونَ الذى كان طاغيا
وقولا له أأنت سوَّيت هذه ... بلا وَتَدٍ حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه ... بلا عَمَدٍ ارفق إذاً بك بانيا
وقولا له أأنت سوَّيتَ وسْطها ... منيراً إذا ما جَنَّهُ[2] الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمسَ غدوة ... فيصبح ما مسَّتْ من الأرض ضاحيا
وقولا له من يُنبت الحَبَّ فى الثرى ... فيصبح منه البَقْلُ[3] يهتزُّ رابيا
ويخرج منه حبُّه فى رؤسه ... وفى ذاك آياتٌ لمن كان واعيا
وأنت بفضل مَنِّك نجَّيْتَ يونساً ... وقد بات فى أضعاف[4] حوتٍ لياليا
وإنى وإنْ سبَّحت باسمك ربَّنا ... لأكثر إلا ما غفرتَ خطائيا
فربَّ العباد أَلْقِ سَيْباً[5] ورحمة ... علىَّ وبارك فى بنىّ وماليا

---

(١) فى د : رضيناه بين .

(٢) جنَّه الليل : أى ستره بظلامه . والمنير المقصود به القمر .

(٣) البقل من النبات ما ليس بشجر .

(٤) الأضعاف : العظام ، ويقال : أضعاف الجسد أعضاؤه .

(٥) السيب : العطاء .

فإذا عُلِم هذا فالكواكب التى فى السماء من الثوابت والسيارات ، الجميع مخلوقة خلقها الله تعالى كما قال : ﴿ وَأَوْحَى فِى كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنيا بِمَصابيحَ وحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ (سورة فصلت : ١٢)

وأما ما يذكره كثير من المفسرين فى قصة هاروت وماروت من أن الزهرة كانت امرأة فراوداها عن[١] نفسها ، فأبت إلا أن يعلماها الاسم الأعظم فعلماها فقالته[٢] ، فرُفعت كوكباً إلى السماء ، فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين ، وإن كان قد [أخبر به][٣] كعب الأحبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكروه على سبيل الحكاية والتحديث عن بنى إسرائيل .

وقد روى الإمام أحمد وابن حبان فى صحيحه فى ذلك حديثاً رواه أحمد عن يحيى بن أبى بكير[٤] عن زهير بن محمد عن موسىٰ بن جبير عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ – وذكر القصة بطولها – وفيه : « فمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر فجاءتهما فسألاها نفسها » وذكر القصة[٥] .

وقد رواه عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم عن كعب الأحبار به . وهذا أصح وأثبت .

---

(١) فى د ، ط : على .

(٢) تكررت فى : د .

(٣) فى ط : أخرجه .

(٤) فى د ، ط : يحيى بن بكير . وهو خطأ . والصواب يحيى بن أبى بكير العبدى ، وهو أبو زكريا قاضى كرمان ، صدوق ثقة ، شيخ الإمام أحمد بن حنبل . انظر الجرح والتعديل (٩ / ١٣٢) .

(٥) أخرجه أحمد فى المسند (٢ / ١٣٤) ، وابن حبان (ص ٤٢٥ موارد) . قال الهيثمى فى المجمع (٦ / ٣١٣) « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير موسى بن جبير وهو ثقة » . قال ابن كثير فى التفسير (١ / ١٣٨) : « حديث غريب من هذا الوجه ، ورجاله كلهم ثقات من رجال الصحيحين إلا موسى بن جبير ، روى له أبو داود وابن ماجه وذكره ابن أبى حاتم فى كتاب الجرح والتعديل ولم يَحْكِ فيه شيئاً من هذا ولا هذا فهو مستور الحال » .

وقد روى الحاكم فى مستدركه وابن أبى حاتم فى تفسيره عن ابن عباس فذكره ، وقال فيه « وفى ذلك الزمان امرأة[1] حُسْنها فى النساء كَحُسْن الزهرة فى سائر الكواكب » وذكر تمامه . وهذا أحسن لفظ رُوى فى هذه القصة . والله أعلم .

وهكذا الحديث الذى رواه الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الملك الواسطى . حدثنا يزيد بن هارون . حدثنا مبشر بن عبيد عن زيد بن أسلم[2] عن ابن عمر عن النبى ﷺ . وحدثنا عمرو بن عيسى . حدثنا عبد الأعلى . حدثنا إبراهيم ابن يزيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر سهيلاً فقال : « كان عشاراً ظلوماً فمسخه الله شهاباً »[3] .

ثم قال[4] : لم يروه عن زيد بن أسلم إلا مبشر بن عبيد – وهو ضعيف الحديث – ولا عن عمرو بن دينار إلا إبراهيم بن يزيد – وهو لين الحديث – وإنما ذكرناه على ما فيه من علة لأنَّا لم نحفظه إلا من هذين الوجهين .

قلت : أما مبشر بن عبيد القرشى[5] فهو أبو حفص الحمصى ، وأصله من الكوفة ، فقد ضعَّفه الجميع ، وقال فيه الإمام أحمد والدارقطنى : كان يضع الحديث ويكذب .

---

(١) ناقصة فى : د .

(٢) فى ط : يزيد بن أسلم .

(٣) حديث ابن عمر أخرجه البزار (١ / ٤٢٧ ، ٤٢٨ كشف الأستار) ، وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة » (ص ٢١٠) . قال الهيثمى فى مجمع الزوائد (٣ / ٨٨) بعد أن عزاه للبزار والطبرانى فى الكبير والأوسط : « ضعفه البزار لأن فى رواته إبراهيم بن يزيد الخوزى وهو متروك . وفى الأخرى مبشر بن عبيد وهو متروك أيضاً » . وانظر الفوائد المجموعة (ص ٤٩٣) ، وتنزيه الشريعة (١ / ٢١٠) ، وكشف الخفاء (٢ / ٤٥٧) .

(٤) يقصد : قال البزار بعد إيراده للحديث .

(٥) انظر ما قيل فيه فى « المجروحين » لابن حبان (٣ / ٣٠) ، وميزان الاعتدال للذهبى (٤ / ٤٢٣) ، والضعفاء الكبير للعقيلى (٤ / ٢٣٥) ، والجرح والتعديل لابن أبى حاتم (٨ / ٣٤٣) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما إبراهيم بن يزيد فهو الخوزى[1] ، وهو ضعيف باتفاقهم ، قال فيه أحمد والنسائى : متروك . وقال ابن معين : ليس بثقة وليس بشىء . وقال البخارى : سكتوا عنه . وقال أبو حاتم وأبو زرعة : منكر الحديث ضعيف الحديث .

ومثل هذا الإسناد لا يثبت به شىء بالكلية ، وإذا أحسنَّا الظن قلنا : هذا من أخبار بنى إسرائيل كما تقدم من رواية ابن عمر عن كعب الأحبار ، ويكون من خرافاتهم التى لا يُعوَّل عليها . والله أعلم .

* * *

(١) فى د : الجوزى ، وهو خطأ . انظر ما قيل عن الخوزى فى « المجروحين » (١ / ١٠٠ - ١٠٢) ، و « الجرح والتعديل » (٢ / ١٤٦ ، ١٤٧) .



[الكلام على] [1] المجرة [2] وقوس قُزَح [3]

قال أبو القاسم الطبراني[4] : حدثنا على بن عبد العزيز . حدثنا عارم أبو النعمان . حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر [5] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هرقل كتب إلى معاوية وقال : إن كان بقى فيهم شىء من النبوة فسيخبرونى عما أسألهم عنه . قال : فكتب إليه يسأله عن المجرة وعن القوس وعن بقعة[6] لم تُصِبْها الشمس إلا ساعة واحدة .

---

(١) زيادة من : د .

(٢) المجرة عبارة عن مجموعة من المجموعات الشمسية والتى كل منها تتكون من عدة كواكب تدور حول نفسها حول شمس تلك المجموعة .

(٣) قوس قزح عبارة عن انعكاس أشعة الشمس فى جو ممطر من خلال قطرات المطر ، حيث يتكسر ضوء الشمس ويتحلل إلى ألوانه الرئيسية التى نشاهدها فى السماء على هيئة قوس ملون يلف الأفق ، وتكون ألوان هذا القوس مرتبة كالتالى : الأحمر – البرتقالى – الأصفر – الأخضر – الأزرق – البنفسجى . وهى ألوان الطيف ، وكلما كان حجم قطرات المطر كبيراً كان قوس قزح كبيراً واضحاً . والقزح فى اللغة : الطرائق والألوان التى فى القوس ، الواحدة قزحة ، أو من قزح الشىء إذا ارتفع .

(٤) هو : سليمان بن أحمد اللخمى الشامى ، من كبار المحدثين ، وُلد بعكا (٢٦٠ هـ) وتوفى بأصبهان (٣٦٠ هـ) عن ١٠٠ عام ، له المعجم الكبير والأوسط والصغير فى الحديث ، وكتب أخرى .

(٥) فى د : يسر . وهو خطأ ، وهو جعفر بن أبى وحشية الواسطى ، وثقه ابن معين وأبو زرعة (الجرح والتعديل ٢ / ٤٧٣) .

(٦) فى د : البقعة التى .

قال : فلما أتى معاوية الكتابُ والرسولُ[1] قال : هذا الشىء ما كنت آبَهُ[2] له أن أسأل عنه إلى يومى هذا ، مَنْ لهذا ؟ قيل : ابن عباس .

فطوى معاوية كتاب هرقل فبعث به إلى ابن عباس فكتب إليه : « أن القوس أمان لأهل الأرض من الغرق ، والمجرة باب السماء الذى تنشق منه الأرض[3] ، وأما البقعة التى لم تُصِبْها الشمس إلا ساعة من النهار ، فالبحر الذى أفرج عن بنى إسرائيل »[4] وهذا إسناد صحيح إلىٰ ابن عباس رضى الله عنهما .

فأما الحديث الذى رواه الطبرانى : حدثنا أبو الزنباع[5] روح بن الفرج . حدثنا إبراهيم بن مخلد . حدثنا الفضل بن المختار عن محمد بن مسلم الطائفى عن ابن أبى نجيح[6] عن مجاهد عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « يا معاذ إنى مرسلك إلى قوم أهل كتاب ، فإذا سُئِلْت عن المجرة التى فى السماء فقل : هى لعاب حية تحت العرش »[7] .

---

(١) يقصد كتاب هرقل ورسوله إلى معاوية .

(٢) آبه : أهتم أو أبالى .

(٣) ناقصة فى : د .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠ / ٢٩٩) ، وأورده الهيثمى فى المجمع (٩ / ٢٧٧) مَعْزوًّا للطبرانى وقال : « رجاله رجال الصحيح » . وقد أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١ / ٣٢٠) قال : حدثنا محمد بن على بن حبيش . ثنا إبراهيم بن شريك الأسدى . ثنا عقبة بن مكرم . ثنا هشيم عن أبى بشر به .

(٥) فى د : أبو الرباع .

(٦) فى د ، ط : ابن أبى يحيى . وهو خطأ .

(٧) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢ / ١٨٥) ، والعقيلى فى « الضعفاء الكبير » (٣ / ٤٤٩) ، وابن عدى فى « الكامل » (٦ / ٢٠٤٢) ووقع فيه « فإذا سألوك عن المحجة التى فى السماء » ويترجح لدىَّ أنه خطأ مطبعى . وأورده ابن الجوزى فى « الموضوعات » (١ / ١٤٢) وقال : هذا حديث لا يصح . قال الهيثمى فى « الزوائد » (٨ / ١٣٥) : « فيه الفضل بن المختار وهو ضعيف » .

فإنه حديث منكر جداً ، بل الأشبه أنه موضوع ، وراويه الفضل بن المختار هذا أبو سهل البصرى ، ثم انتقل إلى مصر . قال فيه أبو حاتم الرازى : هو مجهول حدَّث بالأباطيل . وقال الحافظ أبو الفتح الأزدى[1] : منكر الحديث جداً . وقال ابن عدى : لا يتابع على أحاديثه لا متناً ولا إسناداً[2] .

* * *

وقال الله تعالى : ﴿ **هُوَ الذى يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وطَمَعاً ويُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقَالَ * ويُسبِّح الرعدُ بحمدِهِ والملائكةُ مِنْ خِيفَتِهِ ويُرْسِلُ الصَّواعِقَ فيُصيبُ بها مَنْ يشاءُ وهُمْ يُجادلُونَ فى اللهِ وهو شديدُ المِحَالِ** ﴾ (سورة الرعد : ١٢ ، ١٣)

وقال تعالى : ﴿ **إنَّ فى خَلْقِ السماواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ والفُلْكِ التى تَجْرِى فى البحرِ بما يَنفعُ الناسَ وما أنزلَ اللهُ من السماءِ من ماءٍ فأَحْيَا بِهِ الأرضَ بعد مَوْتِها وبثَّ فيها مِنْ كُلِّ دابةٍ وتصريفِ الرِّياحِ والسَّحابِ المسخَّرِ بين السماءِ والأرضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ (سورة البقرة : ١٦٤)

وروى الإمام أحمد عن يزيد بن هارون عن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن شيخ من بنى غفار قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله ينشئ السحاب فينطق أحسن النطق ويضحك أحسن الضحك »[3] .

وروى موسى بن عبيدة عن سعد بن إبراهيم أنه قال : إن نطقه الرعد وضحكه البرق[4] .

---

(١) هو الحافظ محمد بن الحسين بن أحمد الموصلى ، صنف فى علوم الحديث ، له مصنف كبير فى الضعفاء ، توفى فى عام ٣٧٤ هـ (تذكرة الحفاظ ٣ / ٩٦٧) .

(٢) انظر ما قيل عن الفضل بن المختار فى « الجرح والتعديل » (٧ / ٦٩) ، و « ميزان الاعتدال » (٤ / ٢٧٨ ، ٢٧٩) وقد ذكر له هذا الحديث .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥ / ٤٣٥) ، والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٢ / ٢٢٢) ، والرامهرمزى فى « أمثال الحديث » (حديث ١٢٥) ، قال الهيثمى فى « المجمع » (٢ / ٢١٦) : « رجال أحمد رجال الصحيح » .

(٤) ذكره ابن كثير فى التفسير (٢ / ٥٠٥) قال : يبعث الله الغيث فلا أحسن منه مضحكاً ، ولا آنس منه منطقاً ، فضحكه البرق ومنطقه الرعد .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى . حدثنا هشام بن عبيد الله الرازى[١] عن محمد بن مسلم[٢] قال : بلغنا أن البرق ملَكٌ له أربعة وجوه : وجه إنسان ، ووجه ثور ، ووجه نسر ، ووجه أسد ، فإذا مصع[٣] بذَنبه فذاك البرق[٤] .

وقد روى الإمام أحمد والترمذى والنسائى والبخارى فى كتاب الأدب ، والحاكم فى مستدركه من حديث الحجاج بن أرطاة حدثنى أبو مطر[٥] عن سالم عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال : « اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك »[٦] .

وروى ابن جرير من حديث ليث عن رجل عن أبى هريرة رفعه « كان إذا سمع الرعد قال : سبحان من يسبح الرعد بحمده »[٧] .

---

(١) فى د ، ط : هشام عن عبيد الله الرازى . والصواب ما أثبتناه ، انظر : « الجرح والتعديل » للرازى (٩ / ٦٧) ، قال أبو حاتم عن شيخه هشام : صدوق .

(٢) فى د : محمد بن أسلم .

(٣) المصع : التحريك . ومصع البرق أى أومض .

(٤) أورده ابن كثير فى تفسيره أيضاً (٢ / ٥٠٥) ، وأورده السيوطى فى « الدر المنثور » (٤ / ٤٩) وعزاه لابن أبى حاتم .

(٥) فى د ، ط : ابن مطر . وهو خطأ ، وقد وقع فى « السنن الكبرى » للبيهقى (٣ / ٣٦٢) أبو مظفر . انظر : « ميزان الاعتدال » للذهبى (٦ / ٢٤٨) وقال : لا يدرى من هو .

(٦) أخرجه أحمد (٢ / ١٠٠) ، والترمذى (٥ / ٥٠٣) ، والبخارى فى « الأدب المفرد » (ص ٢٤٣) ، والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (ص ٥١٨ تحقيق د . فاروق حمادة » ، والحاكم فى « المستدرك » (٤ / ٢٨٦) ، والبيهقى فى « السنن الكبرى » (٣ / ٣٦٢) . قال الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وصححه الحاكم وأقره الذهبى ، ولكن قال النووى فى « الأذكار » (ص ١٦٤) : إسناده ضعيف .

(٧) حديث أبى هريرة أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٣ / ١٢٤) .

وعن عليٍّ أنه كان يقول : « سبحان من سبَّحت له »[1] . وكذا عن ابن عباس والأسود بن يزيد وطاوس وغيرهم[2] .

وروى مالك عن عبد الله بن الزبير[3] أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويقول : « إن هذا وعيد شديد لأهل الأرض »[4] .

وروى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « قال ربكم : لو أن عبيدى أطاعونى لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولما أسمعتهم صوت الرعد »[5] .

[وروى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعاً : « إذا سمعتم الرعد][6] فاذكروا الله

---

(١) عن على موقوفاً عليه أنه كان يقوله . أخرجه ابن جرير فى تفسيره (١٣ / ١٢٤) .

(٢) عن ابن عباس أخرجه ابن جرير (١٣ / ١٢٤) ، وعن طاووس أخرجه ابن جرير (١٣ / ١٢٤) والبيهقى فى السنن الكبرى (٣ / ٣٦٢) ، وعن الأسود بن يزيد أخرجه ابن جرير (١٣ / ١٢٤) .

(٣) فى ط : ابن عمر ، وفى د : ابن عمرو . وصحته ما أثبتناه .

(٤) أخرجه مالك فى الموطأ (٢ / ٩٩٢) ، والبخارى فى الأدب المفرد (ص ٢٤٤) ، وأورده النووى فى الأذكار (ص ١٦٤) وصحح إسناده .

(٥) أخرجه أبو داود الطيالسى (١٠ / ٣٣٧) ومن طريقه أخرجه أحمد (٢ / ٣٥٩) ، والحاكم (٤ / ٢٥٦) ، قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ولكن قال الذهبى : صدقة ضعفوه . وقال الهيثمى فى « المجمع » (٢ / ٢١١) : « مداره على صدقة بن موسى الدقيقى ضعفه ابن معين وغيره » . وضعفه الألبانى فى « السلسلة الضعيفة » وضعفه . وانظر « مشكاة المصابيح » (حديث ٥٣١٠) ، وكنز العمال (١٥ / ٧٧٧) .

(٦) ما بين المعقوفين ناقص فى : ط .

فإنه لا يصيب ذاكراً »[1] .

وكل هذا مبسوط فى التفسير ، ولله الحمد والمنَّة .

* * *

---

(١) أخرجه الطبرانى فى « المعجم الكبير » (١١ / ١٦٤) ، قال الهيثمى فى « الزوائد » (١٠ / ١٣٦) : « فيه يحيى بن كثير أبو النضر وهو ضعيف » . قال ابن حبان فى « المجروحين » (٣ / ١٣٠) : « شيخ يروى عن الثقات ما ليس من أحاديثهم لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد » . وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (٤ / ٥١) لأبى الشيخ وابن مردويه أيضاً .

باب ذكر خلق الملائكة وصفاتهم عليهم السلام

قال الله تعالى : ﴿ وقالُوا اتَّخذَ الرَّحمنُ وَلَداً سُبْحانَهُ بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بالقَوْلِ وهُمْ بأمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يعْلَمُ ما بينَ أيديهم ومَا خَلْفَهُمْ ولَا يَشْفَعُونَ إلَّا لِمَنِ ارْتَضى وهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * ومَنْ يَقُلْ مِنهم إنِّى إلهٌ من دُونِه فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهنَّمَ كذلكَ نَجْزِى الظالِمينَ ﴾ (سورة الأنبياء : ٢٦ - ٢٩)

وقال تعالى : ﴿ تَكادُ السماواتُ يَتفطَّرْنَ من فَوْقِهِنَّ والملائكةُ يُسبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ويَسْتغفرُونَ لِمَن فى الأرضِ ألَا إنَّ اللهَ هو الغفورُ الرحيمُ ﴾ (سورة الشورى : ٥)

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ ومَنْ حَوْلَهُ يُسبِّحونَ بِحَمْدِ رَبِّهم ويُؤْمِنُونَ به ويَسْتغفِرُونَ للَّذِينَ آمنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شيءٍ رحمةً وعِلْماً فاغْفِرْ للذِينَ تابُوا واتَّبعُوا سبيلَكَ وقِهِمْ عذابَ الجحيمِ * رَبَّنَا وأدْخِلْهُم جنَّاتِ عَدْنٍ التى وعدتَّهُمْ ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأزْواجِهِم وذُرِيَّاتِهِمْ إنَّكَ أنتَ العزيزُ الحكيمُ ﴾ (سورة غافر : ٧ ، ٨)

وقال تعالى : ﴿ فَإنِ اسْتَكبَرُوا فالَّذِينَ عند رَبِّكَ يُسبِّحُونَ له باللَيلِ والنهارِ وهُمْ لا يَسْأمُونَ ﴾ (سورة فصلت : ٣٨)

وقال تعالى : ﴿ ولَهُ مَنْ فى السماواتِ والأرضِ ومَنْ عندهُ لَا يَسْتكبِرونَ عن عِبادتِهِ ولا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسبِّحون الليلَ والنهارَ لا يَفْتُرُونَ ﴾ (سورة الأنبياء : ١٩ ، ٢٠)

وقال تعالى : ﴿ ومَا مِنَّا إلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلومٌ * وإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وإنَّا لَنحْنُ المسبِّحونَ ﴾ (سورة الصافات : ١٦٤ - ١٦٦)

وقال تعالى : ﴿ ومَا نَتنزَّلُ إلَّا بأمْرِ رَبِّكَ لَهُ ما بين أيْدِينَا وما خَلْفنَا وما بين ذَلِكَ وما كانَ رَبُّكَ نَسيّاً ﴾ (سورة مريم : ٦٤)

وقال تعالى : ﴿ وإنَّ عَلَيْكم لَحافِظِينَ * كِرَاماً كاتِبينَ * يَعْلمُونَ ما تَفعلُونَ ﴾ .
(سورة الانفطار : ١٠ – ١٢)

وقال تعالى : ﴿ ومَا يَعْلمُ جُنودَ رَبِّكَ إلَّا هُو ﴾ (سورة المدثر : ٣١)

وقال تعالى : ﴿ والملائكةُ يَدْخلُونَ عَليْهم مِنْ كُلِّ بابٍ * سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ ﴾ (سورة الرعد : ٢٣ ، ٢٤)

وقال تعالى : ﴿ الحمدُ للهِ فَاطِرِ السماواتِ والأرضِ جاعِلِ الملائكةِ رُسُلاً أُولِى أجنحةٍ مَثْنَى وثلاثَ ورُبَاعَ يَزِيدُ فى الخَلْقِ مَا يشاءُ إنَّ اللهَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ﴾ .
(سورة فاطر : ١)

وقال تعالى : ﴿ ويومَ تَشقَّقُ السماءُ بالغَمامِ ونُزِّلَ الملائكةُ تَنْزِيلاً * المُلْكُ يومئِذٍ الحَقُّ للرحمنِ وكانَ يَوْماً على الكَافِرِينَ عَسِيراً ﴾ (سورة الفرقان : ٢٥ ، ٢٦)

وقال تعالى : ﴿ وقالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ علينا الملائكةُ أو نَرى رَبَّنَا لقد استَكْبَرُوا فى أنفسِهم وعَتَوْا عُتُوّاً كَبيراً * يَوْمَ يَرَوْنَ الملائكةَ لا بُشْرَى يَوْمئِذٍ للمُجْرِمينَ ويَقولُونَ حِجْراً مَحْجُوراً ﴾ (سورة الفرقان : ٢١ ، ٢٢)

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ وملائكتهِ ورُسُلِهِ وجِبريلَ ومِيكالَ فإنَّ اللهَ عدوٌّ للكَافِرين ﴾ (سورة البقرة : ٩٨)

وقال تعالى : ﴿ يَا أيُّها الَّذِينَ آمنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وأَهْلِيكُم نَاراً وَقُودُهَا الناسُ والحِجارةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرهُمْ ويَفعلُونَ ما يُؤْمرُونَ ﴾ (سورة التحريم : ٦)

* * *

والآيات فى ذكر الملائكة كثيرة جداً ، يصفهم تعالى بالقوة فى العبادة وفى الخَلْق وحسن المنظر وعظمة الأشكال وقوة التشكل[1] فى الصور المتعددة .

---

(١) فى ط : الشكل .

كما قال تعالى : ﴿ ولما جاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سيىءَ بهم وضَاقَ بهم ذَرْعاً وقالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ * وجاءهُ قومُه يُهْرَعُونَ إليه ومِنْ قَبْلُ كانُوا يعملُونَ السَّيئاتِ ﴾ الآيات .
(سورة هود : ٧٧ ، ٧٨)

فذكرنا فى التفسير ما ذكره غير واحد من العلماء من أن الملائكة تبدو لهم فى صورة شباب حسان امتحاناً واختباراً حتى قامت على قوم لوط الحجة وأخذهم الله أَخْذَ عزيز مقتدر .

وكذلك كان جبريل يأتى إلى النبى ﷺ فى صفات متعددة ، فتارة يأتى فى صورة دِحية بن خليفة الكلبى(١) ، وتارة فى صورة أعرابى ، وتارة فى صورته التى خُلِق عليها له ستمائة جناح ما بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ، كما رآه على هذه الصفة مرتين مرة منهبطاً من السماء إلى الأرض ، ومرة عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى ، وهو قوله تعالى : ﴿ عَلَّمه شديدُ القُوَى * ذُو مِرَّةٍ فاستَوى * وهُوَ بالأُفُقِ الأعلَى * ثُمَّ دَنَا فتَدَلَّى ﴾
(سورة النجم : ٥ - ٨)

أى جبريل كما ذكرناه عن غير واحد من الصحابة ، منهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو ذر وعائشة .

﴿ فكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أوْ أدْنى * فأوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحى﴾ (سورة النجم : ٩ ، ١٠)
أى إلى عبد الله محمد ﷺ .

ثم قال : ﴿ ولَقَدْ رَآهُ نَزْلةً أُخرى * عِنْدَ سِدْرةِ المُنْتَهَى * عِنْدَها جَنَّةُ المَأْوَى * إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * ما زَاغَ البَصَرُ وما طَغَى ﴾
(سورة النجم : ١٣ - ١٧)

وقد ذكرنا فى أحاديث الإسراء فى سورة سبحان(٢) أن سدرة المنتهى فى السماء السابعة ، وفى رواية : فى السادسة . أى أصلها ، وفروعها فى السابعة .

---

(١) صحابى ، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى قيصر يدعوه للإسلام ، حضر كثيراً من الوقائع ، كان يُضرب به المثل فى حسن الصورة ، نزل دمشق ، توفى نحو ٤٥ هـ (الأعلام ٢ / ٣٣٧) .

(٢) هى سورة الإسراء (سُبْحان الَّذى أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً ..) .

« فلما غشيها من أمر الله ما غشيها » .

قيل : غشيها نور الرب جل جلاله .

وقيل : غشيها فراش من ذهب .

وقيل : غشيها ألوان متعددة كثيرة غير منحصرة .

وقيل : غشيتها الملائكة مثل الغربان .

وقيل : [غشيها من الله أمر][1] فلا يستطيع أحد أن ينعتها . أى من حسنها وبهائها .

ولا منافاة بين هذه الأقوال إذ الجميع ممكن حصوله فى حال واحدة .

وذكرنا أن رسول الله ﷺ قال : « ثم رُفعت لى سدرة المنتهى ، فإذا نَبْقُها كالقِلَال – وفى رواية : كقِلال هَجَر[2] – وإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا يخرج من أصلها نهران باطنان ونهران ظاهران ، فأما الباطنان ففى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

وتقدم الكلام على هذا [فى ذكر][3] خلق الأرض وما فيها من البحار والأنهار .

وفيه « ثم رُفع لى البيت المعمور ، وإذا هو يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم » وذكر أنه وجد إبراهيم الخليل عليه السلام مُسنداً[4] ظهره إلى البيت المعمور .

وذكرنا وجه المناسبة فى هذا أن البيت المعمور فى السماء السابعة بمنزلة الكعبة فى الأرض .

---

(١) فى ط : غشيها من نور الله تعالى .

(٢) القلال : جمع قُلَّة وهى إناء للعرب كالجرة الكبيرة . وهجر قرية قريبة من المدينة وليست هجر البحرين ، وكانت تُعمل بها القلال .

(٣) فى د : عند . وقد تقدم تخريج هذا الحديث صفحة ٧٩ .

(٤) فى ط : مستنداً .

وقد روى سفيان الثورى وشعبة وأبو الأحوص عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة أن ابن الكوا سأل عليًّ بن أبى طالب عن البيت المعمور فقال : هو مسجد فى السماء يُقال له الضراح[1] ، وهو بحيال الكعبة من فوقها ، حرمته فى السماء كحرمة البيت فى الأرض ، يصلى فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً »[2] .

وهكذا روى علىُّ بن ربيعة وأبو الطفيل عن علىٍّ مثله[3] .

وقال الطبرانى : حدثنا الحسن بن علوية القطان . حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار . حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة . حدثنا ابن جريج عن صفوان بن سليم عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « البيت المعمور فى السماء يُقال له الضراح[4] ، وهو على مثل البيت الحرام بحياله لو سقط لسقط عليه ، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرونه قط ، فإن له فى السماء حرمة على قدر حرمة مكة »[5] يعنى فى الأرض .

وهكذا قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والربيع بن أنس والسدى وغير واحد .

---

(١) الضراح هو البيت المعمور فى السماء يقابل الكعبة فى الأرض ، من المضارحة وهى المقابلة والمضارعة .

(٢) طريق خالد بن عرعرة أخرجها ابن جرير (٢٧ / ١٦) عن شيخه هناد بن السرى قال : حدثنا أبو الأحوص . وأوردها ابن كثير فى التفسير أيضاً (٤ / ٢٣٩) .

(٣) روى ابن جرير هذين الطريقين فى تفسيره (٢٧ / ١٧) . وقد وقع فيه : على بن أبى ربيعة .

(٤) فى د : الصراح (بالصاد) . قال ابن الأثير : من رواه بالصاد فقد صحّف .

(٥) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١ / ٤١٧) ، قال الهيثمى فى « الزوائد » (٧ / ١١٤) : « فيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك » . قال ابن حبان فى « المجروحين » (١ / ١٣٥) : « كان يضع الحديث على الثقات ، ويأتى بما لا أصل له عن الأثبات » . وانظر أيضاً « ميزان الاعتدال » (١ / ١٨٤) .

وقال قتادة : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه : هل تدرون ما البيت المعمور ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فإنه[1] مسجد فى السماء بحيال الكعبة ، لو خرَّ لخرَّ عليها ، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم »[2] .

وزعم الضحاك أنه تعمره طائفة من الملائكة يقال لهم الجن من قبيلة إبليس لعنه الله ، كأنه يقول سدنته[3] وخُدَّامه منهم ، والله أعلم .

وقال آخرون : فى كل سماء بيت يعمره ملائكته بالعبادة فيه ويفدون إليه بالنوبة والبدل ، كما يعمر أهل الأرض البيت العتيق بالحج فى كل عام والاعتمار فى كل وقت والطواف والصلاة فى كل آن .

قال سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى[4] فى أوائل كتابه « المغازى » : حدثنا أبو عبيد فى حديث مجاهد « أن الحرم حرم مناه – يعنى قدره – من السماوات السبع [والأرضين السبع][5] ، وأنه رابع أربعة عشر بيتاً ، فى كل سماء بيت ، وفى كل أرض بيت ، لو سقطت سقط بعضها على بعض » .

ثم روى عن مجاهد قال : مناه أى مقابله . وهو حرف مقصور .

ثم قال : حدثنا أبو معاوية . حدثنا الأعمش عن أبى سليمان مؤذن الحجاج سمعت

---

(١) فى ط : قال .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى فى التفسير (٢٧ / ١٧) ، وعزاه إليه السيوطى فى « الدر المنثور » (٦ / ١١٨) .

(٣) سدانة الكعبة : خدمتها وتولى أمرها وفتح بابها وإغلاقه .

(٤) من تلاميذه أبو حاتم الرازى وأبو زرعة ، قال أبو حاتم : قرشى بغدادى صدوق . أبوه المحدث الثقة أبو أيوب القرشى من شيوخ الإمام أحمد . انظر : الجرح والتعديل (٤ / ٧٤) ، وتذكرة الحفاظ (١ / ٣٢٥) ، وقد ذكر الذهبى كتاب المغازى لسعيد بن يحيى هذا .

(٥) ناقص فى : د .

عبد الله بن عمرو يقول : « إن الحرم محرم فى السماوات السبع مقداره من الأرض ، وإن بيت المقدس مقدس فى السماوات السبع مقداره من الأرض » .

كما قال بعض الشعراء :

إنَّ الذى سَمَكَ[1] السماءَ بَنَى لَهَا   بَيْتاً دَعائِمُهُ أشدُّ وأطْولُ

واسم البيت الذى فى السماء « بيت العزة » ، واسم المَلَك الذى هو مقدم الملائكة فيها « إسماعيل » ، فعلى هذا يكون السبعون ألفاً من الملائكة الذين يدخلون كل يوم إلى البيت المعمور ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم ، أى لا يحصل لهم نوبة فيه إلى آخر الدهر ، يكونون من سكان السماء السابعة وحدها .

ولهذا قال تعالى : ﴿ ومَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلَّا هُو ﴾ (سورة المدثر : ٣١)

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر . حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مُورِّق عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أطَّت السماء[2] وحق لها أن تئطَّ ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد ، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون[3] إلى الله عز وجل » . فقال أبو ذر : « والله لَوَدِدْتُ أنى شجرة تُعْضَدُ[4] »[5] .

---

(١) سمك السماء : رفعها . السماء مسموكة : مرفوعة .

(٢) ناقصة فى : د .

(٣) الصعدات : الطرق تكون واسعة وضيقة ، مأخوذ من الصعيد وهو التراب . تجأرون : ترفعون أصواتكم بتضرع واستغاثة .

(٤) تُعْضَد : أى تُقطع .

(٥) أخرجه أحمد (٥ / ١٧٣) ، وابن ماجه (٢ / ١٤٠٢) ، والترمذى (٤ / ٥٥٦) ، وأبو نعيم فى « الحلية » (٢ / ٢٣٦) ، و « دلائل النبوة » (ص ١٥٨) ، والبغوى فى « شرح السنة » (١٤ / ٣٦٩) ، والحاكم فى « المستدرك » (٢ / ٥١٠) (٤ / ٥٤٤) وصححه وأقره الذهبى .

ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسرائيل فقال الترمذى : حسن غريب ، ويُرْوى عن أبى ذر موقوفاً[1] .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا خير[2] بن عرفة المصرى . حدثنا عروة بن مروان[3] الرقى . حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبى رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « ما فى السماوات السبع موضع قدم ولا شبرٍ ولا كفٍ إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع ، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً : ما عبدناك حق عبادتك إلا أنّا لا نشرك بك شيئاً »[4] .

فدل هذان الحديثان على أنه ما من موضع فى السماوات السبع إلا وهو مشغول بالملائكة وهم فى صنوف من العبادة ، منهم من هو قائم أبداً ، ومنهم من هو راكع أبداً ، ومنهم من هو ساجد أبداً ، ومنهم من هو فى صنوف أخر والله أعلم بها .

وهم دائمون فى عبادتهم وتسبيحهم وأذكارهم وأعمالهم التى أمرهم الله بها ، ولهم منازل عند ربهم كما قال تعالى :

---

(١) أخرجه موقوفاً الحاكم (٤ / ٥٧٩) من طريق شعبة عن يونس بن خباب قال : سمعت مجاهداً يحدث عن أبى ذر قال .. ، وصححه على شرط الشيخين ، ولكن قال الذهبى : منقطع ثم يونس رافضى لم يُخرِّجا له .

(٢) فى د ، ط : حسين بن عرفة ، وهو تحريف . وخير بن عرفة هو ما فى الكبير للطبرانى وفى الصغير (١ / ١٦٠) قال : حدثنا خير بن عرفة التجيبى أبو طاهر المصرى . وهكذا ضبط اسمه الذهبى فى « الميزان » (٣ / ٦٤) وقال : « وقال ابن يونس فى تاريخه : « آخر من حدَّث عن عروة بن مروان خيرُ بن عرفة » .

(٣) فى د ، ط : عروة بن عمران . وهو تحريف . انظر ترجمة عروة بن مروان فى « ميزان الاعتدال » (٣ / ٦٤) ، قال الدارقطنى : ليس بقوى الحديث . وضبط نسبته فى الميزان العِرْقى ، ثم قال : يقال له أيضاً الرقى لسكناه الرقة مدة ، ومنهم من فصلهما وجعلهما اثنين بل هما واحد .

(٤) أخرجه الطبرانى فى الكبير (٢ / ١٨٤) ، وأورده الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١ / ٥١) (١٠ / ٣٥٨) وعزاه للطبرانى فى الكبير والأوسط وقال : فيه عروة بن مروان ، ونقل فيه كلام الدارقطنى المذكور قريباً ثم قال : « وبقية رجاله رجال الصحيح » .

﴿ ومَا مِنَّا إلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ * وإنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وإنَّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ ﴾ .

(سورة الصافات : ١٦٤ - ١٦٦)

وقال ﷺ : « ألَا تُصفُّونَ كما تُصَفُّ الملائكة عند ربها ؟ قالوا : وكيف يُصَفُّون عند ربهم ؟ قال : يكملون الصف الأول ويتراصُّون فى الصف »[١] .

وقال : « فُضِّلْنَا على الناس بثلاث : جُعلَتْ لنا الأرض مسجداً ، وتربتها لنا طهوراً ، وجُعِلَتْ صفوفنا كصفوف الملائكة »[٢] .

[وكذلك يأتون يوم القيامة بين يدى الرب جل جلاله صفوفاً][٣] ، كما قال تعالى : ﴿ وَجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صَفّاً صَفّاً ﴾ (سورة الفجر : ٢٢) ، ويقفون صفوفاً بين يدى ربهم عز وجل يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ والملائكةُ صَفًّا لا يَتكلمُونَ إلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحمٰنُ وقَالَ صَوَاباً ﴾ (سورة النبأ : ٣٨)

والمراد بالروح ههنا بنو آدم ، قاله[٤] ابن عباس والحسن وقتادة .

وقيل : ضَرْب من الملائكة يشبهون بنى آدم فى الشكل ، قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش .

وقيل : جبريل ، قاله الشعبى وسعيد بن جبير والضحاك .

وقيل : مَلَكٌ يُقال له الروح بقدر جميع المخلوقات .

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ١٠١) ، ومسلم (١ / ٣٢٢) ، وأبو داود (١ / ١٧٧) ، والنسائى (٢ / ٩٢) (٣ / ٤) ، وابن ماجه (١ / ١٧) عن جابر بن سمرة السُّوائى .

(٢) أخرجه أبو عوانة فى مسنده (١ / ٣٠٣) ، وابن أبى شيبة فى مصنفه (١١ / ٤٣٥) ، ومسلم (١ / ٣٧١) ، وابن خزيمة (حديث ٢٦٤) ، والبيهقى فى سننه (١ / ٢١٣) ، وابن عبد البر فى التمهيد (٥ / ٢٢١) عن حذيفة بن اليمان .

(٣) ما بين المعقوفين ناقص فى : د .

(٤) فى د : كما قاله .

قال عليٌّ بن أبي طلحة عن ابن عباس : قوله : ﴿ يَوْمَ يقومُ الرُّوحُ ﴾ قال : هو ملك من أعظم الملائكة خَلْقاً .

وقال ابن جرير : حدثني محمد بن خلف العسقلاني . حدثنا روَّاد بن الجراح[1] عن أبي حمزة عن الشَّعْبي عن علقمة عن ابن مسعود قال : الروح في السماء الرابعة هو أعظم من[2] السماوات والجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة ، يخلق الله من كل تسبيحة ملكاً من الملائكة يجيء[3] يوم القيامة صفاً وحده »[4] . وهذا غريب جداً .

وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس[5] المصري . حدثنا وهب الله ابن رزق أبو هبيرة[6] . حدثنا بشر بن بكر . حدثنا الأوزاعي . حدثني عطاء عن

---

(١) في د ، ط : داود بن الجراح . وهو تصحيف . قال أحمد : لا بأس به ، صاحب سنة ، إلا أنه حدث عن سفيان بمناكير . وثَّقه ابن معين . قال النسائي : روى غير حديث منكر . قال أبو حاتم : محله الصدق تغير حفظه . قال الدارقطني : متروك . انظر : ميزان الاعتدال (٢ / ٢٤٥) ، و « الجرح والتعديل » (٣ / ٥٢٤) .

(٢) زيادة من : د .

(٣) في د ، ط : يجي .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠ / ٢٢) ، وأورده ابن كثير في تفسيره أيضاً (٤ / ٣٦٥) ، والسيوطي في الدر المنثور (٦ / ٣٠٩) وعزاه لابن جرير .

(٥) في د : عزيز . وفي ط : عبد الحكيم . وما أثبتناه هنا هو ما في المعجم الكبير للطبراني (١١ / ١٩٥) ، والمعجم الصغير له (٢ / ٤٠) . وقد وقع ضبط هذا الاسم « عوس » ، وفي حلية الأولياء (٣ / ٣١٨) : « عريش » .

(٦) وقع اضطراب كبير في ضبط هذا الاسم ، ففي د ، ط : ابن وهب بن رزق أبو هبيرة ، وفي المعجم الكبير « وهب الله بن رزق أبو هريرة » ، وفي تفسير ابن كثير (٤ / ٤٦٥) « وهب الله بن روق بن هبيرة » ، وفي الحلية « وهب الله بن رزق أبو هبيرة » ، وفي مجمع الزوائد (١ / ٨٠) : « وهب بن رزق » .

عبد الله بن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن لله ملكاً لو قيل له التقم السماوات والأرضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانك حيث كنت »[1] . وهذا أيضاً حديث غريب جداً ، وقد يكون موقوفاً[2] .

وذكرنا فى صفة حملة العرش عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « أُذِنَ لى أَنْ أُحدِّث عن ملَكٍ من ملائكة الله من حملة العرش ، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » . رواه أبو داود وابن أبى حاتم ولفظه « مخفق الطير سبعمائة عام »[3] .

وقد ورد فى صفة جبريل عليه السلام أمر عظيم ، قال الله تعالى : ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ (سورة النجم : ٥)

قالوا : كان من شدة قوته أنه رفع مدائن قوم لوط وكُنَّ سبعاً بمن فيها من الأمم ، وكانوا قريباً من أربعمائة ألف وما معهم من الدواب والحيوانات[4] وما لتلك المدن من الأراضى والمعتملات[5] والعمارات وغير ذلك ، رفع ذلك كله على طرف جناحه حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح ديكتهم ، ثم قَلَبَها فجعل عاليها سافلها ، فهذا هو شديد القوى .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى الكبير (١١ / ١٩٥) ومن طريقه أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣ / ٣١٨) قال الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (١ / ٨٠) : « رواه الطبرانى فى الأوسط والكبير وقال : تفرَّد به وهب بن رزق . قلت : ولم أر من ذكر له ترجمة » .

(٢) قال ابن كثير فى التفسير (٤ / ٤٦٥) : « هذا حديث غريب جداً وفى رفعه نظر ، وقد يكون موقوفاً على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات » .

(٣) سبق هذا الحديث ص ٤٥ ، وسبق تخريجه هناك .

(٤) ناقصة فى : د .

(٥) الاعتمال : افتعال من العمل ، أى أنهم يقومون بما يُحتاج إليه من عمارة وزراعة وتلقيح وحراسة ونحو ذلك .

وقوله ﴿ ذُو مِرَّةٍ ﴾ أى خَلْق حسن وبهاء وسناء .

كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (سورة التكوير : ١٩)

أى جبريل رسول[1] من الله كريم ، أى حسن المنظر ذى قوة ، أى له قوة وبأس شديد عند ذى العرش ، (مَكِينٍ) أى له مكانة ومنزلة عالية رفيعة عند الله ذى العرش المجيد (مُطَاعٍ ثَمَّ) أى مطاع فى الملأ الأعلى (أمينٍ) أى ذا أمانة عظيمة ، ولهذا كان هو السفير بين الله وبين أنبيائه عليهم السلام الذى ينزل عليهم بالوحى ، فيه الأخبار الصادقة والشرائع العادلة .

وقد كان يأتى إلى رسول الله ﷺ ، [وينزل عليه][2] فى صفات متعددة كما قدمنا . وقد رآه على صفته التى خلقه الله عليها مرتين له ستمائة جناح ، كما روى البخارى عن طلق بن غنام عن زائدة عن[3] الشيبانى قال : سألت زراً عن قوله ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ (سورة النجم : ٩ ، ١٠) ، قال : حدثنا عبد الله – يعنى ابن مسعود – أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[4] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يحيى بن آدم . حدثنا شريك عن جامع بن أبى[5] راشد

---

(١) ناقصة فى : د .

(٢) ناقص فى : د .

(٣) كلمة « عن » سقطت من الأصول . زائدة : هو زائدة بن قدامة أبو الصلت الثقفى الكوفى ، ثقة متقن ، توفى عام ١٦١ هـ . الشيبانى : هو سليمان بن فيروز أبو إسحاق الحافظ ، مات بين عامى ١٣٨ هـ ، ١٤١ هـ . انظر تذكرة الحفاظ (١ / ١٥٣ ، ٢١٥) .

(٤) أخرجه البخارى (٦ / ٣١٣) (٨ / ٦١٠) ، ومسلم (١ / ١٥٨) ، وأحمد (١ / ٣٩٨) ، والترمذى (٥ / ٣٩٤) وقال : حسن غريب صحيح .

(٥) كلمة « أبى » سقطت من الأصول . جامع بن أبى راشد الصيرفى . قال أحمد بن حنبل : شيخ ثقة . انظر : « الجرح والتعديل » (٢ / ٥٣٠) .

عن أبي وائل عن عبد الله قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته وله ستمائة جناح ، كل جناح منها قد سَدَّ الأفق ، يسقط من جناحه من[1] التهاويل[2] من الدرِّ والياقوت ما الله به عليم »[3] .

وقال أحمد أيضاً : حدثنا حسن بن موسى . حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود فى هذه الآية ﴿ **ولقد رَآهُ نَزْلةً أُخرى * عِنْدَ سِدْرةِ المُنْتَهى** ﴾[4] قال : قال رسول الله ﷺ : « رأيت جبريل وله ستمائة جناح ينتشر[5] من ريشه التهاويل الدر والياقوت »[6] .

وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب . حدثنا الحسين[7] حدثنى عاصم بن بهدلة سمعت شقيق بن سلمة يقول : سمعت ابن مسعود يقول : قال رسول الله ﷺ : « رأيت جبريل على السدرة المنتهى وله ستمائة جناح . فسألت عاصماً عن الأجنحة فأبى أن يخبرنى . قال : فأخبرنى بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب »[8] .

---

(١) زيادة من : د .

(٢) التهاويل : تزايين ريشه وما فيه من صفرة وحمرة وبياض وخضرة .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٤ / ٢٥١) بنفس هذا السند ، ولكنى لم أجده فى مسند أحمد ، بل وجدت فيه (١ / ٣٩٥) : حدثنا حجاج . ثنا شريك عن عاصم عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود . قال ابن كثير عما أورده : إسناده حسن .

(٤) سورة النجم : ١٣ ، ١٤ .

(٥) فى د : ينثر . وفى ط : ينتشر .

(٦) أخرجه أحمد فى المسند (١ / ٤١٢ ، ٤٦٠) . قال ابن كثير فى التفسير (٤ / ٢٥١) : إسناد جيد قوى .

(٧) فى د : حسين . وهو الحسين بن واقد أبو على المروزى قاضى مرو ، وثَّقه ابن معين وغيره . قال أحمد وأبو زرعة : ليس به بأس ، انظر ميزان الاعتدال (٢ / ٧٢) ، والجرح والتعديل (٣ / ٦٦) .

(٨) أخرجه أحمد (١ / ٤٠٧) ، وجَوَّد إسناده ابن كثير فى التفسير (٤ / ٢٥١) .

وهذه أسانيد جيدة قوية انفرد بها أحمد .

وقال أحمد : حدثنا زيد بن الحباب . حدثنى حسين . حدثنى حصين . حدثنى شقيق : سمعت ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « أتانى جبريل فى خضر مُعلَّق[1] به الدُّر »[2] . إسناده صحيح .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن بزيع البغدادى قال : حدثنا إسحاق بن منصور قال : ثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله [فى قوله][3] ﴿ مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأَى ﴾ قال : « رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه حلتا رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض »[4] . إسناد جيد قوى .

وفى الصحيحين من حديث عامر الشَّعْبى عن مسروق قال : كنت عند عائشة فقلت : أليس الله يقول : ﴿ ولقدْ رَآهُ بالأُفُقِ المُبينِ ﴾ و ﴿ ولَقدْ رآهُ نَزلةً أُخرى ﴾ فقالت : أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله ﷺ عنها ، فقال : إنما ذاك جبريل لم أره[5] فى صورته التى خُلق عليها إلا مرتين ، رأيته[6] منهبطاً من السماء إلى الأرض ، ساداً عظمُ خلْقه ما بين السماء والأرض »[7] .

---

(١) فى د : يتعلق . وفى ط : تعلق .

(٢) أخرجه أحمد (١ / ٤٠٧) .

(٣) زيادة من : د .

(٤) أخرجه أحمد (١ / ٣٩٤ ، ٤١٨) ، والترمذى (٥ / ٣٩٦) ، وابن جرير فى تفسيره (٢٧ / ٤٩) من طريق إسرائيل به .

(٥) فى د ، ط : يره .

(٦) فى د ، ط : رآه .

(٧) أخرجه مسلم (١ / ١٥٩) ، وأحمد (٦ / ٢٣٦ ، ٢٤١) ، والترمذى (٥ / ٢٦٢) وقال : حسن صحيح . ولم أقف عليه فى البخارى ، فالله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا أبو نعيم . حدثنا عمر بن ذر . ح وحدثنى يحيى بن جعفر . حدثنا وكيع عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : ألا تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ قال : فنزلت ﴿ **وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا** ﴾ الآية »[١] .

وروى البخارى من حديث الزهرى عن عبيد الله [بن عبد الله][٢] عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل[٣] يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة »[٤] .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة . حدثنا الليث عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز أخَّر العصر شيئاً . فقال له عروة : أما إن جبريل قد نزل فصلَّى أمام رسول الله ﷺ . فقال عمر : اعلم ما تقول يا عروة . قال : سمعت بشير بن أبى مسعود يقول : سمعت [أبا مسعود يقول : سمعت][٥] رسول الله ﷺ يقول : « نزل جبريل فأمَّنى فصليْتُ معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات »[٦] .

---

(١) أخرجه البخارى (٦ / ٣٠٥) (٨ / ٤٢٨) ، وأحمد (١ / ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٣٥٧) ، والترمذى (٥ / ٣١٦) وقال : حسن غريب .

(٢) ناقص فى : د .

(٣) زيادة من : د .

(٤) أخرجه البخارى (١ / ٣٠) ، ومسلم (٤ / ١٨٠٣) ، وأحمد (١ / ٢٨٨ ، ٣٦٣ ، ٣٧٣) ، والنسائى (٤ / ١٢٥) .

(٥) ناقص فى : د .

(٦) أخرجه البخارى (٦ / ٣٠٥) ، ومسلم (١ / ٤٢٥) ، والنسائى (١ / ٢٤٥) ، وابن ماجه (١ / ٢٢٠) ، وأبو داود (١ / ١٠٧) .

صفة إسرافيل عليه السلام

ومن صفة إسرافيل عليه السلام وهو أحد حملة العرش ، وهو الذى ينفخ فى الصور بأمر ربه نفخات ثلاثة : أولاهن نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة البعث . كما سيأتى بيانه فى موضعه من كتابنا هذا بحول الله وقوته وحسن توفيقه .

والصور قرن ينفخ فيه ، كل دارة[1] منه كما بين السماء والأرض ، وفيه موضع أرواح العباد حين يأمره الله بالنفخ للبعث ، فإذا نفخ تخرج الأرواح تتوهج فيقول الرب جل جلاله : وعزتى وجلالى لترجعن كلُّ روح إلى البدن الذى كانت تعمره فى الدنيا . فتدخل على الأجساد فى قبورها فتدب فيها كما يدب السم فى اللديغ فتحيى الأجساد وتنشق عنهم الأجداث[2] فيخرجون منها سراعاً إلى مقام المحشر كما سيأتى تفصيله فى موضعه .

ولهذا قال رسول الله ﷺ : « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يُؤذن له . قالوا : كيف نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا »[3] .

رواه أحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية . حدثنا الأعمش عن سعد الطائى عن عطية العوفى عن أبى سعيد قال : ذكر رسول الله ﷺ صاحب الصور فقال : « عن يمينه جبريل وعن يساره ميكائيل عليهم السلام »[4] .

---

(١) الدائرة والدارة ، كلاهما : ما أحاط بالشيء . والدارة : دارة القمر التى حوله ، وهى الهالة .

(٢) الأجداث : القبور .

(٣) حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه أحمد (٣ / ٧ ، ٧٣) ، والترمذى (٤ / ٦٢٠) (٥ / ٣٧٢) ، والحميدى (٢ / ٣٣٢) ، والطبرانى فى الصغير (١ / ٢٤) . قال ابن حبان فى « المجروحين » (٢ / ١٧٦) : « عطية العوفى لا يحل الاحتجاج به ولا كتابة حديثه إلا على جهة التعجب » ضعفه أحمد وأبو حاتم والنسائى والذهبى . وقال ابن معين : صالح . انظر : « ميزان الاعتدال » (٣ / ٧٩) .

(٤) أخرجه أحمد (٣ / ٩) ، وأبو داود (٤ / ٣٦) ، والحاكم (٢ / ٢٦٤) ، وذكره القرطبى فى التذكرة (١ / ٢١٥) وعزاه للبزار فى مسنده .

وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى . حدثنا [محمد بن عمران بن أبى ليلى حدثنى أبى عن ابن أبى ليلى][1] عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ ومعه جبريل يناجيه[2] إذ انشق أفق السماء فأقبل إسرافيل يدنو من الأرض ويتمايل ، فإذا مَلك قد مثل بين يدى النبى ﷺ فقال : يا محمد إن الله يأمرك أن تختار بين نبىٍّ عبدٍ أو مَلكٍ نبىٍّ . قال : فأشار جبريل إلىَّ بيده (أن تواضع) فعرفت أنه لى ناصح . فقلت : عبد نبى . فعرج ذلك إلى الملك إلى السماء . فقلت : يا جبريل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا ، فرأيت من حالك ما شغلنى عن المسألة ، فمن هذا يا جبريل ؟

قال : هذا إسرافيل – عليه السلام – خلقه الله يوم خلقه بين يديه صَافّاً قدميه لا يرفع طَرْفَه ، بينه وبين الرب سبعون نوراً ، ما منها من نور يكاد يدنو منه إلا احترق بين يديه لوح ، فإذا أذن الله فى شىء من السماء أو فى الأرض ارتفع ذلك اللوح فضرب جبهته ، فينظر فإن كان من عملى أمرنى به ، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به ، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به .

قلت : يا جبريل وعلى أى شىء أنت ؟ قال : على الريح والجنود .

قلت : وعلى أى شىء ميكائيل ؟ قال : على النبات والقَطْر .

قلت : وعلى أى شىء ملك الموت ؟ قال : على قبض الأنفس ، وما ظننت أنه نزل إلا لقيام الساعة ، وما الذى رأيت منى إلا خوفاً من قيام الساعة »[3] .

هذا حديث غريب من هذا الوجه .

---

(١) وقع خبط كثير فى ضبط هذا الاسم فى النسخ : فى د : محمد بن عمران بن أبى ليلى حدثنى أبى عن ابن ليلى . فى ط : محمد بن عمر أن ابن أبى ليلى حدثنى عن أبى ليلى . وقد وقع فى الطبرانى : محمد بن عمر بن أبى ليلى . والصواب ما أثبتناه . انظر : « الجرح والتعديل » (٨ / ٤١) . قال أبو حاتم : محمد بن عمران كوفى صدوق .

(٢) فى ط : بناحية .

(٣) أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير (١١ / ٣٧٩) ، قال ابن حجر فى الفتح =

وفى صحيح مسلم عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يصلى يقول : « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لِمَا اخْتُلِفَ فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم »[1] .

وفى حديث الصور « أن إسرافيل أول من يبعثه الله بعد الصعق لينفخ فى الصور » .

وذكر محمد بن الحسن النقاش[2] أن إسرافيل أول من سجد من الملائكة فجُوزى بولاية اللوح المحفوظ . حكاه أبو القاسم السهيلى[3] فى كتابه « التعريف والإعلام بما أُبهم فى القرآن من الأعلام » .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوّاً للهِ ومَلائكتِهِ ورُسُلِهِ وجِبْرِيلَ ومِيكالَ ﴾ .

(سورة البقرة : ٩٨)

عطفهما على الملائكة لشرفهما ، فجبريل مَلَكٌ عظيم قد تقدم ذكره .

= (٦ / ٣٠٧) : « فى إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك » ، وأورد الهيثمى الحديث فى المجمع (٩ /١٩) وقال : « فيه محمد بن أبى ليلى وثقه جماعة ولكنه سيِّئ الحفظ » وانظر أيضاً : « المجروحين » لابن حبان (٢ / ٢٤٤) .

(١) أخرجه أحمد (٦ / ١٥٦) ، ومسلم (١ / ٥٣٤) ، وأبو داود (١ / ٢٠٤) ، والنسائى (٣ / ١١٢) ، وابن ماجه (١ / ٤٣١) ، والترمذى (٥ / ٤٨٤) وقال : حسن غريب .

(٢) هو : محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلى ثم البغدادى ، أبو بكر النقاش المقرئ المفسر ، شيخ المقرئين فى عصره على ضعف فيه . كان يكذب فى الحديث والغالب عليه القصص ، حديثه منكر . توفى ٣٥١ هـ . انظر : « ميزان الاعتدال » (٤ / ٤٤٠) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن عبد الله الأندلسى المالقى ، ولد عام بضع وخمسمائة ، أشهر كتبه « الروض الأنف » فى السيرة ، كان واسع المعرفة عالماً بالتفسير ، توفى بمراكش ٥٨١ هـ . (تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٤٨) .

ميكائيل

وأما ميكائيل فموكل بالقَطْر والنبات ، وهو ذو مكانة من ربه عز وجل ومن أشراف الملائكة المقرَّبين .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا أبو اليمان . حدثنا ابن عياش[1] عن عمارة بن غزية[2] الأنصارى أنه سمع حميد بن عبيد مولى بنى[3] المعلى يقول : سمعت ثابتاً البنانى يحدِّث عن أنس بن مالك [عن رسول الله ﷺ][4] أنه قال لجبريل : ما لى لم أَرَ ميكائيل ضاحكاً قط . فقال : ما ضحك ميكائيل[5] منذ خُلقت النار[6] .

فهؤلاء الملائكة المصرَّح بذكرهم فى القرآن وفى الصحاح هم المذكورون فى الدعاء النبوى « اللهم رب جبريل و ميكائيل وإسرافيل » .

فجبريل ينزل بالهدى على الرسل لتبليغ الأمم ، وميكائيل موكل بالقَطْر والنبات اللذين يخلق منهما الأرزاق فى هذه الدار ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه ، يصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الربُّ جل جلاله .

---

(١) فى ط : ابن عباس . وهو خطأ . هو إسماعيل بن عياش أبو عتبة الحمصى ، من أهل الشام ، روايته عن الشاميين صحيحة أما عن المدنيين والعراقيين فضعيفة قد خلط فيها . انظر : « المجروحين » لابن حبان (١ / ١٢٤) . توفى عام ١٨١ هـ عن ٧٥ عاماً .

(٢) فى ط : عمارة بن غزنة . وهو تصحيف . من رجال مسلم والسنن الأربعة ، صدوق مدنى . قال الذهبى : ما علمت أحداً ضعفه سوى ابن حزم . انظر : ميزان الاعتدال (٤ / ٩٨) ، والجرح والتعديل للرازى (٦ / ٣٦٨) .

(٣) ناقصة فى : د .

(٤) ناقص فى : د .

(٥) ناقصة فى : د .

(٦) أخرجه أحمد (٣ / ٢٢٤) ، وأبو الشيخ الأصبهانى فى العظمة (٣ / ٨١٤) ، وعزاه العسقلانى فى الفتح (٦ / ٣٠٧) للطبرانى . قال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٣٨٥) : « فيه إسماعيل بن عياش عن المدنيين وهى ضعيفة ، وبقية رجاله ثقات » .

وقد روينا أنه « ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها مَلَكٌ يقررها فى موضعها من الأرض » .

وإسرافيل موكَّل بالنفخ فى الصور للقيام من القبور والحضور يوم البعث والنشور ليفوز الشكور ويجازى الكفور ، فذاك ذنبه مغفور وسعيه مشكور ، وهذا قد صار عمله كالهباء المنثور ، وهو يدعو بالويل والثبور .

فجبريل عليه السلام يحصل بما ينزل به الهدى ، وميكائيل يحصل بما هو موكل به الرزق ، وإسرافيل يحصل بما هو موكل به النصر والجزاء .

ملك الموت

وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه فى القرآن ولا فى الأحاديث الصحاح ، وقد جاء تسميته فى بعض الآثار بعزرائيل ، والله أعلم .

وقد قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَتوفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إلى رَبِّكُم تُرْجَعُونَ** ﴾ (سورة السجدة : ١١)

وله أعوان يستخرجون روح العبد من جثته حتى تبلغ الحلقوم ، فيتناولها ملك الموت بيده ، فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها منه فيلقوها فى أكفان تليق بها ، كما قد بسط عند قوله : ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بالقَوْلِ الثَّابتِ فى الحياةِ الدنيا وفى الآخِرَةِ** ﴾ (سورة إبراهيم : ٢٧)

ثم يصعدون بها فإن كانت صالحة فتحت لها أبواب السماء وإلا غلقت دونها وألقى بها إلى الأرض .

قال الله تعالى : ﴿ **وهُو القَاهِرُ فوقَ عبادهِ ويُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حتَّى إذَا جاءَ أَحَدَكُمُ الموتُ تَوفَّتْهُ رُسُلنَا وهُمْ لَا يُفرِّطُونَ * ثم رُدُّوا إلى اللهِ مَوْلاهُمُ الحقِّ أَلَا لَهُ الحُكْمُ وهُوَ أسْرَعُ الحَاسِبِينَ** ﴾ (سورة الأنعام : ٦١ ، ٦٢)

وعن ابن عباس ومجاهد وغير واحد أنهم قالوا : إن الأرض بين يدى ملك الموت مثل الطست يتناول منها حيث يشاء .

وقد ذكرنا أن ملائكة الموت يأتون الإنسان على حسب عمله ، إن كان مؤمناً أتاه ملائكة بيض الوجوه بيض الثياب طيبة الأرواح ، وإن كان كافراً فبالضدِّ من ذلك ، عياذاً بالله العظيم من ذلك .

وقد قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى . حدثنا يحيى بن أبى يحيى المقرى . حدثنا عمرو ابن شمر . قال : سمعت جعفر بن محمد قال : سمعت أبى يقول : نظر رسول الله ﷺ إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار ، فقال له النبى ﷺ : « يا ملك الموت ارفق بصاحبى فإنه مؤمن . فقال ملك الموت : يا محمد طب نفساً وقر عيناً فإنى بكل مؤمن رفيق ، واعلم أن ما فى الأرض بيت مدرٍ ولا شعر فى برٍّ ولا بحر إلا وأنا أتصفحهم[1] فى كل يوم خمس مرات حتى إنى أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم[2] بأنفسهم ، والله يا محمد لو أنى أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكونَ الله هو الآمر بقبضها . قال جعفر بن محمد[3] : بلغنى [أنه يتصفحهم][4] عند مواقيت الصلاة ، فإذا حضر عند الموت ، فإن كان ممن يحافظ على الصلاة دنا منه الملك ودفع عنه الشيطان ولقنه الملك لا إله إلا الله محمد رسول الله فى ذلك الحال العظيمة » . هذا حديث مرسل ، وفيه نظر [5] .

---

(١) فى ط : أتفحصهم . تصفحت وجوه القوم إذا تأملت وجوههم .

(٢) زيادة من : د .

(٣) وقع هنا فى د : هو الصادق . وفى ط : أبى هو الصادق .

(٤) فى ط : بتفحصهم .

(٥) ذكره ابن كثير فى تفسيره (٣ / ٤٥٨) مرسلاً أيضاً . وقد أخرجه مرفوعاً من حديث الحارث بن الخزرج عن أبيه الطبرانى فى الكبير (٤ / ٢٢٠) ، وأخرجه مختصراً البزار (١ / ٣٧٢ كشف) ، والسهمى فى « تاريخ جرجان » (ص ٧١) ، وقد أورد ابن حجر هذا الحديث فى الإصابة (٢ / ٢٧٧) وقال : عمرو بن شمر متروك الحديث . وانظر أيضاً عنه : « المجروحين » لابن حبان (٢ / ٧٥) .

وذكرنا فى حديث الصور[١] من طريق إسماعيل بن رافع المدنى القاص عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ ... الحديث بطوله .

وفيه : « ويأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق ، فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات وأهل الأرض إلاَّمَنْ شاء الله ، فإذا هم قد خمدوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول : يارب قد مات أهل السماوات وأهل[٢] الأرض إلا من شئت . فيقول الله – وهو أعلم بن بقى – : فمن بقى ؟ فيقول : يارب[٣] بقيت أنت الحى الذى لا يموت ، وبقيت حملة عرشك ، وبقى جبريل وميكائيل . فيقول : ليمت جبريل وميكائيل ، فينطق الله العرش فيقول : يارب يموت جبريل وميكائيل . فيقول : اسكت فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى . فيموتان . ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول : يارب قد مات جبريل وميكائيل . فيقول الله – وهو أعلم بمن بقى – : فمن بقى ؟ فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا . فيقول الله : لِتَمُتْ حَمَلَةُ عرشى . فتموت .

ويأمر الله العرش فيقبض الصور من إسرافيل ، ثم يأتى ملك الموت فيقول : يارب قد مات حملة عرشك . فيقول الله – وهو أعلم بمن بقى – : فمن بقى ، فيقول : بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا . فيقول الله : أنت خلْق من خلقى ، خلقتك لما أردت فَمُتْ . فيموت . فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار[٤] الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، كان آخراً كما كان أولاً » وذكر تمام[٥] الحديث بطوله .

رواه الطبرانى وابن جرير والبيهقى ، ورواه الحافظ أبو موسى المدينى[٦] فى كتاب « الطوالات » وعنده زيادة غريبة وهى قوله : « فيقول الله له : أنت خلق من خلقى خلقتك لما أردت فَمُتْ موتاً لا تحيا بعده أبداً » .

---

(١) سبق تخريج حديث الصور .

(٢ – ٣) زيادة من : د .

(٤ – ٥) ناقص فى : د .

(٦) هو الحافظ محمد بن عمر الأصبهانى ، ولد ٥٠١ هـ ، سمع الكثير ورحل طلباً للعلم ، ثقة صدوق متواضع ، له تصانيف كثيرة ، توفى ٥٨١ هـ . (تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٣٦) .

ومن الملائكة المنصوص على أسمائهم فى القرآن هاروت وماروت فى قول جماعة كثيرة من السلف ، وقد ورد فى قصتهما وما كان من أمرهما آثار كثيرة غالبها إسرائيليات .

وروى الإمام أحمد حديثاً مرفوعاً عن ابن عمر وصححه ابن حبان فى تقاسيمه ، وفى صحته عندى نظر ، والأشبه أنه موقوف على عبد الله بن عمر ، ويكون مما تلقاه عن كعب الأحبار كما سيأتى بيانه والله أعلم .

وفيه : « أنه تمثلت لهما الزهرة امرأة من أحسن البشر » .

وعن علىٍّ وابن عباس وابن عمر أيضاً أن الزهرة كانت امرأة ، وأنهما لما طلبا منها ما ذكر أبت إلا أن يُعلِّماها الاسم الأعظم فعلَّماها ، فقالته فارتفعت إلى السماء فصارت كوكباً .

وروى الحاكم فى مستدركه عن ابن عباس قال : « وفى ذلك الزمان امرأة حسنها فى النساء كحسن الزهرة فى سائر الكواكب » وهذا اللفظ أحسن ما ورد فى شأن الزهرة .

ثم قيل : كان أمرهما وقصتهما فى زمان إدريس ، وقيل : فى زمان سليمان بن داود ، كما حررنا ذلك فى التفسير .

وبالجملة فهو خبر إسرائيلى مرجعه إلى كعب الأحبار ، كما رواه عبد الرزاق فى تفسيره عن الثورى عن موسى بن عقبة عن سالم عن ابن عمر عن كعب الأحبار بالقصة . وهذا أصح إسناداً وأثبت رجالاً والله أعلم[1] .

ثم قد قيل : إن المراد بقوله : ﴿ **وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ** ﴾ قبيلان من الجان قاله ابن حزم ، وهذا غريب وبعيد من اللفظ ، ومن الناس من قرأ (وما أنزل على المِلِكين) بالكسر ويجعلهما علجين[2] من أهل فارس قاله الضحاك . ومن الناس من يقول هما ملكان من السماء ولكن سبق فى قدر الله لهما ما ذكره من أمرهما إن صح به الخبر ويكون حكمهما كحكم إبليس إن قيل إنه من الملائكة ، لكن الصحيح أنه من الجن كما سيأتى تقريره .

---

(١) سبق الكلام على هذا الحديث مفصلاً ، وكذلك تخريجه صفحة ١٠٣ .

(٢) العلج : الرجل الشديد الغليظ القوى . والعلج : الرجل من كفار العجم .

ومن الملائكة المسمين فى الحديث منكر ونكير عليهما السلام ، وقد استفاض فى الأحاديث ذكرهما فى سؤال القبر . وقد أوردناها عند قوله تعالى : ﴿ **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ (سورة إبراهيم : ٢٧)

وهما فتانا القبر ، موكلان بسؤال الميت فى قبره عن ربه ودينه ونبيه ، ويمتحنان البَرَّ والفاجر ، وهما أزرقان أفرقان[١] لهما أنياب وأشكال مزعجة وأصوات مفزعة ، أجارنا الله من عذاب القبر وثبَّتنا بالقول الثابت ، آمين .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف . حدثنا ابن وهب . حدثنى يونس عن ابن شهاب . حدثنى عروة أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أنها قالت للنبى ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد . قال : لقد لقيت من قومك [ما لقيت][٢] ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يُجِبْنى [إلى ما أردت][٣] ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[٤] ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به[٥] عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فنادانى ملك الجبال فسَلَّم علىَّ ثم قال : يا محمد . فقال : ذلك فما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[٦] ،

---

(١) الأفرق : المتباعد ما بين القرنين . وقد يكون بمعنى أن منظرهما مزعج مخيف .

(٢) زيادة من صحيح البخارى ، ولم ترد فى لفظ مسلم .

(٣) ناقص فى : د .

(٤) قرن الثعالب : هو ميقات أهل نجد ، وهو على يوم وليلة من مكة ، وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير .

(٥) ناقصة فى : د . ولم ترد فى لفظ الحديث عند مسلم والبخارى .

(٦) الأخشبين : هما جبلا مكة أبو قبيس والذى يقابله ، وسميا بذلك لصلابتهما .

فقال النبى ﷺ : « بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم مَنْ يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً » . ورواه مسلم من حديث ابن وهب به[1] .

* * *

ثم الملائكة عليهم السلام بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام :

– فمنهم حملة العرش كما تقدم ذكرهم .

– ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش ، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش ، وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى : ﴿ **لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أنْ يَكُونَ عَبْداً لله ولَا الملائكةُ المقرَّبُونَ** ﴾ (سورة النساء : ١٧٢)

– ومنهم جبريل وميكائيل عليهم السلام ، وقد ذكر الله عنهم أنهم يستغفرون للمؤمنين بظهر الغيب ، كما قال تعالى :

﴿ **ويَسْتغفِرُونَ للَّذِينَ آمنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شيءٍ رَحْمةً وعِلْماً فاغْفِرْ للَّذِينَ تَابُوا واتَّبعُوا سبيلَكَ وقِهِمْ عذابَ الجحيمِ * رَبَّنَا وأَدْخِلْهُمْ جناتِ عَدْنٍ التى وَعدْتَهُمْ ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وأزواجِهِمْ وذُرِّيَّاتِهِمْ إنَّك أنتَ العزيزُ الحكيمُ * وقِهِمُ السيِّئاتِ ومَنْ تَقِ السيئاتِ يَوْمئِذٍ فقد رَحِمْتَهُ وذلِكَ هُوَ الفوزُ العظيمُ** ﴾ (سورة غافر : ٧ – ٩)

ولما كانت سجاياهم هذه السجية الطاهرة كانوا يحبون من اتصف بهذه الصفة ، فثبت فى الحديث عن الصادق المصدوق أنه قال : « إذا دعا العبدُ لأخيه بظهر الغيب قال المَلَكُ آمين ولك بِمِثْلٍ »[2] .

– ومنهم سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة دائبة ليلاً ونهاراً ، صباحاً ومساءً ، كما قال تعالى : ﴿ **يُسَبِّحُونَ الليلَ والنهارَ لَا يَفْتُرُونَ** ﴾ (سورة الأنبياء : ٢٠)

فمنهم الراكع دائماً والقائم دائماً والساجد دائماً ، ومنهم الذين يتعاقبون زمرة

---

(١) أخرجه البخارى (٦ / ٣١٢) ، ومسلم (٣ / ١٤٢٠) .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ٢٠٩٤) ، وابن ماجه (٢ / ٩٦٦) ، وأحمد (٥ / ١٩٥) ، وأبو داود (٢ / ٨٩) عن أبى الدرداء .

بعد زمرة إلى البيت المعمور كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إليه آخر ما عليهم ، ومنهم الموكَّلون بالجنان وإعداد الكرامة لأهلها وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومصاغ ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

– وخازن الجنة ملك يقال له رضوان جاء مُصَرَّحاً به فى بعض الأحاديث .

– ومنهم الموكَّلون بالنار وهم الزبانية[1] ، ومقدموهم تسعة عشر ، وخازنها مالك وهو مقدم على جميع الخزنة ، وهم المذكورون فى قوله تعالى : ﴿ وقالَ الَّذِينَ فى النَّارِ لِخَزَنةِ جَهنَّمَ ادْعُوا ربَّكُمْ يُخفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ العَذَابِ ﴾ الآية (سورة غافر : ٤٩)

وقال تعالى : ﴿ ونَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ قَالَ إنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقدْ جِئْنَاكُمْ بالحقِّ ولكِنَّ أكثرَكُمْ للحقِّ كَارِهُونَ ﴾ (سورة الزخرف : ٧٧ ، ٧٨)

وقال تعالى : ﴿ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللهَ ما أمرَهُمْ ويَفْعلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ﴾ (سورة التحريم : ٦)

وقال تعالى : ﴿ عليها تِسْعَةَ عَشَرَ * وما جَعَلْنَا أصحابَ النارِ إلَّا ملائكةً وما جعلْنَا عِدَّتَهُمْ إلَّا فِتْنةً لِلَّذينَ كفروا لِيَسْتَيْقِنَ الذِينَ أُوتُوا الكتابَ ويزدادَ الذِينَ آمنُوا إيمَاناً ولَا يَرْتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ والمُؤْمِنُونَ ولِيَقُولَ الَّذِينَ فى قُلوبِهِمْ مَرَضٌ والكَافِرُونَ مَاذَا أرادَ اللهُ بهذَا مَثَلاً كذلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ يشاءُ ويهدى مَنْ يَشَاءُ وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلَّا هُو ﴾ (سورة المدثر : ٣٠ ، ٣١)

– ومنهم الموكّلون بحفظ بنى آدم كما قال الله تعالى : ﴿ سَواءٌ منكم مَنْ أسَرَّ القَوْلَ ومَنْ جَهرَ به ومَنْ هُو مُسْتَخْفٍ بالليلِ وسَارِبٌ بالنهارِ * لَهُ مُعقِّباتٌ مِنْ بينِ يَدَيْه ومِنْ خلْفِه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْرِ اللهِ إنَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بِقَوْمٍ حتَّى يُغيِّرُوا ما بأنْفُسِهم وإذَا أرادَ اللهُ بقومٍ سُوءاً فلا مَردَّ لَهُ وما لَهُم مِنْ دُونِه مِنْ وَالٍ ﴾ (سورة الرعد : ١٠ ، ١١)

(١) الزَّبْن : الدفع بالأيدى والأرجل . وسمى بذلك بعضُ الملائكة لدفعهم أهل النار إليها ، وهم أيضاً الغلاظ الشداد .

قال الوالبى عن ابن عباس : ﴿ لَهُ مُعقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ ﴾ وهى الملائكة . وقال عكرمة عن ابن عباس : يحفظونه من أمر الله . قال : ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه . وقال مجاهد : ما من عبد إلا وملك موكَّل بحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام ، وليس شىء يأتيه يريده إلا قال : وراءك ، إلا شىء يأذن الله فيه ، فيصيبه .

وقال أبو أمامة[1] : ما من آدمى إلا ومعه ملك يَذُودُ عنه حتى يُسْلِمَه للذى قُدِّر له . وقال أبو مجلز : جاء رجل إلى علىٍّ[2] فقال : إن نفراً من مراد يريدون قتلك ، فقال : إن مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يُقدَّر ، فإذا جاء القدر خَلَّيا بينه وبينه ، إن الأجل جُنَّة حصينة .

– ومنهم الموكَّلون بحفظ أعمال العباد كما قال تعالى : ﴿ عَنِ اليمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (سورة ق : ١٧ ، ١٨)

وقال تعالى : ﴿ وإنَّ عَلَيْكُمْ لحَافِظِينَ * كِرَاماً كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ ما تَفْعلُونَ ﴾ .
(سورة الانفطار : ١٠ – ١٢)

قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى فى تفسيره : حدثنا أبى . حدثنا على بن محمد الطنافسى . حدثنا وكيع . حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة بن مرثد[3] عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ : « أكْرِمُوا الكرامَ الكاتبين الذين لا يُفارقونكم إلا عند إحدى حالتين الجنابة والغائط ، فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم[4] حائط أو ببعيره أو يستره أخوه »[5] هذا مُرْسَل من هذا الوجه .

(١) فى ط : أبو أسامة . وما أثبتناه موافق أيضاً لما فى تفسير ابن كثير (٢ / ٥٠٤) .

(٢) المقصود على بن أبى طالب رضى الله عنه .

(٣) فى ط : علقمة بن يزيد . وابن مرثد هو الحضرمى الكوفى ، قال الإمام أحمد : ثقة ثَبْتٌ فى الحديث . وقال أبو حاتم : صالح الحديث . انظر : الجرح والتعديل (٦ / ٤٠٦) .

(٤) جذم كل شىء : أصله . فالمقصود بقية حائط أو قطعة من حائط .

(٥) أورده ابن كثير أيضاً فى تفسيره (٤ / ٤٨٢) مرسلاً هكذا وعزاه لابن أبى حاتم .

وقد وصله البزار فى مسنده من طريق حفص[1] بن سليمان – وفيه كلام – عن علقمة عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ينهاكم عن التعرِّى فاستحيوا من ملائكة[2] الله الذين[3] معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغُسْل ، فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستترْ بثوبه أو بجذم حائط أو بعيره »[4] .

ومعنى إكرامهم أن يستحى منهم فلا يملى عليهم الأعمال القبيحة التى يكتبونها ، فإن الله خلقهم كراماً فى خَلْقهم وأخلاقهم .

ومن كرمهم أنه قد ثبت فى الحديث المروى فى الصحاح والسنن والمسانيد من حديث جماعة من الصحابة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب »[5] .

وفى رواية عن عاصم بن ضمرة عن على « ولا بول »[6] . وفى رواية رافع عن أبى سعيد مرفوعاً « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا تمثال »[7] . وفى رواية مجاهد

---

(١) فى ط : جعفر . وهو تصحيف . وحفص هو الأسدى أبو عمر البزاز ، كان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل . قال ابن معين : ليس ثقة . وقد لين البزار حديثه . انظر : المجروحين لابن حبان (١ / ٢٥٥) ، وميزان الاعتدال (٢ / ٨١) .

(٢) ناقصة فى : د ، ط . وقد استكملتها من مصادر الحديث .

(٣) فى د : الذى . وفى ط : والذين .

(٤) أخرجه البزار (١ / ١٦٠ كشف الأستار) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٦ / ٣٢٣) للبزار ، وقال البزار : حفص بن سليمان لين الحديث . وسبق الكلام عليه قريباً .

(٥) رواه بهذ اللفظ على بن أبى طالب ، وقد أخرجه أحمد (١ / ٨٣ ، ١٣٩ ، ١٥٠) والنسائى (١ / ١٤١) (٧ / ١٨٤) ، وأبو داود (١ / ٥٨) (٤ / ٧٢) ، ولم أقف على لفظ الجنب إلا فى حديث علىٍّ رضى الله عنه والله أعلم .

(٦) هذه الرواية أخرجها عبد الله بن أحمد بن حنبل فى زوائده على مسند أبيه (١ / ١٤٦) .

(٧) حديث أبى سعيد أخرجه أحمد (٣ / ٩٠) ، والترمذى (٥ / ١١٤) وقال : حسن صحيح .

عن أبي هريرة مرفوعاً « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب أو تمثال »[1] .

وفي رواية ذكوان أبي صالح السماك عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تصحب[2] الملائكة رفقة معهم كلب أو جرس »[3] . ورواه زرارة بن أوفى عنه « لا تصحب[4] الملائكة رفقة معهم جرس »[5] .

وقال البزار : حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادي المعروف بالقلوسي . حدثنا بيان بن حمران . حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ملائكة الله يعرفون بني آدم – وأحسبه قال : ويعرفون أعمالهم – فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا : أفلح الليلة فلان ، نجا الليلة فلان . وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه ، وقالوا : هلك فلان الليلة »[6] .

ثم قال : سلام أحسبه سلام المدائني وهو ليِّن الحديث[7] .

وقد قال البخاري : حدثنا أبو اليمان . حدثنا شعيب . حدثنا أبو الزناد عن الأعرج

---

(١) طريق مجاهد عن أبي هريرة مرفوعاً عند أحمد (٢ / ٣٠٨) أن جبريل أبى دخول البيت لأن فيه ستراً فيه تماثيل قال : « إنَّا لا ندخل بيتاً فيه تماثيل » .

(٢) في د : لا تدخل .

(٣) طريق أبي صالح أخرجه أحمد (٢ / ٢٦٢ ، ٣١١ ، ٣٢٧ ، ٣٤٣ ، ٣٩٢ ، ٤٤٤ ، ٤٧٦ ، ٥٣٧) ، وأبو داود (٣ / ٢٥) حديث (٢٥٥٥) ، والترمذي (٤ / ٢٠٧) وقال : حسن صحيح .

(٤) في د : لا تدخل .

(٥) طريق زرارة بن أوفى عن أبي هريرة أخرجه أحمد (٢ / ٣٨٥ ، ٤١٤) .

(٦) أخرجه البزار (٤ / ٦٧ كشف) ، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠ / ٢٢٦) وقال : « وفيه من لم أعرفهم » .

(٧) هو سلام بن سلم التميمي المدائني . قال البخاري : تركوه . وقال ابن معين : ضعيف لا يكتب حديثه . وقال أحمد : منكر الحديث . وانظر التفصيل في : ميزان الاعتدال (٢ / ٣٦٥) .

عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « الملائكة يتعاقبون ، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول : كيف تركتم عبادى ، فيقولون : تركناهم وهم يُصلُّون وأتيناهم وهم يُصلُّون »[1] .

هذا اللفظ فى كتاب بدء الخلق بهذا السياق ، وهذا اللفظ تفرَّد به دون مسلم من هذا الوجه ، وقد أخرجاه فى الصحيحين فى البدء من حديث مالك عن أبى الزناد به .

وقال البزار : حدثنا زياد بن أيوب . حدثنا مبشر بن إسماعيل الحلبى . حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن – يعنى البصرى – عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا فى يوم ، فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفاراً إلا قال الله : غفرتُ لعبدى ما بين طرفى الصحيفة »[2] .

ثم قال : تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث .

قلت : وقد وثَّقه ابن معين وضعفه البخارى وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائى وابن عدى ورماه ابن حبان بالوضع ، وقال الإمام أحمد : لا أعرف حقيقة أمره .

والمقصود أن كل إنسان له حافظان ملكان اثنان ، واحد من بين يديه وآخر من خلفه يحفظانه من أمر الله بأمر الله عز وجل ، وملكان كاتبان عن يمينه وعن شماله ، وكاتب اليمين أمير على كاتب الشمال ، كما ذكرنا ذلك عند قوله تعالى : ﴿ **عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ قَعِيدٌ * ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ** ﴾ (سورة ق : ١٧ ، ١٨)

---

(١) أخرجه البخارى (٢ / ٣٣) (٦ / ٣٠٦) (١٣ / ٤١٥) ، ومالك فى الموطأ (١ / ١٧٠) ، وأحمد (٢ / ٢٥٧ ، ٣١٢ ، ٤٨٦) ، ومسلم (١ / ٤٣٩) ، والنسائى (١ / ٢٤٠) .

(٢) أخرجه الترمذى (٣ / ٣٠١) ، والبزار (٤ / ٨٣ كشف) ، وأبو يعلى فى مسنده (٥ / ١٦٢) . وانظر : مجمع الزوائد (١٠ / ٢٠٨) . وأورده ابن حبان فى « المجروحين » (١ / ٢٠٤) فى ترجمة تمام بن نجيح وقال عنه : « منكر الحديث جداً » .

فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا أسود بن عامر . حدثنا سفيان . حدثنا منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه عن عبد الله – هو ابن مسعود – قال قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينُه من الجنِّ وقرينُه من الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى ، ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بخير »[1] .

انفرد بإخراجه مسلم من حديث منصور به .

فيحتمل أن هذا القرين من الملائكة غير القرين لحفظ الإنسان ، وإنما هو موكَّل به ليهديَه ويرشدَه بإذن ربه إلى سبيل الخير وطريق الرشاد ، كما أنه قد وُكِّل به القرين من الشياطين لا يألوه جهداً فى الخبال والإضلال . والمعصوم من عصمه الله عز وجل وبالله المستعان .

وقال البخارى : حدثنا أحمد بن يونس . حدثنا إبراهيم بن سعد . حدثنا ابن شهاب عن أبى سلمة بن عبد الرحمن والأغر عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة ، يكتبون الأول فالأول ، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر »[2] . وهكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه ، وهو فى الصحيحين من وجه آخر[3] .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَقُرْآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾ .

(سورة الإسراء : ٧٨)

وقال الإمام أحمد : حدثنا أسباط . حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود عن

---

(١) أخرجه أحمد (١ / ٣٨٥ ، ٣٩٧ ، ٤٠١ ، ٤٦٠) ، ومسلم (٤ / ٢١٦٧) عن ابن مسعود .

(٢) أخرجه من هذا الوجه البخارى (٦ / ٣٠٤) ، وأحمد (٢ / ٢٦٣) .

(٣) وقد أخرجه البخارى (٢ / ٤٠٧) ، ومسلم (٢ / ٥٨٧) ، وأحمد (٢ / ٥٠٥ ، ٥١٢) ، والنسائى (٣ / ٩٧) من طريق ابن شهاب الزهرى عن الأغر وحده به بلفظ آخر .

النبى ﷺ . وحدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ وقُرْآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً ﴾ قال : تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار »[1] .

ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث أسباط ، وقال الترمذى : حسن صحيح . قلت : وهو منقطع .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد . حدثنا عبد الرزاق . أنبأنا معمر عن الزهرى عن أبى سلمة وسعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « فضلُ صلاة الجمع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة . وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر . يقول أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : ﴿ وقُرْآنَ الفَجْرِ إنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كانَ مَشْهُوداً ﴾[2] » .

وقال البخارى : حدثنا مسدد . حدثنا أبو عوانة عن الأعمش عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح »[3] . تابعه شعبة وأبو حمزة[4] وابن داود[5] وأبو معاوية عن الأعمش .

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٤٧٤) ، والترمذى (٥ / ٣٠٢) ، وابن ماجه (١ / ٢٢٠) .

(٢) أخرجه البخارى (٢ / ١٣٧) (٨ / ٣٩٩) ، ومسلم (١ / ٤٥٠) ، والنسائى (١ / ٢٤١) ، وأحمد (٢ / ٢٣٣ ، ٢٦٦) .

(٣) أخرجه البخارى (٦ / ٣١٤) (٩ / ٢٩٣) ، ومسلم (٢ / ١٠٦٠) ، وأحمد (٢ / ٤٣٩ ، ٤٨٠) وأبو داود (٢ / ٢٤٤) .

(٤) أبو حمزة هو محمد بن ميمون المروزى السكرى ، ثقة صدوق إمام مشهور توفى عام ١٦٧ هـ . انظر الجرح والتعديل (٨ / ٨١) ، وميزان الاعتدال (٥ / ١٧٨) .

(٥) فى د ، ط : أبو داود . وهو تصحيف وقد صوبناه من صحيح البخارى (٦ / ٣١٤) ، وهو أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود بن عامر الهمدانى الكوفى الخريبى ، ثقة عابد مأمون ، توفى ٢١٣ هـ . انظر تذكرة الحفاظ (١ / ٣٣٨) وفتح البارى (٦ / ٣١٤) .

وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمَّنَ الإمامُ فأمِّنوا ، فإن مَنْ وافق تأمينُه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »(١) .

وفى صحيح البخارى : حدثنا إسماعيل بلفظ « إذا قال الإمامُ آمينَ فإن الملائكة تقول فى السماء آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »(٢) .

وفى صحيح البخارى : حدثنا إسماعيل . حدثنى مالك عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « إذا قال الإمام سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا ولك الحمد ، فإن من وافق قولُه قولَ الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه »(٣) ورواه بقية الجماعة إلا ابن ماجه من حديث مالك .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية . حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة – أو عن أبى سعيد – هو شك (يعنى الأعمش) قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة سيَّاحين فى الأرض فضلاً عن كُتَّاب الناس ، فإذا وجدوا أقواماً يذكرون الله تنادوا(٤) هلموا إلى بُغْيتكم فيجيئون بهم إلى السماء الدنيا ، فيقول الله : أى شئ تركتم عبادى يصنعون ؟ فيقولون : تركناهم يحمدونك ويُمجِّدونك ويذكرونك . فيقول : وهل رأونى ؟ فيقولون : لا . فيقول : كيف لو رأونى ؟ فيقولون : لو رأوك لكانوا أشدَّ تحميداً وتمجيداً وذكراً . قال فيقول : فأى شئ يطلبون ؟ فيقولون : يطلبون الجنة . فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا . فيقول : وكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصاً وأشد لها طلباً . قال : فيقول :

---

(١) أخرجه البخارى (٢ / ٦٢) ، ومسلم (١ / ٣٠٧) ، ومالك (١ / ٨٧) ، وأبو داود (١ / ٢٤٦) ، والترمذى (٢ / ٣٠) وقال : حسن صحيح .

(٢) أخرجه مالك فى الموطأ (١ / ٨٨) ، والبخارى (٢ / ٢٦٦) ، ومسلم (١ / ٣٠٧) .

(٣) أخرجه البخارى (٢ / ٢٨٣) (٦ / ٣١٢) ، ومسلم (١ / ٣٠٦) ، ومالك (١ / ٨٨) ، وأبو داود (١ / ٢٢٤) ، والترمذى (٢/٠ ٥٥) وقال : حسن صحيح .

(٤) فى د ، ط : فنادوا .

من أى شيء[1] يتعوّذون ؟ فيقولون : من النار . فيقول : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا . فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها كانوا أشد منها هرباً وأشد منها خوفاً . قال : فيقول : أُشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال : فيقولون[2] : إن فيهم فلاناً الخطّاء لم يُرِدْهُم إنما جاء لحاجة ، فيقول : هم القوم لا يشقى بهم جليسُهم »[3] .

وهكذا رواه البخارى عن قتيبة عن جرير بن عبد الحميد عن الأعمش به[4] وقال : رواه شعبة عن الأعمش ولم يرفعه . ورفعه سهيل عن أبيه .

وقد رواه أحمد عن عفان عن وهيب عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بنحوه[5] . كما ذكره البخارى معلقاً عن سهيل .

ورواه مسلم عن محمد بن حاتم عن بهز بن أسد عن وهيب[6] به .

وقد رواه الإمام أحمد أيضاً عن غندر[7] عن شعبة عن سليمان – هو الأعمش – عن أبى صالح عن أبى هريرة[8] كما أشار إليه البخارى رحمه الله .

---

(١) ناقصة فى : د ، ط . وقد استكملناها من نص الحديث فى مصادره .

(٢) فى ط : فيقول .

(٣) طريق أبى معاوية أخرجها أحمد (٢ / ٢٥١) ، والترمذى (٥ / ٥٧٩) وقال : حسن صحيح .

(٤) أخرج البخارى طريق قتيبة فى صحيحه (١١ / ٢٠٨) .

(٥) طريق عفان عن وهيب أخرجها أحمد (٢ / ٢٥١ ، ٣٨٣) . وله طرق أخرى عند أحمد إلى أبى صالح السمان عن أبى هريرة (٢ / ٣٥٨ ، ٣٥٩) .

(٦) فى د ، ط : وهب . وهو خطأ . وقد أخرج مسلم هذه الطريق عن وهيب (٤ / ٢٠٦٩) .

(٧) هو : أبو عبد الله محمد بن جعفر الهذلى البصرى ، وغندر لقب له ، لزم شعبة فأكثر عنه جداً ، حافظ متقن ، توفى عام ١٩٣ هـ . تذكرة الحفاظ (١ / ٣٠١) .

(٨) أخرج هذه الطريق أحمد فى مسنده (٢ / ٢٥١) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش . وابن نمير أخبرنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله : « مَنْ نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرَب الدنيا نفَّس الله عنه كربةً من كُرَب يوم القيامة ، ومَنْ ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه[1] علماً سهَّل الله له[2] به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع[3] قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومَنْ بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبُه »[4] . وكذا رواه مسلم من حديث أبى معاوية .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق . حدثنا معمر عن أبى إسحاق عن الأغر أبى مسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد عن رسول الله ﷺ قال : « ما اجتمع قومٌ يذكرون الله إلا حفَّتهم الملائكة وتغشتهم[5] الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده »[6] .

وكذا رواه أيضاً من حديث إسرائيل وسفيان الثورى وشعبة عن أبى إسحاق به نحوه . ورواه مسلم من حديث شعبة ، والترمذى من حديث الثورى وقال :

---

(١) فى ط : به .

(٢) ناقصة فى : د .

(٣) فى د : التمس .

(٤) أخرجه أحمد فى مسنده (٢ / ٢٥٢) ، ومسلم (٤ / ٢٠٧٤) ، وابن ماجه (١ / ٨٢) بهذا اللفظ مطولاً .

(٥) فى ط : وغشيتهم . وكلاهما قد ورد به لفظ الحديث ، ولكن ما أثبتناه هو لفظ معمر وإسرائيل عن أبى إسحاق به .

(٦) طريق معمر عن أبى إسحاق أخرجها أحمد (٣ / ٩٤) ، أما طريق إسرائيل وشعبة عن أبى إسحاق فقد أخرجهما أحمد (٣ / ٣٣ ، ٩٢) . وقد أخرج طريق شعبة أيضاً مسلم (٤ / ٢٠٧٤) ، أما طريق سفيان الثورى فقد أخرجها الترمذى (٥ / ٤٥٩) .

حسن صحيح . ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن آدم عن عمار بن رُزَيق[1] عن أبى إسحاق بإسناد نحوه . وفى هذا المعنى أحاديث كثيرة ..

وفى مسند الإمام أحمد والسنن عن أبى الدرداء مرفوعاً : « وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع »[2] . أى تتواضع له ، كما قال تعالى : ﴿ **واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَةِ** ﴾ (سورة الإسراء : ٢٤)

وقال تعالى : ﴿ **واخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبعكَ مِنَ المُؤْمِنينَ** ﴾ (سورة الشعراء : ٢١٥)

وقال الإمام أحمد : حدثنا [وكيع عن سفيان][3] عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : « إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من[4] أمتى السلام »[5] .

وهكذا رواه النسائى من حديث سفيان الثورى وسليمان الأعمش كلاهما عن عبد الله بن السائب به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق . حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلِقَتِ الملائكةُ من نور ، وخُلِقَ الجانُّ من مارج[6] من نار ، وخُلِق آدم مما وُصِف لكم »[7] .

---

(١) فى ط : زريق . وهو تصحيف . وابن رزيق كوفى ثقة . ميزان الاعتدال (٤ / ٨٤) ، وقد أخرج هذه الطريق ابن ماجه (٢ / ١٢٤٥) .

(٢) حديث أبى الدرداء أخرجه أحمد (٥ / ١٩٦) ، وأبو داود (٣ / ٣١٧) ، والترمذى (٥ / ٤٨) وابن ماجه (١ / ٨١) . وطريق أحمد والترمذى ليست بمتصلة قاله الترمذى .

(٣) فى د : سفيان عن وكيع . وسفيان هو الثورى شيخ وكيع بن الجراح .

(٤) فى ط : ليبلغونى عن . وفى د أيضاً : عن . وأثبتنا من لأنها لفظ الحديث عند أحمد والنسائى ، أما عند الدارمى والحاكم فهى « عن » .

(٥) أخرجه أحمد (١ / ٣٨٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٢) ، والنسائى (٣ / ٤٣) ، والدارمى (٢ / ٢٢٥) والحاكم (٢ / ٤٢١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى .

(٦) مارج النار : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد المختلط بسوادها .

(٧) أخرجه أحمد (٦ / ١٥٣ ، ١٦٨) ، ومسلم (٤ / ٢٢٩٤) .

وهكذا رواه مسلم عن محمد بن رافع وعبد[1] بن حميد . كلاهما عن عبد الرزاق به .

والأحاديث فى ذكر الملائكة كثيرة جداً ، وقد ذكرنا ما يسَّره الله تعالى وله الحمد .

فصل فى تفضيل الملائكة على البشر

وقد اختلف الناس فى تفضيل الملائكة على البشر على أقوال ، فأكثر ما توجد هذه المسألة فى كتب المتكلمين. والخلاف فيها مع المعتزلة ومَنْ وافقهم .

وأقدم كلام رأيته فى هذه المسألة ما ذكره الحافظ ابن عساكر[2] فى تاريخه فى ترجمة أمية بن عمرو بن سعيد بن العاص أنه حضر مجلساً لعمر بن عبد العزيز وعنده جماعة ، فقال عمر : ما أحد أكرم على الله من كريم بنى آدم ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ **إنَّ الَّذينَ آمَنُوا وعِملُوا الصَّالحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيَّةِ** ﴾[3] . ووافقه على ذلك أمية بن عمرو بن سعيد . فقال عراك بن مالك : ما أحد أكرم على الله من ملائكته ، هم خدمة داره ورسله إلى أنبيائه . واستدل بقوله تعالى : ﴿ **مَا نَهاكُما ربُّكُما عن هَذهِ الشَّجَرةِ إلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الخالدينَ** ﴾[4] ، فقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظى : ما تقول أنت يا أبا حمزة ؟ فقال : قد أكرم الله آدم فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة وجعل من ذريته الأنبياء والرسل ومَنْ يزوره الملائكة[5] .

---

(١) فى ط : عبدة بن حميد . وعبد بن حميد هو أبو محمد الكسى اسمه عبد الحميد فخفف ، مصنف المسند الكبير والتفسير ، من الأئمة الثقات ، مات ٢٤٩ هـ . (تذكرة الحفاظ ٢ / ٥٣٤) .

(٢) هو : أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الدمشقى الشافعى ، ولد ٤٩٩ هـ توفى ٥٧١ هـ عن ٧٢ عاماً ، حافظ كبير له مصنفات كثيرة أشهرها تاريخ دمشق . تذكرة الحفاظ (٤ / ١٣٢٨ - ١٣٣٤) .

(٣) سورة البينة : ٧ .

(٤) سورة الأعراف : ٢٠ .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، انظر : تهذيب تاريخ ابن عساكر (٣ / ١٣٦) دار المسيرة - بيروت .

فوافق عمر بن العزيز فى الحكم واستدل بغير دليله ، وأضعف دلالة ما صرح به من الآية وهو قوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ مضمونه أنها ليست بخاصة بالبشر ، فإن الله قد وصف الملائكة بالإيمان فى قوله : ﴿ ويُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾[1] وكذلك الجان : ﴿ وأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمَنَّا بِهِ ﴾[2] ﴿ وأَنَّا مِنَّا المسْلِمونَ ﴾[3] .

قلت : وأحسن ما يُستدل به فى هذه المسألة ما رواه عثمان بن سعيد الدارمى[4] عن عبد الله بن عمرو موقوفاً[5] – وهو أصح – قال : لما خلق الله الجنة قالت الملائكة : يا ربنا اجعل لنا هذه نأكل منها ونشرب فإنك خلقت الدنيا لبنى آدم . فقال الله : لن أجعل صالح ذرية مَنْ خلقت بيدى كمن قلت له كُنْ فيكون » .

* * *

(١) سورة غافر : ٧ .

(٢) سورة الجن : ١٣ .

(٣) سورة الجن : ١٤ .

(٤) هو الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمى محدث هراة ، له مسند كبير وتصانيف فى الرد على الجهمية ، توفى عام ٢٨٠ هـ (تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٢٢) ، وهو غير الدارمى صاحب السنن ، فهذا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن توفى عام ٢٥٥ هـ .

(٥) فى ط : مرفوعاً . والأرجح ما أثبته .

خلق الجان وقصة الشيطان

قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ كالفخَّارِ * وخَلق الجانَّ مِنْ مارِجٍ من نارٍ * فبأىِّ آلاءِ ربِّكُما تُكذِّبانِ ﴾ (سورة الرحمن : ١٤ – ١٦)

وقال تعالى : ﴿ ولقدْ خَلقْنَا الإنْسانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ * والجانَّ خَلقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ (سورة الحجر : ٢٦ ، ٢٧)

قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وغير واحد ﴿ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نارٍ ﴾ قالوا : من طرف اللهب . وفى رواية : من خالصه وأحسنه .

وقد ذكرنا آنفاً من طريق الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خُلقت الملائكةُ من نور ، وخُلق الجانُّ من نار ، وخُلق آدمُ مما وُصف لكم » رواه مسلم[١] .

قال كثير من علماء التفسير : خُلقت الجن قبل آدم عليه السلام ، وكان قبلهم فى الأرض الحِنُّ[٢] والبن ، فسلط الله الجن عليهم فقتلوهم وأجلوهم عنها وأبادوهم منها وسكنوها بعدهم .

وذكر السدى فى تفسيره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ : « لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش ، فجعل إبليس على مُلْكِ .

---

(١) سبق تخريجه صفحة ١٤٨ .

(٢) اختلف الأقوال فى معنى الحن ، فقيل إنها نوع من الجن ، وقيل إنها الكلاب السود ، وقيل إنها ضعفاء الجن . وذهب ابن سيده إلى أنهم نوع آخر غير الجن .

وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُمُّوا الجن لأنهم خُزان الجنة ، وكان إبليس مع ملكه خازناً فوقع فى صدره إنما أعطانى الله هذا لمزية لى على الملائكة .

وذكر الضحاك عن ابن عباس : أن الجن لما أفسدوا فى الأرض وسفكوا الدماء بعث الله إليهم[1] إبليس ومعه جند من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم عن الأرض إلى جزائر البحور[2] .

وقال محمد بن إسحاق عن خلاد بن عطاء[3] عن طاوس عن ابن عباس : « كان اسم إبليس قبل أن يرتكب المعصية عزازيل ، وكان من سكان الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً ، وكان من حَيٍّ يقال لهم الجن »[4] .

وروى ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير – عنه : كان اسمه عزازيل ، وكان من أشراف[5] الملائكة من أولى الأجنحة الأربعة .

[وقال سنيد][6] عن حجاج عن ابن جريج قال ابن عباس : كان إبليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

---

(١) فى د : عليهم .

(٢) طريق الضحاك أخرجها ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١ / ١٩٩) ، وأخرجه الحاكم فى مستدركه من طريق مجاهد عن ابن عباس (٢ / ٢٦١) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . وانظر تفسير ابن كثير (١ / ٧٠) ، والسيوطى فى الدر المنثور (١ / ٤٤) .

(٣) فى د ، ط : خلاد عن عطاء . وهو خطأ . وهو : خلاد بن عطاء بن السمح شامى روى عن طاوس ونافع وعمرو بن شعيب . انظر : الجرح والتعديل (٣ / ٣٦٦) .

(٤) أخرجه الطبرى فى تفسيره (١٥ / ٢٥٩) ، وعزاه ابن حجر فى الفتح (٦ / ٣٣٩) للطبرى وابن أبى الدنيا . وانظر : تفسير ابن كثير (١ / ٧٧) (٣ / ٨٩) .

(٥) فى د ، ط : أشرف . وقد أثبتنا ما فى تفسير ابن كثير (١ / ٧٧) .

(٦) فى د ، ط : وقد أسند . والتصويب من تفسير ابن كثير (١ / ٧٧) . وسنيد هو ابن داود أبو على المصيصى ، اسمه الحسين كان أحد أوعية العلم توفى ٢٢٦ هـ . تذكرة الحفاظ (٢ / ٤٥٩) .

وقال صالح مولى التوأمة عن ابن عباس : كان يسوس ما بين السماء والأرض . رواه ابن جرير .

وقال قتادة عن سعيد بن المسيب : كان إبليس رئيس ملائكة سماء الدنيا .

وقال الحسن البصرى : لم يكن من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل البشر[1] .

وقال شهر بن حوشب وغيره : كان إبليس من الجن الذين طردوهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء . رواه ابن جرير .

قالوا : فلما أراد الله خَلْق آدم ليكون فى الأرض هو وذريته من بعده وصور جُثَّته منها جعل إبليس وهو رئيس الجان وأكثرهم عبادة إذ ذاك ، وكان اسمه عزازيل يطيف به ، فلما رآه أجوف عرف أنه خَلْق لا يتمالك ، وقال : أما لئن سُلِّطتُ عليك لأهلكنَّك ، ولئن سُلِّطتَ علىَّ لأعصينَّك .

فلما أن نفخ الله فى آدم من روحه – كما سيأتى – وأمر الملائكة بالسجود له دخل إبليس منه حسدٌ عظيم وامتنع من السجود له وقال : ﴿ **أنا خَيْرٌ منه خَلقْتَنى مِنْ نارٍ وخلقْتَهُ مِنْ طِينٍ** ﴾ (سورة الأعراف : ١٢)

فخالف الأمر واعترض على الرب عز وجل وأخطأ فى قوله وابتعد من رحمة ربه وأُنزل من مرتبته التى كان قد نالها بعبادته وكان قد تشبه بالملائكة ولم يكن من جنسهم ، لأنه مخلوق من نار وهم من نور ، فخانه طبعه أحوج[2] ما كان إليه ورجع إلى أصله النارى .

﴿ **فسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجْمعُونَ * إلَّا إبْليسَ اسْتَكْبَرَ وكانَ مِنَ الكَافِرينَ** ﴾ . (سورة ص : ٧٣ ، ٧٤)

---

(١) عزاه ابن كثير لابن جرير الطبرى ، وقال : هذا إسناد صحيح عن الحسن ، انظر : تفسير ابن كثير (١ / ٧٧) .

(٢) فى ط : فى أحوج .

وقال تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنَا للمَلائكةِ اسْجُدوا لآدمَ فَسَجدُوا إلاّ إبليسَ كانَ من الجنِّ ففَسَقَ عن أمْرِ رَبِّه أفتتّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أوْلياءَ مِنْ دُونِى وهُمْ لكُمْ عَدوٌّ بِئسَ للظَّالمِينَ بَدَلاً ﴾ (سورة الكهف : ٥٠)

فأُهبِط إبليس من الملأ الأعلى ، وحُرِّمَ عليه(١) أن يسكنه ، فنزل إلى الأرض حقيراً ذليلاً مذؤماً(٢) مدحوراً(٣) مُتوعَّداً بالنار هو ومن اتبعه من الجن والإنس ، إلا أنه مع ذلك جاهد كل الجهد على إضلال بنى آدم بكل طريق وبكل مرصد ، كما قال :

﴿ قَالَ أرأيْتَكَ هَذا الذِى كرَّمتَ علىَّ لَئِنْ أخَّرْتَنِ إلى يومِ القيامةِ لأحْتنِكَنَّ ذُرِّيَّته إلَّا قليلاً * قالَ اذْهَبْ فمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُم فإنَّ جَهنَّمَ جَزاؤكُم جزاءً مَوْفُوراً * واسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطعتَ منهم بِصوْتِك وأجْلِبْ عليهم بِخَيْلِك ورَجْلِكَ وشَارِكْهُم فى الأمْوالِ والأوْلادِ وعِدْهُم وما يَعِدُهُم الشَّيطانُ إلَّا غُروراً * إنَّ عِبادِى ليسَ لكَ عليهم سُلْطانٌ وكَفَى بربِّك وَكِيلاً ﴾ (سورة الإسراء : ٦٢ – ٦٥)

وسنذكر القصة مستفاضة عند ذكر خلق آدم عليه السلام .

والمقصود أن الجان خُلِقوا من النار ، وهم كبنى آدم يأكلون ويشربون ويتناسلون ، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ، كما أخبر تعالى عنهم فى سورة الجن فى قوله تعالى :

﴿ وإذْ صَرفْنَا إليكَ نَفراً مِنَ الجنِّ يَستمعُونَ القُرآنَ فلمَّا حضرُوه قَالُوا أنْصِتُوا فلما قُضِىَ وَلَّوْا إلى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * قَالُوا يَا قَوْمنَا إنَّا سَمِعْنا كِتَاباً أُنْزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْه يَهْدِى إلى الحقِّ وإلى طَرِيقٍ مُسْتقِيمٍ * يا قَوْمنَا أجِيبُوا دَاعِىَ اللهِ وآمِنُوا به يَغْفِرْ لكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ويُجِرْكُمْ من عذابٍ أليمٍ * ومَنْ لَا يُجبْ دَاعِىَ اللهِ فليسَ بِمُعْجِزٍ فى الأرضِ وليسَتْ لَهُ من دُونهِ أولياءُ أُولئِكَ فى ضَلالٍ مُبينٍ ﴾ .
(سورة الأحقاف : ٢٩ – ٣٢)

---

(١) فى د ، ط : حرم عليه قدر .

(٢) المذؤم : الحقير المذموم المطرود .

(٣) المدحور : المبعد المطرود .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ أُوْحِيَ إلَيَّ أَنَّه اسْتَمَعَ نَفرٌ مِنَ الجِنِّ فَقالُوا إنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً * يَهْدى إلى الرُّشْدِ فآمَنَّا به ولَنْ نُشْرِكَ بربِّنا أَحَداً * وأنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا مااتَّخذَ صَاحِبةً ولا وَلَداً * وأنَّه كان يَقولُ سَفيهُنا على اللهِ شَطَطاً * وأنَّا ظَننا أنْ لَنْ تَقُولَ الإنْسُ والجِنُّ على اللهِ كَذِباً * وأنَّه كان رِجالٌ من الإنْسِ يَعُوذُونَ برجالٍ مِنَ الجِنِّ فَزادُوهم رَهَقاً * وأنَّهم ظَنُّوا كمَا ظَنَنْتُم أنْ لنْ يَبْعثَ اللهُ أحَداً * وأنَّا لَمَسْنا السَّماءَ فَوجدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شديداً وشُهُباً * وأنَّا كُنَّا نَقْعُد منها مَقاعِدَ للسَّمْعِ فمَنْ يَستمِعِ الآنَ يَجِدْ له شِهاباً رَصَداً * وأنَّا لا نَدْرى أشرٌّ أُرِيدَ بمَنْ فى الأرضِ أمْ أَرادَ بهم رَبُّهم رَشَداً * وأنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ومنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرائِقَ قِدَداً * وأنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللهَ فى الأرضِ ولَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً * وأنَّا لمَّا سَمِعْنَا الهُدَى آمنَّا به فمَنْ يُؤْمِنْ بربِّه فَلَا يَخافُ بَخْساً ولَا رَهَقاً * وأنَّا مِنَّا المُسْلِمونَ ومنَّا القَاسِطُونَ فمَنْ أَسْلَمَ فأُولئِكَ تَحرَّوْا رَشَداً * وأمَّا القَاسِطُونَ فَكانُوا لِجهنَّم حَطَباً * وألَّو استَقامُوا على الطَّرِيقةِ لأَسْقَيْناهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ومَنْ يُعْرِضْ عن ذِكْرِ رَبِّه يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً ﴾ (سورة الجن : ١ – ١٧)

وقد ذكرنا[١] تمام القصة فى آخر سورة الأحقاف ، وذكرنا الأحاديث المتعلقة بذلك هنالك ، وأن هؤلاء النفر كانوا من جن نصيبين ، وفى بعض الآثار من جن « بُصْرى »[٢] ، وأنهم مروا برسول الله ﷺ وهو قائم يصلى بأصحابه ببطن نخلة من أرض مكة ، فوقفوا فاستمعوا لقراءته ، ثم اجتمع بهم النبى ﷺ ليلة كاملة فسألوه عن أشياء أمرهم بها ونهاهم عنها ، وسألوا الزاد فقال لهم : « كل عظم ذُكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً ، وكل روثة علف لدوابكم » ، ونهى النبى ﷺ أن يُسْتنجى[٣] بهما وقال : « إنهما زاد إخوانكم الجن »[٤] .

---

(١) فى ط : وقد ذكر تفسير هذه السورة . ولم أجد لها داعياً لإيرادها .

(٢) من أعمال دمشق وهى قصبة كورة حَوْران ، وتقع على الحدود الجنوبية الغربية بين سوريا والأردن .

(٣) فى د : يستنجوا .

(٤) أخرجه أحمد (١ / ٤٣٦) ، ومسلم (١ / ٣٣٢) ، والترمذى (٥ / ٣٨٢) عن ابن مسعود وقال : حسن صحيح .

ونهى عن البول فى السرب[1] لأنها مساكن الجن[2] .

وقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة الرحمن ، فما جعل يمرُّ [فيها بآية][3] ﴿ **فبأىِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانِ** ﴾ إلا قالوا : ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد ، وقد أثنى عليهم النبى ﷺ فى ذلك لما قرأ هذه السورة على الناس فسكتوا ، فقال : الجن كانوا أحسن منكم رداً ، ما قرأت عليهم ﴿ **فبأىِّ آلاءِ رَبِّكما تُكذِّبان** ﴾ إلا قالوا : ولا بشىء من آلائك ربنا نكذب فلك الحمد » . رواه الترمذى عن جابر[4] ، وابن جرير والبزار عن ابن عمر[5] .

* * *

وقد اختلف العلماء[6] فى مؤمنى الجن : هل يدخلون الجنة ؟ أو يكون جزاء طائعهم أن لا يُعذَّب بالنار فقط ؟ على قولين . والصحيح أنهم يدخلون الجنة لعموم[7] القرآن

---

(١) فى د : السراب . ولا يخفى خطؤه ، والسَّرب جمعها أسراب ، وهى الجحور التى افتحرتها الثعالب والأسود والحيوانات الوحشية .

(٢) أخرجه من حديث عبد الله بن سرجس الإمام أحمد (٥ / ٨٢) ، وأبو داود (١ / ٨) ، والنسائى (١ / ٣٣) ، والحاكم (١ / ١٨٦) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (١ / ٩٩) ، وعزاه الهيثمى فى « مجمع الزوائد » (٨ / ١١١) لأحمد والطبرانى وقال : رجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) فى د : بآية فيها .

(٤) فى د ، ط : جبير . وهو خطأ ، وقد أخرج حديث جابر بن عبد الله الإمام الترمذى فى سننه (٥ / ٣٩٩) ، والحاكم (٢ / ٤٧٣) ، قال الترمذى : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى . وأورده ابن كثير فى التفسير (٤ / ١٧٠) وعزاه للبيهقى بإسناده .

(٥) حديث ابن عمر أخرجه البزار (٣ / ٧٤ كشف) وابن جرير (٢٧ / ١٢٣) ، وقد عزاه الهيثمى فى « المجمع » (٧ / ١١٧) للبزار عن شيخه عمرو بن مالك الراسبى ، وثَّقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٦) زيادة من : د .

(٧) فى د : العمومات .

ولعموم[1] قوله تعالى : ﴿ **ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ * فبأىِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ** ﴾[2] ، فامتنَّ تعالى عليهم بذلك ، فلولا أنهم ينالونه لما ذكرهم وعَدَّهُ عليهم من النعم ، وهذا وحده دليل مستقل كافٍ فى المسئلة وحده والله أعلم .

وقال البخارى : حدثنا قتيبة عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى صعصعة عن أبيه أن أبا سعيد الخدرى قال له : « إنى أراك تحب الغنم والبادية ، فإذا كنتَ فى غنمك وباديتك فأذَّنْت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌّ ولا إنسٌ ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة » . قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ[3] .

انفرد به البخارى دون مسلم .

* * *

وأما كافرو الجن فمنهم الشياطين ومقدمهم الأكبر إبليس عدو آدم أبى البشر ، وقد سُلِّطَ[4] هو وذريته على آدم وذريته ، وتكفَّل الله عز وجل بعصمة مَنْ آمن به وصدَّق رسله واتبع شرعه منهم ، كما قال : ﴿ **إنَّ عِبادِى ليسَ لَكَ عليهِمْ سُلْطَانٌ وكفَى بربِّكَ وكِيلاً** ﴾ (الإسراء : ٦٥)

وقال تعالى : ﴿ **ولقدْ صَدَّقَ عليهم إبليسُ ظَنَّه فاتَّبعُوهُ إلَّا فَرِيقاً مِنَ المؤمنينَ * ومَا كانَ لَهُ عليهم مِنْ سُلْطَانٍ إلَّا لِنعْلَمَ مَنْ يُؤمنُ بالآخرةِ مِمَّنْ هُوَ منها فى شَكٍّ وربُّك عَلَى كُلِّ شىءٍ حَفِيظٌ** ﴾ (سورة سبأ : ٢٠ ، ٢١)

---

(١) فى د : والخصوص .

(٢) سورة الرحمن : ٤٦ ، ٤٧ .

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ (١ / ٦٩) ومن طريقه أخرجه أحمد (٣ / ٣٥ ، ٤٣) ، والبخارى (٢ / ٨٧) (٦ / ٣٤٣) ، والنسائى (٢ / ١٢) .

(٤) فى ط : سلطه .

وقال تعالى : ﴿ يَا بَنى آدمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أخرجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الجنةِ يَنْزِعُ عنْهُما لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهما سَوْءَاتِهما إنهُ يَراكُمْ هُوَ وقَبِيلُه مِنْ حيثُ لَا تَرَوْنَهم إنَّا جَعلْنَا الشياطينَ أولياءَ للَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ ﴾ (سورة الأعراف : ٢٧)

وقال : ﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ للملائكةِ إنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصَالٍ من حَمَأٍ مَسْنُونٍ * فإذَا سَوَّيْتُه ونَفَخْتُ فيه من رُوحِى فقَعُوا لَهُ سَاجِدينَ * فَسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجمعُونَ * إلَّا إبليسَ أبَى أَنْ يكونَ مع السَّاجِدِينَ * قَالَ يا إبليسُ ما لَكَ ألَّا تَكُونَ مع السَّاجدينَ * قال لَمْ أكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فاخْرُجْ منها فإنَّك رَجِيمٌ * وإنَّ عليكَ اللعنةَ إلى يَوْمِ الدِّينِ * قال رَبِّ فأَنْظِرنِى إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فإنَّكَ من المُنْظَرِينَ * إلى يَوْمِ الوَقْتِ المعلومِ * قال رَبِّ بما أَغْوَيْتَنى لَأُزَيِّنَنَّ لهم فى الأرضِ وَلَأُغْوِيَنَّهم أجمعينَ * إلَّا عبادَكَ منهُم المُخْلَصِينَ * قال هَذَا صِراطٌ علىَّ مُستقيمٌ * إنَّ عبادِى ليسَ لكَ عليهِمْ سُلْطَانٌ إلَّا مَنِ اتَّبعكَ مِنَ الغَاوِينَ * وإنَّ جهنَّم لمَوعِدُهُمْ أجْمعينَ * لَهَا سبعةُ أبوابٍ لكُلِّ بابٍ مِنهم جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾ .

(سورة الحجر : ٢٨ - ٤٤)

وقد ذكر تعالى هذه القصة فى سورة البقرة وفى الأعراف وههنا وفى سورة سبحان وفى سورة طه وفى سورة ص ، وقد تكلمنا على ذلك كله فى مواضعه فى كتابنا التفسير ولله الحمد ، وسنوردها فى قصة آدم إن شاء الله .

والمقصود أن إبليس أنظره[1] الله[2] إلى يوم القيامة محنة لعباده واختباراً منه لهم كما قال تعالى : ﴿ ومَا كَانَ لَهُ عليهم مِنْ سُلْطَانٍ إلَّا لِنعْلَمَ مَنْ يُؤْمنُ بالآخرةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فى شَكٍّ ورَبُّكَ على كُلِّ شىءٍ حَفِيظٌ ﴾ (سورة سبأ : ٢١)

وقال تعالى : ﴿ وقالَ الشَّيطانُ لما قُضِىَ الأمْرُ إنَّ اللهَ وعَدَكُمْ وَعْدَ الحقِّ ووعَدْتُكُمْ فأخْلَفْتُكُمْ وما كَانَ لِى عَلَيْكُمْ من سُلْطانٍ إلَّا أَنْ دَعوْتُكُمْ فاستَجَبْتُمْ لِى

---

(١) أنظره : أمهله وأخّر أوان انتهاء أجله .

(٢) وقع هنا فى د : وأخزاه .

فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ وما أنتم بِمُصِرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ من قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عذابٌ أليمٌ * وأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وعملُوا الصَّالِحاتِ جنَّاتٍ تجرى مِنْ تحتِها الأنهارُ خالِدِين فيها بإِذْنِ رَبِّهِم تَحِيَّتُهُمْ فيها سَلَامٌ ﴾ (سورة إبراهيم : ٢٢ ، ٢٣)

فإبليس لعنه الله حَىٌّ الآن مُنْظَرٌ[١] إلى يوم القيامة بنص[٢] القرآن ، وله عرش على وجه البحر وهو جالس عليه ويبعث سراياه يلقون بين الناس الشر والفتن .

وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (سورة النساء : ٧٦)

وكان اسمه قبل معصيته العظيمة عزازيل . قال النقاش : وكنيته أبو كردوس .

ولهذا لما قال النبى ﷺ لابن صياد : ما ترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء . فقال له النبى ﷺ : « اخسأ فلن تعدو قدرك »[٣] .

فعرف أن مادة مكاشفته التى كاشفه بها شيطانية مستمدة من إبليس الذى هو يشاهد عرشه على البحر ، ولهذا قال له : اخسأ فلن تعدو قدرك ، أى لن تجاوز قيمتك الدنية الخسيسة الحقيرة .

والدليل على أن عرش إبليس على البحر الحديث الذى رواه الإمام أحمد : حدثنا أبو المغيرة . حدثنا صفوان . حدثنى ماعز[٤] التميمى عن جابر بن عبد الله قال : قال

---

(١) ناقصة فى : د .

(٢) فى د : بنقل .

(٣) قطعة من حديث لعمر بن الخطاب أخرجه البخارى (٣ / ٢١٨) وأحمد (٢ / ١٤٨) ، ومسلم (٤ / ٢٢٤١) ، وأبو داود (٤ / ١٢٠) ، والترمذى (٤ / ٥١٩) وقال : حسن صحيح .

(٤) فى د ، ط : معاذ التميمى . والصواب ما أثبتناه وهو موافق لما فى مسند أحمد (٣ / ٣٥٤) والجرح والتعديل للرازى (٨ / ٣٩١) .

رسول الله ﷺ « عرش إبليس فى البحر يبعث سراياه فى كل يوم يفتنون الناس ، فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة للناس »[١] . ورواه[٢] .

وقال أحمد : حدثنا روح . حدثنا ابن جريج[٣] أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عرش إبليس على البحر ، يبعث سراياه فيفتنون الناس فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة » تفرد به من هذا الوجه[٤] .

وقال أحمد : حدثنا مؤمل . حدثنا حماد . حدثنا على بن زيد عن أبى نضرة عن جابر ابن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ لابن صائد : ما ترى ؟ قال : أرى عرشاً على الماء - أو قال : على البحر - حوله الحيات . قال رسول الله ﷺ : « ذاك عرش إبليس »[٥] . هكذا رواه فى مسند جابر .

وقال فى مسند أبى سعيد : حدثنا عفان . حدثنا حماد بن سلمة . أنبأنا على بن زيد عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال لابن صائد : ما ترى ؟ قال : أرى عرشاً على البحر حوله الحيات . فقال رسول الله ﷺ : « صدق ذاك عرش إبليس »[٦] .

---

(١) طريق ماعز التميمى عن جابر أخرجها أحمد فى مسنده (٣ / ٣٥٤) .

(٢) وقع هنا بياض فى الأصول د ، ط . ووقع فى حاشية د : بياض بأصله .

(٣) سقط من سند الحديث عند أحمد اسم ابن جريج . وما أثبته ابن كثير هنا هو الصواب فإن أبا الزبير توفى عام ١٢٨ هـ ، وقد مات روح بن عبادة عام ٢٠٥ هـ وقد قارب الثمانين أى أنه وُلِد فى حوالى سنة وفاة أبى الزبير .

(٤) طريق أبى الزبير عن جابر أخرجها أحمد (٣ / ٣٨٤ ، ٣٣٢ ، ٣٦٦) ومسلم (٤ / ٢١٦٧) من طريق معقل عن أبى الزبير دون قوله « عرش إبليس على البحر » .

(٥) حديث جابر أخرجه أحمد (٣ / ٣٨٨) ، وفيه على بن زيد فيه كلام كثير انظر : الميزان للذهبى (٤ / ٤٧) وتذكرة الحفاظ (١ / ١٤٠) . قال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٤) : « حسن الحديث » ولكن قال فى موضع آخر (١ / ٢٨) : « ضعيف واختلف فى الاحتجاج به » .

(٦) حديث أبى سعيد أخرجه أحمد (٣ / ٦٦ ، ٩٧) وفيه على بن زيد بن جدعان أيضاً .

وروى الإمام أحمد من طريق ماعز[1] التميمى وأبى الزبير عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون ، ولكن فى التحريش[2] بينهم »[3] .

وروى الإمام مسلم من حديث الأعمش عن أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر عن النبى ﷺ قال : « إن الشيطان يضع عرشه على الماء ، ثم يبعث سراياه فى الناس ، فأقربهم عنده منزلة أعظمهم عنده فتنة ، يجىء أحدهم فيقول : مازلت بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا . فيقول إبليس : لا والله ما صنعت شيئاً . ويجىء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرَّقت بينه وبين أهله . قال : فيُقرِّبه ويُدنيه ويقول : نَعم أنت »[4] .

يُروى بفتح النون بمعنى نَعَم أنت ذاك الذى تستحق الإكرام . وبكسرها أى نِعْم منك . وقد استدل به بعض النُّحاة على جواز كون فاعل نعم مضمراً وهو قليل . واختار شيخنا الحافظ أبو الحجاج الأول ورجَّحه ووجَّهه بما ذكرناه ، والله أعلم .

وقد أوردنا هذا الحديث عند قوله تعالى : ﴿ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ﴾[5] ، يعنى أن السِّحْر المُتَلقَّى عن الشياطين من الإنس والجن يتوصل به إلى التفرقة بين المتآلفين غاية التآلف المتوادين المتحابين ، ولهذا يشكر إبليسُ سَعْىَ مَنْ كان السبب فى ذلك ، فالذى ذمَّه الله يمدحه ، والذى يُغضب الله يرضيه ، عليه لعنة الله .

---

(١) فى د ، ط : معاذ . وهو خطأ نبهت عليه قريباً .

(٢) التحريش : حمل الناس على الفتن والحروب والخصومات .

(٣) طريق ماعز أخرجها أحمد (٣ / ٣٥٤) ، وابن أبى عاصم فى السنة (١ / ١٠) قال الألبانى فى تحقيقه لكتاب السنة : « حديث صحيح رجال إسناده ثقات معروفون غير ماعز التميمى فلم يوثقه غير ابن حبان » . أما طريق أبى الزبير فقد أخرجها أحمد (٣ / ٣٦٦ ، ٣٨٤) وللحديث طريق أخرى عن جابر ، وهى طريق أبى سفيان طلحة بن نافع ، وقد أخرجها أحمد (٣ / ٣١٣) ، ومسلم (٤ / ٢١٦٦) ، والترمذى (٤ / ٣٣٠) وحسَّنه .

(٤) أخرجه أحمد (٣ / ٣١٤) ، ومسلم (٤ / ٢١٦٧) بلفظ قريب من هذا .

(٥) سورة البقرة : ١٠٢ .

وقد أنزل الله عز وجل سورتى المعوذتين مطردة لأنواع الشر وأسبابه وغاياته ، ولا سيما سورة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَٰهِ النَّاسِ * مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ * مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ .

وثبت فى الصحيحين عن أنس ، وفى صحيح البخارى عن صفية بنت حُيىٍّ[1] أن رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم »[2] .

وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى : حدثنا محمد بن بحر[3] . حدثنا عدى بن أبى عمارة . حدثنا زياد النميرى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الشيطان واضع خَطْمه[4] على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس »[5] .

ولما كان ذكر الله مطردة للشيطان عن القلب كان فيه تذكار للناس ، كما قال تعالى :

---

(١) فى ط : صفية بنت حسين . وهو خطأ ، بل هى أم المؤمنين صفية بنت حيى بن أخطب .

(٢) حديث أنس أخرجه أحمد (٣ / ١٥٦ ، ٢٨٥) ، ومسلم (٤ / ١٧١٢) ، وأبو داود (٤ / ٢٣٠) ، أما حديث صفية بنت حيّ فقد أخرجه أحمد (٦ / ٣٣٧) ، والبخارى (٤ / ٢٧٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٢) (٦ / ٢١٠ ، ٣٣٦) (١٠ / ٥٩٨) (١٣ / ١٥٨) ، ومسلم (٤ / ١٧١٢) ، وابن ماجه (١ / ٥٦٦) ، وأبو داود (٢ / ٣٣٣) (٤ / ٢٩٨) .

(٣) فى ط : محمد بن جبير . وهو خطأ ، وابن بحر هو الهجيمى البصرى ، قال العقيلى فى الضعفاء الكبير (٤ / ٣٨) : منكر الحديث كثير الوهم . وقال ابن حبان فى المجروحين (٢ / ٣٠١) « ساقط الاحتجاج حتى تتبين عدالته بالاعتبار بروايته عن الثقات » .

(٤) الخطم : مُقدَّم الأنف والفم . وللطائر المنقار .

(٥) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (٧ / ٢٧٨) ، وأبو نعيم فى الحلية (٦ / ٢٦٨) وابن الجوزى فى تلبيس إبليس (ص ٢٥) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (٦ / ٤٢٠) لابن أبى الدنيا فى مكائد الشيطان وأبى يعلى وابن شاهين فى الترغيب فى الذكر والبيهقى فى الشعب . ضعَّف إسناده ابن حجر فى الفتح (٨ / ٧٤٢) وقال : فيه عدى بن أبى عمارة وهو ضعيف » . وفيه أيضاً محمد بن بحر وقد سبق الكلام عليه قريباً .

﴿ واذْكُرْ رَبَّكَ إذَا نَسِيتَ ﴾[1] . وقال صاحب موسى : ﴿ ومَا أنْسَانيه إلّا الشيطانُ أنْ أذْكُرَهُ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ فأنْسَاهُ الشيطانُ ذِكْرَ رَبِّه ﴾[3] يعنى الساق لما قال له يوسف ﴿ اذْكُرْنى عِنْدَ رَبِّكَ ﴾[4] .

نسي الساق أن يذكره لربه يعني مولاه الملك ، وكان هذا النسيان من الشيطان فلبث يوسف فى السجن بضع سنين ، ولهذا قال بعده : ﴿ وقَالَ الّذِى نَجَا مِنْهُمَا وادَّكَرَ بعد أُمَّةٍ ﴾[5] أى بعد مدة ، وقُرِئ (بعد أَمَهٍ)[6] أى نسيان ، وهذا الذى قلنا من أن الناسي هو الساق هو الصواب من القولين كما قررناه فى التفسير والله أعلم .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر . حدثنا شعبة عن عاصم : سمعت أبا تميمة يُحدِّث عن رديف[7] رسول الله ﷺ قال : عثر بالنبى ﷺ حماره فقلت : تعس[8] الشيطان . فقال النبى ﷺ : « لا تَقُلْ تعس[8] الشيطان ، فإنك إذا قلت تعس[8] الشيطان تعاظم وقال بقوتى صرعته ، وإذا قلت بسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب »[9] تفرد به أحمد وهو إسناد جيد .

وقال أحمد : حدثنا أبو بكر الحنفى . حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبرى[10] عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحدكم إذا كان فى المسجد

---

(١) سورة الكهف : ٢٤ .

(٢) سورة الكهف : ٦٣ .

(٣ - ٤) سورة يوسف : ٤٢ .

(٥) سورة يوسف : ٤٥ .

(٦) الأَمَه : النسيان . وقد كانت فى د ، ط : أمة .

(٧) الرديف : من تأخذه خلفك على الدابة .

(٨) فى ط فى المواضع الثلاثة : نفس . وتعس : يدعو عليه بالهلاك .

(٩) أخرجه أحمد (٥ / ٥٩ ، ٧١ ، ٣٦٥) ، وأبو داود (٤ / ٢٩٦) ، والحاكم (٤ / ٢٩٢) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبى .

(١٠) فى د : المقرى .

جاءه الشيطان فأبسَّ[١] به كما يبسُّ[٢] الرجل بدابته ، فإذا سكن له زنقه أو ألجمه » قال أبو هريرة : وأنتم ترون ذلك ، أما المزنوق فتراه مائلاً كذا لا يذكر الله[٣] ، وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل » تفرد به أحمد[٤] .

وقال الإمام أحمد . حدثنا ابن نمير . حدثنا ثور – يعنى ابن يزيد – عن مكحول عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم »[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمدانى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنى أُحدِّث نفسى بالشىء لأن أخِرَّ من السماء أحب إلىَّ من أن أتكلم به . فقال النبى ﷺ : « الله أكبر ، الحمد لله الذى ردَّ كيده إلى الوسوسة »[٦] ورواه أبو داود والنسائى من حديث منصور . زاد النسائى : والأعمش كلاهما عن ذر[٧] به .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن بكير . حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال : أخبرنى عروة قال : قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « يأتى الشيطانُ أحدَكم

---

(١) فى د ، ط : فأيس . وأبس به : أى زجره ليسوقه ويذلله لأوامره كما يزجر الرجل دابته فإذا استجابت له وجهها الوجهة التى يريدها .

(٢) فى د ، ط : يئس .

(٣) فى د ، ط : إلا الله .

(٤) أخرجه أحمد (٢ / ٣٣٠) ، وعزاه المتقى الهندى فى منتخب الكنز (١ / ١٢٣) لأحمد ولأبى الشيخ الأصبهانى فى الثواب ، وقال الهيثمى فى المجمع (١ / ٢٤٢) : « رجال أحمد رجال الصحيح » .

(٥) أخرجه أحمد (٢ / ٤٣٩) ، وعزاه السيوطى فى الجامع الصغير (٤ / ٣٩٧ فيض) للكجى فى سننه وأشار له بالصحة ، وعزاه المناوى فى الفيض للقضاعى أيضاً ، وقال الهيثمى فى المجمع (٥ / ١٠٧) : « رجال أحمد رجال الصحيح » .

(٦) أخرجه أحمد (١ / ٢٣٥ ، ٣٤٠) ، وأبو داود (٤ / ٣٢٩) ، والنسائى فى عمل اليوم والليلة (ص ٤٢٠ ، ٤٢١) .

(٧) فى د ، ط : أبى ذر . وهو خطأ .

فيقول : مَنْ خلق كذا ؟ مَنْ خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله وَلْيَنْته »[1] . وهكذا رواه مسلم من حديث الليث ، ومن حديث الزهرى وهشام بن عروة كلاهما عن عروة به .

وقد قال تعالى : ﴿ إنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيطانِ تَذكَّروا فإذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ . (سورة الأعراف : ٢٠١)

وقال تعالى : ﴿ وقُلْ رَبِّ أعوذُ بِكَ من هَمَزاتِ الشَّياطينِ * وأعوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرونِ ﴾ (سورة المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨)

وقال تعالى : ﴿ وإمَّا يَنْزَغنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ فاستَعِذْ باللهِ إنَّه سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . (سورة الأعراف : ٢٠٠)

وقال تعالى : ﴿ فَإذَا قَرأْتَ القُرآنَ فاستَعِذْ باللهِ مِنَ الشيطانِ الرَّجيم * إنَّه ليسَ لَهُ سُلْطَانٌ على الَّذينَ آمنُوا وعلى رَبِّهم يَتوكَّلون * إنما سُلْطَانُه على الَّذينَ يَتولَّوْنَهُ والَّذينَ هُمْ بهِ مُشرِكُونَ ﴾ (سورة النحل : ٩٨ — ١٠٠)

وروى الإمام أحمد وأهل السنن من حديث أبى المتوكل عن أبى سعيد قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه »[2] .

وجاء مثله من رواية جبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود وأبى أمامة الباهلى . وتفسيره فى الحديث : فهمزه الموتة وهو الخنق الذى هو الصرع . ونفخه الكبر . ونفثه الشعر .

---

(١) أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٦) ، ومسلم (١ / ١٢٠) ، وابن أبى عاصم فى السنة (١ / ٢٩٤) .

(٢) حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه أحمد (٣ / ٥٠) ، وأبو داود (١ / ٢٠٦) ، والترمذى (٢ / ٩) . قال الترمذى : هذا أشهر حديث فى هذا الباب وقد تُكلِّم فى إسناده ، كان يحيى بن سعيد يتكلم فى على بن على الرفاعى . وقال أحمد : لا يصح هذا الحديث » ولكن صححه الشيخ أحمد شاكر وقال : على الرفاعى ثقة وثَّقه ابن معين وأبو زرعة ووكيع .

وثبت فى الصحيحين عن أنس أن رسول الله ﷺ كان إذا دخل الخلاء قال : « أعوذ بالله من الخبث والخبائث »[١] .

قال كثير من العلماء : استعاذ من ذكران الشياطين وإناثهم .

وروى الإمام أحمد عن سريج[٢] عن عيسى بن يونس عن ثور عن الحصين[٣] عن أبى سعد[٤] الخير – وكان من أصحاب عمر – عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ومن أتى الغائط فليستتر ، فإن لم يجد إلا أن يجمع كثيباً[٥] فليستدبره ، فإن الشيطان يلعب بمقاعد بنى آدم ، مَنْ فعل فقد أحسن ومَنْ لا فلا حرج »[٦] .

ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ثور بن يزيد به .

وقال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة . حدثنا جرير عن الأعمش عن عدى بن ثابت قال : قال سليمان بن صرد : استبَّ رجلان عند النبى ﷺ ونحن عنده جلوس ، فأحدهما يسبُّ صاحبه مغضباً قد احمرَّ وجهه ، فقال النبى ﷺ : « إنى لأعلم كلمةً

(١) حديث أنس أخرجه البخارى (١ / ٢٤٢) ، ومسلم (١ / ٢٨٣) ، والدارمى (١ / ١٣٦) ، والترمذى (١ / ١٠) ، وأبو داود (١ / ٢) ، وابن ماجه (١ / ١٠٨) ، والنسائى (١ / ٢٠) قال الترمذى : حسن صحيح .

(٢) فى د ، ط : شريح . وهو خطأ ، وسريج هو ابن النعمان أبو الحسين البغدادى الجوهرى ثقة ، وقال أبو داود : ثقة غلط فى أحاديث . انظر : الجرح والتعديل (٤ / ٣٠٤) ، والميزان (٢ / ٣٠٦) .

(٣) فى د ، ط : الحسين . وهو تصحيف . بل هو حصين الحبرانى ويقال الحميرى . انظر : الجرح والتعديل للرازى (٣ / ١٩٩) ، وميزان الاعتدال (٢ / ٧٨) .

(٤) فى ط : ابن سعد . ويقال أبو سعيد الحبرانى ، وقد سماه ابن حبان فى الثقات أبو سعد الخير . انظر : الجرح والتعديل (٩ / ٣٧٨) وميزان الاعتدال (٦ / ٢٠٤) .

(٥) الكثيب : هو مجتمع الرمل على بعضه .

(٦) أخرجه الدارمى فى سننه (١ / ١٦٩ ، ١٧٠) ، وأحمد (٢ / ٣٧١) ، وأبو داود (١ / ٩) ، وابن ماجه (١ / ١٢١) .

لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . فقالوا للرجل : ألا تسمع ما يقول النبى ﷺ ؟ فقال : إنى لست بمجنون . ورواه أيضاً مسلم وأبو داود والنسائى من طرق عن الأعمش[1] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عبيد . [حدثنا عبيد الله][2] بن عمر عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا يأكل أحدكم بشماله ولا يشرب بشماله ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله »[3] . وهذا على شرط الصحيحين بهذا الإسناد ، وهو فى الصحيح من غير هذا الوجه[4] .

وروى الإمام أحمد من حديث إسماعيل بن أبى حكيم عن عروة عن عائشة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « مَنْ أكل بشماله أكل معه الشيطان ، ومَنْ شرب بشماله شرب معه الشيطان »[5] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر . أنبأنا شعبة عن أبى زياد الطحان : سمعت أبا هريرة يقول عن النبى ﷺ أنه رأى رجلاً يشرب قائماً فقال له : قِهْ[6] . قال : لِمَ .

---

(١) أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٧) (١٠ / ٤٦٥ ، ٥١٨) ، ومسلم (٤ / ٢٠١٥) ، وأبو داود (٤ / ٢٤٩) .

(٢) ناقص فى د .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده من هذا الطريق (٢ / ٨٠) .

(٤) حديث ابن عمر أخرج من وجه آخر من طريق الزهرى أخرجه مالك فى موطئه (٢ / ٩٢٢) ، وأحمد (٢ / ٨ ، ٣٣ ، ١٠٦) ومسلم ، (٣ / ١٥٩٨) ، وأبو داود (٣ / ٣٤٩) ، والترمذى (٤ / ٢٥٧) وقال : حسن صحيح .

(٥) حديث عائشة أخرجه أحمد (٦ / ٧٧) قال الهيثمى فى المجمع (٥ / ٢٥) : « فى إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف وقد وُثّق » وقد عزاه أيضاً للطبرانى فى الأوسط وقال : « فيه ابن لهيعة وحديثه حسن » . وقد أشار ابن حجر إلى حديث أحمد وحسّن إسناده فى الفتح (٩ / ٥٢٢) .

(٦) قِهْ : فعل أمر بمعنى استقىء ما فى جوفك .

قال : أيسرُّك أن يشرب معك الهرُّ ؟ قال : لا . قال : فإنه قد شرب معك من هو شر منه الشيطان »[1] . تفرد به أحمد من هذا الوجه .

وقال أيضاً : حدثنا عبد الرزاق . حدثنا معمر عن الزهرى عن رجل عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لو يعلم الذى يشرب وهو قائم ما فى بطنه لاستقاء »[2] .

قال : وحدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ بمثل حديث الزهرى .

وقال الإمام أحمد : حدثنا موسى . حدثنا ابن لهيعة عن أبى الزبير[3] أنه سأل جابراً : أسمعت النبى ﷺ [قال : « إذا دخل الرجل بيته][4] فذكر اسم الله حين يدخل وحين يطعم قال الشيطان : لا مبيت لكم ولا عشاء ههنا . وإن دخل ولم يذكر اسم الله عند دخوله قال : أدركتم المبيت ، وإن لم يذكر اسم الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء . قال : نعم »[5] .

---

(١) أخرجه أحمد (٢ / ٣٠١) ، والدارمى (٢ / ٤٥) ، والبزار (٣ / ٣٤٢ كشف) قال الهيثمى فى المجمع (٥ / ٧٩) بعد أن عزاه لأحمد والبزار : « رجال أحمد ثقات » قلت : فيه أبو زياد الطحان . قال الذهبى : لا يُعرف (ميزان ٦ / ٢٠٠) . وقد وقع ضبطه عند البزار : أبو الزناد وأظنه خطأ فإن بين أبى الزناد وأبى هريرة عبد الرحمن الأعرج ، وكذلك فإن أبا هريرة توفى ٥٧ هـ وأبو الزناد توفى ١٣١ هـ .

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٢٨٣) ، والبزار (٣ / ٣٤٢) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٧ / ٢٨٢) ، قال الهيثمى فى المجمع (٥ / ٧٩) : « رواه أحمد بإسنادين والبزار وأحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح » . قلت : الرجل الذى روى الحديث عن أبى هريرة وأبهمه أحمد فى إسناده قد سماه البزار والبيهقى « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة » فقد يكون هو ، والله أعلم .

(٣) فى ط : ابن الزبير . وأبو الزبير هو محمد بن سلم بن تدرس المكى . مات ١٢٨ هـ .

(٤) ما بين القوسين ناقص فى : د .

(٥) أخرجه أحمد من طريق ابن لهيعة هذا (٣ / ٣٤٦) . وقد أخرجه من طريق ابن جريج عن أبى الزبير به أحمد (٣ / ٣٨٣) ، ومسلم (٣ / ١٥٩٨) ، وأبو داود (٣ / ٣٤٦) ، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٩) .

وقال البخارى : حدثنا محمد . حدثنا عبدة[1] عن هشام بن عروة عن أبيه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا طلع حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تبرز ، وإذا غاب حاجب الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب ، ولا تحينوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرنى شيطان - أو الشيطان لا أدرى أى ذلك قال هشام »[2] ورواه مسلم والنسائى من حديث هشام به .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال : رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق فقال : « ها إن الفتنة هاهنا ، إن الفتنة هاهنا ، من حث يطلع قرن الشيطان » . هكذا رواه البخارى منفرداً به من هذا الوجه[3] .

وفى السنن أن رسول الله ﷺ نهى أن يُجلس بين الشمس والظل ، وقال : إنه مجلس الشيطان »[4] .

وقد ذكروا فى هذا معانى ، من أحسنها أنه لما كان الجلوس فى مثل هذا الموضع فيه تشويه بالخلقة فيما يرى كان يحبه الشيطان ، لأن خلقته فى نفسه مشوهة ، وهذا مستقر فى الأذهان .

---

(١) وقع هنا فى الأصول د ، ط : حدثنا محمد . وهو خطأ .

(٢) حديث ابن عمر أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٥) ، وأحمد (٢ / ١٣ ، ١٩ ، ١٠٦) ، ومسلم (١ / ٥٦٨) ، والنسائى (١ / ٢٧٩) .

(٣) أخرجه مالك (٢ / ٩٧٥) ، وأحمد (٢ / ١٨ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٥٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٩٢ ، ١١١ ، ١٢١) ، والبخارى (٦ / ٣٣٦ ، ٥٤٠) (٩ / ٤٣٦) (١٣ / ٤٥) ، ومسلم (٤ / ٢٢٢٨) ، والترمذى (٤ / ٥٣٠) وقال : حسن صحيح .

(٤) أخرجه أحمد (٣ / ٤١٣) عن أبى عياض عن رجل من أصحاب النبى ، وأخرجه الحاكم (٤ / ٢٧١) ، وقد صرح باسم الصحابى وهو أبو هريرة وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى . قال الهيثمى فى المجمع (٨ / ٦٠) : « رجاله رجال الصحيح غير كثير بن أبى كثير وهو ثقة » .

ولهذا قال تعالى : ﴿ طَلْعُها كأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ ﴾[1] . الصحيح أنهم الشياطين لا ضربٌ من الحيَّات كما زعمه مَنْ زعمه من المفسرين والله أعلم . فإن النفوس مقرور فيها قبح الشياطين وحُسْن خَلْق الملائكة وإنْ لم يُشاهدوا[2] ، ولهذا قال تعالى : ﴿ طَلْعُها كأَنَّهُ رُؤُوسُ الشياطِينِ ﴾ ، وقال النسوة لما شاهدن جمال يوسف : ﴿ حَاشَ للهِ ما هَذَا بَشَراً إنْ هَذَا إلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾[3] .

وقال البخارى : حدثنا يحيى بن جعفر . حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى . حدثنا ابن جريج . أخبرنى عطاء عن جابر عن النبى ﷺ قال : « إذا استجنح – أو كان جنح – الليل فكفُّوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ ، فإذا ذهب ساعة من العشاء فحلوهم ، وأغلق بابك واذكر اسم الله ، وأطفىء مصباحك واذكر اسم الله ، وأَوْكِ[4] سقاءك واذكر اسم الله ولو تعرض عليه شيئاً[5] »[6] .

ورواه أحمد عن يحيى عن ابن جريج وعنده : « فإن الشيطان لا يفتح مُغْلَقاً »[7] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن فطر[8] عن أبى الزبير عن جابر قال :

---

(١) سورة الصافات : ٦٥ .

(٢) فى ط : يشاؤا .

(٣) سورة يوسف : ٣١ .

(٤) أوك سقاءك : أى اربط فم سقاءك .

(٥) فى د : عوداً .

(٦) أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٦) فى بدء الخلق من صحيحه بهذا السند والمتن .

(٧) أخرج هذا اللفظ البخارى (١٠ / ٨٨) ، ومسلم (٣ / ١٥٩٥) ، وأحمد (٣ / ٣٠١ ، ٣١٩ ، ٣٨٦ ، ٣٩٥) وأبو داود (٣ / ٣٣٩) والترمذى (٤ / ٢٦٣) وقال : حسن صحيح .

(٨) فى د : مطر . وفى ط : قط . والصواب أنه فطر بن خليفة أبو بكر الكوفى الحناط ويقال الخياط . اختُلف فى توثيقه وهو من شيوخ وكيع بن الجراح نص على ذلك الرازى فى الجرح والتعديل (٧ / ٩٠) . وانظر : الضعفاء الكبير للعقيلى (٣ / ٤٦٤) ، وميزان الاعتدال (٤ / ٢٨٤) وهدى السارى لابن حجر العسقلانى (ص ٤٣٥) .

قال رسول الله ﷺ : « أَغْلِقوا أبوابَكم ، وخَمِّروا[1] آنيتَكم ، وأَوْكوا أسقيتَكم ، وأطفئوا سراجَكم ، فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً ولا يكشف غطاء ولا يحل وكاءً ، وإن الفويسقة تضرم البيت على أهله »[2] يعنى الفأرة .

وقال البخارى : حدثنا آدم . حدثنا شعبة عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن كريب عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله قال : اللهم جَنِّبنا الشيطان وجَنِّب الشيطان ما رزقتنى ؛ فإن كان بينهما ولد لم يضره الشيطان ولم يُسلَّط عليه »[3] . وحدثنا[4] الأعمش عن سالم عن كريب عن ابن عباس مثله .

ورواه أيضاً عن موسى بن إسماعيل عن همام عن منصور عن سالم عن كريب عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « أما لو أن أحدكم [إذا أتى أهله][5] قال : بسم الله اللهم جَنِّبنا الشيطان وجَنِّب الشيطان ما رزقتنا ، فرُزِقا ولداً لم يضره الشيطان »[6] .

وقال البخارى : حدثنا إسماعيل . حدثنا أخى عن سليمان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « يعقد الشيطان على قافية

---

(١) خمروا آنيتكم : غطوها . والتخمير : التغطية ، وخمار المرأة ما تغطى به رأسها .

(٢) أخرجه من طريق فطر عن أبى الزبير أحمد فى مسنده (٣ / ٣٠١) . وقد تابع مالك والليث وزهير فطراً عن أبى الزبير ، فمتابعة مالك أخرجها مالك فى الموطأ (٢ / ٩٢٨) ، والترمذى (٤ / ٢٦٣) ، أما الليث فقد أخرجها ابن ماجه (٢ / ١١٢٩) ، وأما متابعة زهير فقد أخرجها أحمد (٣ / ٣٨٦ ، ٣٩٥) .

(٣) طريق شعبة عن منصور به أخرجها البخارى (٦ / ٣٣٧) ، وأحمد (١ / ٢٨٦) ، ومسلم (٢ / ١٠٥٨) .

(٤) قال ابن حجر فى الفتح (٦ / ٣٤٢) : « قائل ذلك هو شعبة قَلَّهُ فيه شيخان » .

(٥) ناقص فى : د .

(٦) طريق همام عن منصور به أخرجها البخارى (٦ / ٣٣٥) . ولهذا الحديث طرق أخرى عن منصور به ، منها طريق جرير أخرجها البخارى (١ / ٢٤٢) (٦ / ٣٧٩) (١١ / ١٩١) ومسلم (٢ / ١٠٥٨) ، وابن ماجه (١ / ٦١٨) ، وأبو داود (٢ / ٢٤٩) .

رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها : عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلَّى انحلَّت عقده كلها فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »[(١)] . هكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه .

وقال البخارى : حدثنا إبراهيم بن[(٢)] حمزة . حدثنى ابن أبى حازم عن يزيد – يعنى ابن الهاد – عن محمد بن إبراهيم عن عيسى بن طلحة عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إذا استيقظ أحدُكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثاً ، فإن الشيطان يبيت على خيشومه »[(٣)] .

ورواه مسلم عن بشر بن الحكم عن الدراوردى . والنسائى عن محمد بن زنبور عن عبد العزيز بن أبى حازم . كلاهما عن يزيد بن الهاد به .

وقال البخارى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة . حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن عبد الله قال : « ذُكر عند النبى ﷺ رجل نام ليله حتى أصبح ، قال : ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه ، أو قال : فى أذنه »[(٤)] .

ورواه مسلم عن عثمان وإسحاق كلاهما عن جرير به ، وأخرجه البخارى أيضاً والنسائى وابن ماجه من حديث منصور بن المعتمر به .

---

(١) أخرجه من هذا الطريق البخارى (٦ / ٣٣٥) . وقد أخرجه البخارى (٣ / ٢٤) ، ومالك (١ / ١٧٦) ، ومسلم (١ / ٥٣٨) ، وأبو داود (٢ / ٣٢) ، والنسائى (٣ / ٢٠٣) ، وأحمد (٢ / ٢٤٣) من طريق أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة .

(٢) فى د ، ط : عن . وهو خطأ .

(٣) أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٩) ، ومسلم (١ / ٢١٢) ، والنسائى (١ / ٦٧) . وقد أخرجه أحمد (٢ / ٣٥٢) من طريق ابن لهيعة عن ابن الهاد دون ذكر الاستيقاظ من النوم .

(٤) أخرجه البخارى (٣ / ٢٨) (٦ / ٣٣٥) ، ومسلم (١ / ٥٣٧) ، وأحمد (١ / ٣٧٥ ، ٤٢٧) ، وابن ماجه (١ / ٤٢٢) ، والنسائى (٣ / ٢٠٤) .

وقال البخارى : حدثنا محمد بن يوسف . أنبأنا الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا نُودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط ، فإذا قُضى أقبل ، فإذا ثُوِّب بها أدبر ، فإذا قُضى أقبل حتى يخطر[1] بين الإنسان وقلبه . فيقول : اذكر كذا وكذا ، حتى لا يدرى أثلاثاً صلى أم أربعاً ، فإذا لم يدر أثلاثاً صلى أم أربعاً سجد سجدتى السهو »[2] هكذا رواه منفرداً به من هذا الوجه .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر . حدثنا جعفر – يعنى الأحمر – عن عطاء بن السائب عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « راصوا الصفوف فإن الشيطان[3] يقوم فى الخلل »[4] .

وقال أحمد : [حدثنا عفان][5] . حدثنا أبان . حدثنا قتادة عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ كان يقول : « راصوا صفوفكم[6] وقاربوا بينها وحاذوا بين الأعناق ، فوالذى نفس محمد بيده إنى لأرى الشيطان يدخل من خلل الصف كأنه الحذف[7] »[8] .

---

(١) أى أوصل وسواسه إلى قلب الإنسان .

(٢) أخرجه من طريق يحيى بن أبى كثير البخارى (٦ / ٣٣٧) (٣ / ١٠٣) ، ومسلم (١ / ٣٩٨) ، وأحمد (٢ / ٥٢٢) ، والنسائى (٣ / ٣١) ، وأخرجه من طريق الأعرج عن أبى هريرة البخارى (٢ / ٨٤) (٣ / ٨٩) ، ومالك (١ / ٦٩) ، وأحمد (٢ / ٤٦٠) ، ومسلم (١ / ٢٩١) ، والنسائى (٢ / ٢١) .

(٣) فى مسند أحمد : الشياطين .

(٤) أخرجه أحمد (٣ / ١٥٤) ، والديلمى حديث (٣١٧٩) .

(٥) سقط ما بين القوسين من السند فى الأصول د ، ط . ولا يستقيم الإسناد بدونه .

(٦) فى ط : الصفوف .

(٧) الحذف : غنم سود صغار .

(٨) أخرجه أحمد (٣ / ٢٦٠ ، ٢٨٣) ، والنسائى (٢ / ٩٢) ، وأبو داود (١ / ١٧٩) عن أنس .

وقال البخارى : حدثنا أبو معمر . حدثنا عبد الوارث . حدثنا يونس عن حميد بن هلال عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مرَّ بين يدى أحدكم شيء فليمنعه ، فإن أبى فليمنعه ، فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان »[1] .

ورواه أيضاً مسلم وأبو داود من حديث سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو أحمد . حدثنا مسرة[2] بن معبد . حدثنا أبو عبيد حاجب[3] سليمان قال : رأيت عطاء بن يزيد الليثى قائماً يصلى فذهبت أمرُّ بين يديه فردَّنى . ثم قال : حدثنى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ قام يصلى صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ[4] فالتبست عليه القراءة ، فلما فرغ من صلاته قال : « لو رأيتمونى وإبليس فأهويت بيدى فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعى هاتين الإبهام والتى تليها ، ولولا دعوة أخى سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سوارى المسجد يتلاعب به صبيان المدينة ، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل »[5] .

---

(١) حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٥) بهذا اللفظ . وأخرجه البخارى من هذا الطريق أطول من هذا (١ / ٥٨١) ومسلم (١ / ٣٦٢) وأبو داود (١ / ١٨٦) . وقد أخرجه مالك فى الموطأ (١ / ١٥٤) وأحمد (٣ / ٣٤ ، ٤٣) والنسائى (٢ / ٦٦) بلفظ : « إذا كان أحدكم يصلى فلا يدع أحداً يمر بين يديه وليدرأه ما استطاع فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان » .

(٢) فى د : بسر . وفى ط : بشير . وكلاهما خطأ ، وما أثبته هنا هو الصواب ، قال ابن حبان : لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد . وقال الرازى : ما به بأس . انظر المجروحين لابن حبان (٣ / ٤٢) ، والجرح للرازى (٨ / ٤٢٣) وميزان الاعتدال (٥ / ٢٢١) .

(٣) فى د ، ط : صاحب . وهو ما وقع أيضاً فى مسند أحمد تصحيفاً . وسليمان هو ابن عبد الملك .

(٤) فى د ، ط : يقرأ .

(٥) حديث أبى سعيد الخدرى أخرجه أحمد (٣ / ٨٢) .

وروى أبو داود منه « فمن استطاع » إلى آخره ، عن أحمد بن أبى سريج[1] عن أبى أحمد محمد بن عبد الله بن محمد بن الزبير به[2] .

وقال البخارى : حدثنا محمود . حدثنا شبابة . حدثنا شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه صلى صلاة فقال : « إن الشيطان عرض لى فشدَّ علىَّ يقطع الصلاة علىَّ فأمكننى الله منه »[3] فذكر الحديث . وقد رواه مسلم والنسائى من حديث شعبة به مطولاً .

ولفظ البخارى عند تفسير قوله تعالى إخباراً عن سليمان عليه السلام أنه قال : ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِى وهَبْ لِى مُلْكاً لا يَنْبغِى لِأحَدٍ مِنْ بَعْدِى إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ** ﴾[4] من حديث روح وغندر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « إن عفريتاً من الجنِّ تفلَّت علىَّ البارحة – أو كلمة نحوها – ليقطع علىَّ الصلاة ، فأمكننى الله منه فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخى سليمان ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِى وهَبْ لِى مُلْكاً لا يَنْبغِى لأحَدٍ مِنْ بَعْدِى إنَّكَ أنتَ الوهَّابُ** ﴾ . قال روح : فردَّه خاسئاً »[5] .

وروى مسلم من حديث أبى إدريس عن أبى الدرداء قال : قام رسول الله ﷺ يصلى ، فسمعناه يقول : أعوذ بالله منك – ثم قال – ألعنك بلعنة الله (ثلاثاً) ، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً ، فلما فرغ من الصلاة قلنا : يا رسول الله قد سمعناك تقول فى الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك . فقال : إن عدو الله

---

(١) فى د : أحمد بن أبى شريح .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه (١ / ١٨٦) .

(٣) أخرجه البخارى (٣ / ٨٠) (٦ / ٣٣٧) ، ومسلم (١ / ٣٨٤) .

(٤) سورة ص : ٣٥ .

(٥) أخرجه البخارى (١ / ٥٥٤) (٦ / ٤٥٧) (٨ / ٥٤٦) ، وأحمد (٢ / ٢٩٨) ، ومسلم (١ / ٣٨٤) .

إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله فى وجهى . فقلت : أعوذ بالله منك (ثلاث مرات) . ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة . فلم يستأخر ، ثم أردت أخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة »[١] .

وقال الله تعالى : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ولَا يَغُرَّنَّكُم باللهِ الغَرُورُ ﴾ يعنى الشيطان
(سورة لقمان : ٣٣)

وقال تعالى : ﴿ إنَّ الشَّيْطَانَ لكُمْ عَدوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكونُوا مِنْ أصْحابِ السَّعِيرِ ﴾
(سورة فاطر : ٦)

فالشيطان لا يألو الإنسان خبالاً جهده وطاقته فى جميع أحواله وحركاته وسكناته ، كما صنف الحافظ أبو بكر بن أبى الدنيا[٢] كتاباً فى ذلك سماه « مصائد الشيطان » وفيه فوائد جمة .

وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ كان يقول فى دعائه : « وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت »[٣] .

وروينا فى بعض الأخبار « أنه قال : يارب وعزتك وجلالك لا أزال أغويهم ما دامت أرواحهم فى أجسادهم . فقال الله تعالى : وعزتى وجلالى ولا أزال أغفر لهم ما استغفرونى »[٤] .

---

(١) أخرجه مسلم (١ / ٣٨٥) ، والنسائى (٣ / ١٣) عن شيخ واحد هو محمد بن سلمة .

(٢) هو : عبد الله بن محمد بن عبيد القرشى البغدادى ، ولد عام ٢٠٨ هـ ، له مصنفات كثيرة . أدّب غير واحد من أولاد الخلفاء ، توفى عام ٢٨١ هـ . (تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٧٧ - ٦٧٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٣ / ٤٢٧) ، وأبو داود (٢ / ٩٢) ، والنسائى (٨ / ٢٨٢ ، ٢٨٣) عن أبى اليسر الأنصارى واسمه كعب بن عمرو .

(٤) أخرجه أحمد (٣ / ٢٩ ، ٤١ ، ٧٦) ، وأبو يعلى فى مسنده (٢ / ٤٥٨) ، والحاكم (٤ / ٢٦١) من حديث أبى سعيد الخدرى ، قال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٢٠٧) : « أحد إسنادى أحمد رجاله رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادى أبى يعلى » . وقال الحاكم : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » . وأقره الذهبى .

وقال الله تعالى : ﴿ الشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ ويَأمُرُكُمْ بالفَحْشاءِ واللهُ يَعِدُكُم مَغفِرَةً مِنه وفَضْلاً واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة البقرة : ٢٦٨)

فوعْدُ الله هو الحق المصدَّق ووعْدُ الشيطان هو الباطل .

وقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان فى صحيحه وابن أبى حاتم فى تفسيره من حديث عطاء بن السائب عن مرة[١] الهمدانى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن للشيطان لمةً بابن آدم وللمَلك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ ﴿ الشَّيطانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ وَيأمُرُكُمْ بالفَحْشاءِ واللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنه وفَضْلاً واللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ »[٢] .

وقد ذكرنا فى فضل سورة البقرة أن الشيطان يفر من البيت الذى تُقرأ فيه[٣] . وذكرنا فى فضل آية الكرسى أن من قرأها فى ليلة لا يقربه الشيطان حتى يصبح[٤] .

وقال البخارى : حدثنا عبد الله بن يوسف . أنبأنا مالك عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عِدْلَ عشر رقاب

---

(١) فى د : عروة .

(٢) أخرجه الترمذى (٥ / ٢١٩) وأبو يعلى (٨ / ٤١٧) وابن حبان (ص ٤٠ موارد) وابن جرير الطبرى (٣ / ٨٨ ، ٨٩) ، أما النسائى فقد أشار المزى إلى أنه أخرجه فى سننه الكبرى فى التفسير . انظر : تحفة الأشراف (٧ / ١٣٩) .

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ٢٨٤ ، ٣٣٧ ، ٣٧٨ ، ٣٨٨) ، ومسلم (١ / ٥٣٩) ، والترمذى (٥ / ١٥٧) ، والنسائى فى « عمل اليوم والليلة » (ص ٥٣٥) من حديث أبى هريرة . وقال الترمذى : حسن صحيح .

(٤) أخرجه البخارى (٤ / ٤٨٦) (٦ / ٣٣٥) (٩ / ٥٥) معلقاً مجزوماً به ، وعزاه ابن كثير فى التفسير للنسائى فى اليوم والليلة ، وقال ابن حجر فى الفتح (٤ / ٤٨٧) : وصله النسائى والإسماعيلى وأبو نعيم من طرق » .

وكُتبت له مائة حسنة ومُحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى . ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد[1] عمل أكثر من ذلك »[2] . وأخرجه مسلم والترمذى وابن ماجه من حديث مالك . وقال الترمذى : حسن صحيح .

وقال البخارى : حدثنا أبو اليمان . أنبأنا شعيب عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « كل بنى[3] آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بأصبعيه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن فى الحجاب »[4] تفرد به من هذا الوجه[5] .

وقال البخارى : حدثنا عاصم بن على . حدثنا ابن أبى ذئب عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا قال (ها) ضحك الشيطان »[6] .

ورواه أحمد وأبو داود والترمذى وصححه النسائى من حديث ابن أبى ذئب به ، وفى لفظ « فإذا تثاءب أحدكم فليكظم ما استطاع فإن الشيطان يدخل » .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق . أنبأنا سفيان عن محمد بن عجلان عن سعيد

---

(١) فى ط : رجل .

(٢) أخرجه مالك (١ / ٢٠٩) ومن طريقه أخرجه أحمد (٢ / ٣٠٢ ، ٣٧٥) ، والبخارى (٦ / ٣٣٨) (١١ / ٢٠١) ، ومسلم (٤ / ٢٠٧١) ، وابن ماجه (٢ / ١٢٤٨) ، والترمذى (٥ / ٥١٢) وقال : حسن صحيح .

(٣) فى ط : ابن .

(٤) قال ابن حجر فى الفتح (٦ / ٣٤٢) : المراد بالحجاب الجلدة التى فيها الجنين أو الثوب الملفوف على الطفل .

(٥) أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٧) ، وأحمد (٢ / ٥٢٣) .

(٦) حديث أبى هريرة أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٨) بهذا اللفظ من طريق ابن أبى ذئب به .

المقبرى عن[١] أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يحب العطاس ويبغض أو يكره التثاؤب ، فإذا قال أحدكم ها ها ، فإنما ذلك الشيطان يضحك من جوفه »[٢] .
ورواه الترمذى والنسائى من حديث محمد بن عجلان به .

وقال البخارى : حدثنا الحسن بن الربيع . حدثنا أبو الأحوص عن أشعث عن أبيه عن مسروق قال : قالت عائشة : سألت[٣] النبى ﷺ عن التفات الرجل فى الصلاة فقال : « هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة أحدكم »[٤] .

وكذا رواه أبو داود والنسائى من رواية أشعث بن أبى الشعثاء سليم بن أسود المحاربى عن أبيه عن مسروق به .

وروى البخارى من حديث الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير حدثنى عبد الله بن أبى قتادة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لا تضره »[٥] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرزاق . حدثنا معمر عن همام عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يمشين[٦] أحدكم إلى أخيه بالسلاح ، فإنه لا يدرى أحدكم

---

(١) وقع هنا فى ط : أبيه عن . وهو خطأ .
(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٢٦٥) ، والحميدى (٢ / ٤٩٠) ، والنسائى فى « اليوم والليلة » (ص ٢٣٧) ، والحاكم (٤ / ٢٦٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبى . وأخرجه الترمذى (٥ / ٨٦) وقال : حسن صحيح .
(٣) فى د : سألنا .
(٤) حديث عائشة أخرجه البخارى (٢ / ٢٣٤) (٦ / ٣٣٤) وأحمد (٦ / ٧٠ ، ١٠٦) وأبو داود (١ / ٢٣٩) والنسائى (٣ / ٨) والترمذى (٢ / ٤٨٤) وقال : حسن غريب . ولكن قال الشيخ أحمد شاكر (٢ / ٤٨٤) : بل هو حديث صحيح .
(٥) أخرجه أحمد (٥ / ٢٩٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ، ٣١٠) ومالك فى الموطأ (٢ / ٩٥٧) والبخارى (٦ / ٣٣٨) (١٢ / ٣٧٣ ، ٣٩٣) ، ومسلم (٤ / ١٧٧١) وأبو داود (٤ / ٣٠٥) ، وابن ماجه (٢ / ١٢٨٦) ، والترمذى (٤ / ٥٣٥) وقال : حسن صحيح .
(٦) فى ط : لا يشيرن . وما أثبتناه هنا هو لفظ أحمد . وفى البخارى ومسلم « لا يشير » .

لعل الشيطان أن ينزع[1] فى يده فيقع فى حفرة من النار » . أخرجاه من حديث عبد الرزاق[2] .

وقال الله تعالى : ﴿ ولقدْ زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصابيحَ وجَعلْناهَا رُجُوماً لِلشَّياطينِ وأعْتَدْنا لَهُمْ عَذابَ السَّعيرِ ﴾ (سورة الملك : ٥)

وقال : ﴿ إنَّا زَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بزينةٍ الكَواكِب * وحِفْظاً من كُلِّ شيطانٍ مَارِدٍ * لا يَسَّمَّعُونَ إلى الملأ الأعْلَى ويُقْذَفُونَ من كُلِّ جانبٍ * دُحُوراً ولَهُمْ عذابٌ وَاصِبٌ * إلَّا مَنْ خَطِفَ الخطْفَةَ فأتْبَعَه شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ (سورة الصافات : ٦ - ١٠)

وقال تعالى : ﴿ ولقدْ جَعلْنَا فى السَّماءِ بُرُوجاً وزَيَّنَّاهَا للناظِرِينَ * وحَفِظْناهَا من كُلِّ شَيْطانٍ رَجِيمٍ * إلَّا مَنِ استَرقَ السَّمْعَ فأتْبَعه شِهَابٌ مُبِينٌ ﴾ .

(سورة الحجر : ١٦ - ١٨)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَنزَّلَتْ به الشَّياطِينُ * ومَا يَنْبغِي لَهُمْ وما يَسْتَطِيعُونَ * إنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴾ (سورة الشعراء : ٢١٠ - ٢١٢)

وقال تعالى إخباراً عن الجان : ﴿ وأنَّا لَمسْنَا السَّماءَ فَوجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وشُهُباً * وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ منها مقاعِدَ للسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ له شِهاباً رَصَداً ﴾ .

(سورة الجن : ٨ ، ٩)

وقال البخارى : وقال الليث : حدثنى خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال أن أبا الأسود أخبره عن عروة عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « الملائكة تحدث فى العنان - والعنان الغمام - بالأمر يكون فى الأرض ، فتستمع الشياطين الكلمة فتقرها[3]

---

(١) فى د : ينزغ . وكلاهما لفظ للحديث . نزغ : حمل بعضهم على بعض بالفساد . نزع : قلع ورمى بالسهم من يده . انظر تحقيق ذلك فى فتح البارى (١٣ / ٢٥) .

(٢) أخرجه أحمد (٢ / ٣١٧) ، والبخارى (١٣ / ٢٣) ، ومسلم (٤ / ٢٠٢٠) من طريق عبد الرزاق به .

(٣) القر : ترديدك الكلام فى أذن المخاطب حتى يفهمه ، وقر الكلام : صبُّه وتفريغه فى الأذن .

فى أذن الكاهن كما تُقَرُّ القارورة[١] فيزيدون معها مائة كذبة[٢] »[٣] .

هكذا رواه فى صفة إبليس مُعلَّقاً عن الليث به ، ورواه فى صفة الملائكة عن سعيد بن أبى مريم عن الليث عن عبيد الله بن أبى جعفر عن محمد بن عبد الرحمن أبى الأسود عن عروة عن عائشة بنحوه[٤] . انفرد بهذين الطريقين دون مسلم .

وروى البخارى فى موضع آخر ومسلم من حديث الزهرى عن يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال : قالت عائشة « سأل ناس النبى ﷺ عن الكهان فقال : إنهم ليسوا بشىء . فقالوا : يا رسول الله إنهم [يحدثون بالشىء يكون حقاً][٥] . فقال ﷺ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرقرها فى أذن وليه كقرقرة الدجاجة [فيخلطون معها أكثر من][٦] مائة كذبة »[٧] . هذا لفظ البخارى .

وقال البخارى : حدثنا الحميدى . حدثنا سفيان . حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة يقول : سمعت أبا هريرة يقول : إن نبى الله ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله كأنه سلسلة على صفوان[٨] ، فإذا[٩]

---

(١) القارورة : الزجاجة . أى كصوت الزجاجة إذا صُبَّ فيها الماء .

(٢) فى د ، ط : كلمة . وفى هامش ط أنه فى نسخة « كذبة » وهو لفظ الحديث عند البخارى ومسلم .

(٣) أخرجه البخارى (٦ / ٣٣٨) من هذا الوجه معلقاً .

(٤) هذه الطريق أخرجها البخارى (٦ / ٣٠٤) .

(٥) فى ط : يحدثوننا أحياناً بشىء فيكون حقاً . وكلاهما لفظان صحيحان عند البخارى ومسلم .

(٦) فى د : فيخلط معها أكثر من . وفى ط : فيخلطون معها .

(٧) أخرجه البخارى (١٠ / ٢١٦ ، ٥٩٥) (١٣ / ٥٣٥) ، وأحمد (٦ / ٨٧) ، ومسلم (٤ / ١٧٥٠) .

(٨) هو صوت جَرِّ السلسلة على الصفوان الذى هو الحجر الأملس .

(٩) فى د : حتى إذا .

فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا [للذى قال][1] : الحق وهو العلى الكبير ، [فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع][2] هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بكفه فحرفها[3] وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى مَنْ تحته ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد[4] قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا ، فيصدق بتلك الكلمة التى سمع[5] من السماء » انفرد به البخارى[6] .

وروى مسلم من حديث الزهرى عن على بن الحسين زين العابدين عن ابن عباس عن رجال من الأنصار عن النبى ﷺ نحو هذا[7] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عن ذِكْرِ الرَّحْمن نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فهو له قَرِينٌ * وإنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ويَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ * حتَّى إذَا جَاءَنَا قَالَ يا لَيْتَ بينى وبينكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فبِئْسَ القَرِينُ ﴾ (سورة الزخرف : ٣٦ - ٣٨)

---

(١) ناقص فى : د .

(٢) فى د : فيستمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع . وهو لفظ عند البخارى أيضاً . ولكن ما أثبتناه هنا هو لفظ الحميدى .

(٣) حرَّف كفه : أمالها . بدد بين أصابعه : فرَّق بينها .

(٤) ناقصة فى : د .

(٥) فى د ، ط : سمعت . وهو لفظ عند البخارى عن شيخه على بن عبد الله المدينى ، وما أثبتناه هنا هو لفظ الحميدى .

(٦) أخرجه البخارى (٨ / ٣٨٠ ، ٥٣٧) ، وابن ماجه (١ / ٦٩) . وأخرجه الترمذى مختصراً (٥ /٣٦٢) من طريق سفيان بن عيينة أيضاً به وقال : حسن صحيح .

(٧) حديث ابن عباس عن رجال من الأنصار أخرجه مسلم (٤ / ١٧٥٠) ، وأحمد (١ / ٢١٨) ، والترمذى (٥ / ٣٦٢) وقال : حسن صحيح .

وقال تعالى : ﴿ وقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَناءَ فَزيَّنُوا لَهُمْ ما بينَ أيْديهِمْ ومَا خَلْفَهُمْ ﴾ الآية . (سورة فصلت : ٢٥)

وقال تعالى : ﴿ قَالَ قَرِينُه رَبَّنَا ما أَطْغَيْتُه ولكِنْ كَانَ فى ضَلالٍ بعيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىَّ وقَدْ قَدَّمْتُ إليكُمْ بالوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ القَولُ لَدىَّ وما أنَا بظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (سورة ق : ٢٧ - ٢٩)

وقال تعالى : ﴿ وكذلِكَ جَعلْنَا لكلِّ نبىٍّ عَدُوّاً شياطينَ الإنسِ والجنِّ يُوحِى بعضُهم إلى بعضٍ زُخرفَ القَوْلِ غُروراً ولو شَاءَ رَبُّكَ ما فَعلُوه فَذَرْهُمْ وما يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إليه أفئدةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخرةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا ما هُمْ مقترفُون ﴾ (سورة الأنعام : ١١٢ ، ١١٣)

وقد قدمنا فى صفة الملائكة ما رواه أحمد ومسلم من طريق منصور عن سالم بن أبى الجعد عن أبيه واسمه رافع عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ما منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينُه من [الجنّ وقرينُه من][1] الملائكة . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياى ولكن الله أعاننى عليه فلا يأمرنى إلا بخير »[2] .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عثمان بن أبى شيبة . حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه - واسمه حصين بن جندب وهو أبو ظبيان الجنبى[3] - عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منكم من أحد إلا وقد وُكِّل به قرينه من الشياطين . قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : نعم ولكن الله أعاننى عليه فأسلم »[4] . تفرد به أحمد وهو على شرط الصحيح .

---

(١) ناقص فى : د .

(٢) سبق تخريج هذا الحديث صفة ١٤٣ .

(٣) فى د : ابن ظبيان الحبشى . وهو خطأ . قال ابن معين : أبو ظبيان ثقة . قال أبو زرعة : كوفى ثقة . انظر : الجرح والتعديل (٣ / ١٩٠) .

(٤) أخرجه أحمد (١ / ٢٥٧) ، والطبرانى فى الكبير (١٢ / ١١٠) ، وعزاه الهيثمى فى المجمع (٨ / ٢٢٥) للبزار أيضاً وقال : « رجاله رجال الصحيح غير قابوس بن أبى ظبيان وقد وُثق على ضعفه » . وانظر كلام الهيثمى عن قابوس أيضاً فى المجمع (١ / ١٢٥) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هارون . حدثنا عبد الله بن وهب . أخبرنى أبو صخر عن ابن قسيط[1] حدثه أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة زوج النبى ﷺ حدثته أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً . قالت : فَغِرْتُ عليه . قالت : فجاء فرأى ما أصنع ، فقال : ما لك يا عائشة أَغِرْتِ ؟ قالت : فقلت : وما لى أن لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال رسول الله ﷺ : أفأخذك شيطانك ؟ قالت : يا رسول الله أو معى شيطان ؟ قال : نعم . قلت : ومع كل إنسان ؟ قال : نعم . قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم »[2] .

وهكذا رواه مسلم عن هارون وهو ابن سعيد الأيلى بإسناده نحوه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا قتيبة بن سعيد . حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن المؤمن لينضى شيطانه [كما ينضى أحدكم بعيره فى السفر »[3] تفرد به أحمد من هذا الوجه .

ومعنى « لينضى شيطانه »][4] أى يأخذ[5] بناصيته فيغلبه ويقهره كما يفعل بالبعير إذا شرد ثم غلبه .

---

(١) فى ط : يزيد بن قسيط . ولم يتضح لى بمراجعة كتب الرجال أن اسمه يزيد ، وهو ابن قسيط فى مسلم والجرح والتعديل (٣ / ٢٢٢) فى ترجمة حميد بن زياد أبى صخر . ووقع فى مسند أحمد : أبو قسيط .

(٢) أخرجه أحمد (٦ / ١١٥) ، ومسلم (٤ / ٢١٦٨) .

(٣) حديث أبى هريرة أخرجه أحمد (٢ / ٣٨٠) ، وعزاه المتقى الهندى فى منتخب الكنز (١ / ٨٦) أيضاً للترمذى الحكيم وابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان . قال الهيثمى فى المجمع (١ / ١١٦) : « فيه ابن لهيعة » ولم يذكر فيه شيئاً هنا ، ولكنه ذكر فيه أقوالاً كثيرة فى مواضع من مجمعه مثل : احتج به غير واحد – ضعيف – يحتمل فى هذا على ضعفه – حديثه حسن – ضعيف وقد وثق – فيه ضعف .

(٤) ما بين القوسين المعقوفين ناقص فى : د .

(٥) فى ط : ليأخذ .

وقوله تعالى إخباراً عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدَنَّ لهم صِرَاطَكَ المستقيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وِمِنْ خَلْفِهِمْ وعن أَيْمانِهِمْ وعن شَمَائِلِهِمْ ولَا تَجِدُ أَكثَرهُم شَاكِرِينَ ﴾ .

(سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧)

قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم . حدثنا أبو عقيل – هو عبد الله بن عقيل الثقفى[(١)] – حدثنا موسى بن المسيب[(٢)] عن سالم بن أبى الجعد عن سبرة بن أبى فاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك ؟ قال : فعصاه وأسلم . وقعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتذر أرضك وسماءك ، وإنما مثل المهاجر كالفرس فى الطول ، فعصاه وهاجر . ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال ، فقال : أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال ، قال : فعصاه وجاهد » قال رسول الله ﷺ : « فمن فعل ذلك منهم كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق[(٣)] كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، [وإن وقصته[(٤)] دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة][(٥)] »[(٦)] .

---

(١) عند أحمد : السقفى . وهو تصحيف أو خطأ مطبعى .

(٢) عند أحمد : المثنى . وهو خطأ . وهو أبو جعفر الثقفى الكوفى . قال ابن معين وأبو حاتم : صالح الحديث . وقال الأزدى : ضعيف . انظر : ميزان الاعتدال (٥ / ٣٤٨) .

(٣) فى د ، ط : وإن كان .

(٤) وقصته دابته : أى كسرت دابته عنقه بطرحه على الأرض أو غيره .

(٥) ما بين المعقوفين ناقص فى : د .

(٦) أخرجه أحمد (٣ / ٤٨٣) ، والنسائى (٦ / ٢١) ، وابن حبان (ص ٣٨٥ موارد) كلهم من طريق هاشم بن القاسم شيخ الإمام أحمد بهذا الإسناد . وأشار إليه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (٨ / ١٣٤) .

وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع . حدثنا عبادة[1] بن مسلم الفزارى . حدثنى جبير ابن أبى سليمان بن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول : لم يكن رسول الله ﷺ يدع هؤلاء[2] الدعوات حين يصبح وحين يمسى : « اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى ، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى ، اللهم احفظنى من بين يدىَّ ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتى »[3] . قال وكيع : يعنى الخسف .

ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به ، وقال الحاكم : صحيح الإسناد .

---

(١) وقع فى مسند أحمد (٢ / ٢٥) ونسختين من ميزان الاعتدال : عمارة . انظر هامش الميزان (٣ / ٩٠) ، والصواب ما أثبته ، قال الذهبى : « وثقه ابن معين والنسائى وذكره ابن حبان فى الثقات فيمن اسمه عباد ، كذا ذكره أيضاً فى الضعفاء فقال : منكر الحديث ساقط الاحتجاج به » . وانظر المجروحين لابن حبان (٢ / ١٧٣) .

(٢) فى ط : هذه .

(٣) أخرجه أحمد (٢ / ٢٥) ، وابن ماجه (٢ / ١٢٧٣) ، وأبو داود (٤ / ٣١٨) ، وابن حبان (ص ٥٨٥ موارد) ، والحاكم (١ / ٥١٧) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبى وأخرجه النسائى مختصراً (٨ / ٢٨٢) .

باب ما ورد
في
خلق آدم عليه السلام

قال الله تعالى :

﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلائكةِ إنِّى جَاعِلٌ فى الأَرْضِ خليفةً قالُوا أَتجعلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ونحنُ نُسبِّحُ بِحَمْدِكَ ونُقدِّسُ لك قَالَ إنِّى أعلمُ ما لَا تَعْلمُونَ * وعلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ثم عَرَضَهُمْ على الملائكةِ فقالَ أنبِئُونى بأسْماءِ هَؤلاءِ إنْ كُنْتُم صَادِقِينَ * قالُوا سُبْحانكَ لا عِلْمَ لنا إلَّا ما علَّمتنَا إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ * قالَ يا آدمُ أنبِئْهُمْ بأسْمائِهم فلما أنبأَهُمْ بأسمائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لكُمْ إنِّى أعلمُ غَيْبَ السَّماواتِ والأرضِ وأعلمُ ما تُبْدُونَ وما كُنْتُم تَكْتُمونَ * وإذْ قُلْنا للمَلائكةِ اسْجُدوا لآدمَ فسَجدوا إلَّا إبليسَ أَبَى واسْتَكْبرَ وكانَ من الكَافِرينَ * وقُلْنَا يا آدمُ اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنةَ وكُلَا منها رَغَداً حيثُ شِئْتما ولَا تَقْربَا هذهِ الشجرةَ فتكُونَا مِنَ الظَّالمينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشيطانُ عنها فأخْرَجَهُما مِمَّا كانَا فيهِ وقُلْنا اهْبِطُوا بعْضُكُم لِبعضٍ عَدُوٌّ ولكُمْ فى الأرضِ مُسْتقرٌّ ومتاعٌ إلى حِينٍ * فتَلقَّى آدمُ مِنْ رَبِّه كلماتٍ فتابَ عليه إنَّهُ هُوَ التوابُ الرحيمُ * قلنَا اهْبطُوا منها جميعاً فإمَّا يأتينَّكُمْ مِنِّى هُدىً فمن تَبِعَ هُدَاىَ فلا خَوْفٌ عليهم ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ * والذِينَ كفَرُوا وكذَّبوا بآياتِنَا أولئكَ أصحابُ النارِ هُمْ فيها خَالدُونَ ﴾ .

(سورة البقرة : ٣٠ - ٣٩)

وقال تعالى : ﴿ إنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كمَثَلِ آدمَ خَلقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قال لَهُ كُنْ فيَكُونُ ﴾ (سورة آل عمران : ٥٩)

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحدةٍ وخَلَقَ منها زَوْجَها وبثَّ منهما رِجَالاً كثيراً ونِساءً واتَّقُوا اللهَ الَّذِى تَساءلُونَ به والأَرحامَ إنَّ اللهَ كانَ عليكُم رَقِيباً ﴾
(سورة النساء : ١)

كما قال : ﴿ يا أَيُّها الناسُ إنَّا خَلقْناكُمْ من ذَكَرٍ وأُنْثى وجَعلْناكُمْ شُعوباً وقبائلَ لِتَعارفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عند اللهِ أَتْقاكُمْ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾
(سورة الحجرات : ١٣)

وقال تعالى : ﴿ هو الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وجَعلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إلَيْهَا ﴾ الآية
(سورة الأعراف : ١٨٩)

وقال تعالى : ﴿ ولقدْ خَلَقْناكُمْ ثُمَّ صَوَّرناكُمْ ثم قُلْنَا للملائكةِ اسْجُدُوا لآدمَ فسَجدُوا إلَّا إبليسَ لم يَكُنْ مِنَ السَّاجِدينَ * قالَ ما مَنَعكَ أَلَّا تَسْجُدَ إذْ أمرتُكَ قال أنَا خَيْرٌ مِنْه خَلقْتنى مِنْ نارٍ وخَلقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ فاهْبِطْ منها فمَا يَكُونُ لَكَ أنْ تَتكَبَّرَ فيها فاخْرُجْ إنَّكَ من الصَّاغِرينَ * قال أَنْظِرْنِى إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قال إنَّكَ من المُنْظَرِينَ * قَالَ فبِما أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدنَّ لهم صِراطَكَ المستقيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ من بين أيْديهِمْ ومِنْ خَلْفِهم وعَنْ أَيْمانِهِمْ وعن شَمائلِهِمْ ولَا تَجِدُ أكثرَهُمْ شاكِرِينَ * قالَ فاخرجْ منها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ منهم لأَمْلأَنَّ جهنَّمَ مِنْكُمْ أجْمعِينَ * ويا آدمُ اسْكُنْ أنتَ وزوجُكَ الجنةَ فكُلَا من حَيْثُ شِئْتما ولا تَقْربَا هذه الشجرةَ فتكُونا من الظالمينَ * فَوسْوَسَ لهما الشيطانُ لِيُبْدِىَ لهما ما وُورِىَ عنهما مِنْ سَوْءَاتِهِما وقالَ ما نَهاكُمَا ربُّكما عن هذه الشجرةِ إلَّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أو تَكُونَا مِنَ الخالِدِينَ * وقَاسَمَهُمَا إنِّى لكُمَا لِمَنَ النَّاصِحِينَ * فدلَّاهُما بغُرورٍ فلمَّا ذَاقَا الشجرةَ بَدَتْ لَهما سَوْءَاتُهما وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عليهما من وَرَقِ الجنَّةِ ونَادَاهُمَا رَبُّهما أَلَمْ أنْهَكُمَا عن تِلْكُمَا الشجرةِ وأَقُلْ لَكُمَا إنَّ الشيطانَ لكما عَدُوٌّ مُبينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ولكُمْ فى الأرْضِ مُسْتَقَرٌّ ومَتاعٌ إلى حِينٍ * قَالَ فيها تَحْيَوْنَ وفيها تَمُوتُونَ ومنها تُخْرَجُونَ ﴾ .

(سورة الأعراف : ١١ – ٢٥)

كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ مِنْها خَلقْناكُمْ وفيها نُعِيدُكُمْ ومنها نُخرِجكُمْ تارةً أُخْرى ﴾
(سورة طه : ٥٥)

وقال تعالى : ﴿ ولقدْ خَلَقْنَا الإنسانَ مِنْ صَلْصالٍ من حَمأٍ مَسْنُونٍ * والجانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * وإذْ قالَ رَبُّكَ للمَلائكةِ إنى خَالِقٌ بَشَراً من صَلْصالٍ مِنْ حَمأٍ مَسْنُونٍ * فإذَا سَوَّيْتُهُ ونَفخْتُ فيه مِنْ رُوحِى فَقعُوا له سَاجدينَ * فسَجدَ الملائكةُ كُلُّهم أجمعُونَ * إلَّا إبليسَ أَبَى أنْ يكُونَ مع السَّاجدينَ * قَالَ يا إبْلِيسُ مَا لكَ أَلَّا تكونَ معَ السَّاجدينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبشرٍ خَلقْته مِن صَلْصَالٍ من حَمَأٍ مَسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ منها فإنَّك رَجيمٌ * وإنَّ عليكَ اللعنةَ إلى يَوْمِ الدِّينِ * قال رَبِّ فأنْظِرْنِى إلى يَوْمِ يُبْعثُونَ * قال فَإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ * إلى يَوْمِ الوقْتِ المعلُومِ * قالَ رَبِّ بما أغْوَيْتَنى لأُزيِّنَنَّ لَهُمْ فى الأرضِ ولأُغْوِيَنَّهُمْ أجْمعينَ * إلَّا عِبادَكَ مِنْهُم المُخْلَصِين * قالَ هَذَا صِراطٌ علىَّ مستقيمٌ * إنَّ عِبادِى ليس لَكَ عليهم سلطانٌ إلَّا مَنِ اتَّبعكَ مِنَ الغَاوِينَ * وإنَّ جهنَّم لمَوْعِدُهُمْ أجْمعِينَ * لَهَا سَبْعةُ أبوابٍ لكُلِّ بابٍ منهم جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴾
(سورة الحجر : ٢٦ - ٤٤)

وقال تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنا للمَلائكةِ اسْجُدوا لآدمَ فَسَجَدوا إلَّا إبليسَ قال أأَسْجُدُ لِمَنْ خلقْتَ طِيناً * قَالَ أرأَيْتَكَ هذَا الذِى كرَّمْتَ علىَّ لَئِنْ أخَّرْتنِ إلى يَوْمِ القيامةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلَّا قَليلاً * قَالَ اذهبْ فمَنْ تَبِعَكَ منهم فإنَّ جَهنَّمَ جَزاؤُكُمْ جَزاءً مَوْفُوراً * واسْتَفْزِزْ مَنِ استطعْتَ منهم بصَوْتِك وأَجْلِبْ عَليْهِم بخَيْلِكَ ورَجْلِكَ وشارِكْهُمْ فى الأمْوالِ والأوْلادِ وَعِدْهُم وما يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إلَّا غُرُوراً * إنَّ عِبادِى ليسَ لَكَ عليهم سُلْطانٌ وكفَى بربِّكَ وَكِيلاً ﴾
(سورة الإسراء : ٦١ - ٦٥)

وقال تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنا للمَلائكةِ اسْجُدُوا لِآدمَ فَسَجدُوا إلَّا إبليسَ كانَ من الجِنِّ ففَسَقَ عَنْ أمْرِ رَبِّه أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّته أولياءَ من دُونِى وهُمْ لكُمْ عَدُوٌّ بئسَ للظالمِينَ بَدَلاً ﴾
(سورة الكهف : ٥٠)

وقال تعالى : ﴿ ولقدْ عَهِدْنَا إلى آدمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِىَ ولم نَجِدْ له عَزْماً * وإذْ قُلْنا للمَلائكةِ اسْجُدُوا لآدمَ فَسَجدُوا إلَّا إبليسَ أَبَى * فقُلنا يا آدمُ إنَّ هَذا عَدُوٌّ لَكَ

ولِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى * إنَّ لَكَ أَنْ لَا تَجُوعَ فيها ولا تَعْرَى * وأَنَّكَ لَا تَظْمأُ فيها ولا تَضْحى * فوَسْوَسَ إليه الشيطانُ قالَ يا آدمُ هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى * فأكَلَا مِنها فبدَتْ لَهُما سَوْءَاتُهما وطَفِقَا يَخْصِفانِ عليهما من وَرَقِ الجنةِ وعصَى آدمُ رَبَّه فغوى * ثم اجْتَباهُ رَبُّه فتابَ عليه وهَدَى * قال اهْبِطَا منها جَميعاً بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فإمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ منى هُدَىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاى فلا يَضِلُّ ولا يَشْقَى * ومَنْ أعْرَضَ عن ذِكْرى فإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ونَحْشُرُه يوم القيامةِ أعْمَى * قال رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أعْمَى وقد كنتُ بَصِيراً * قال كذلِكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وكذلِكَ اليومَ تُنْسَى ﴾ (سورة طه : ١١٥ – ١٢٦)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبأٌ عَظِيمٌ * أنتم عنه مُعْرِضُونَ * ما كانَ لى من عِلْمٍ بالملأ الأعْلَى إذْ يَخْتَصِمُونَ * إنْ يُوحَى إلَيَّ إلَّا أنَّما أنَا نَذيرٌ مُبِينٌ * إذْ قالَ رَبُّكَ للمَلائكةِ إنِّى خالقٌ بَشَراً من طِينٍ * فَإذَا سَوَّيْتُه ونَفَخْتُ فيه من رُوحِى فَقَعُوا لهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الملائكةُ كلُّهم أجْمَعُونَ * إلَّا إبليسَ اسْتَكْبَرَ وكانَ من الكَافِرِينَ * قالَ يا إبليسُ ما مَنَعكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كنتَ من العَالِينَ * قال أنَا خَيْرٌ منه خَلقْتنِى من نارٍ وخَلقْتَه من طِينٍ * قال فاخْرُجْ منها فإنَّكَ رَجِيمٌ * وإنَّ عليكَ لَعْنتى إلى يَوْمِ الدِّين * قال رَبِّ فأَنْظِرْنِى إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قال فإنَّكَ مِنَ المُنْظَرِينَ * إلى يوم الوَقْتِ المَعلُومِ * قال فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهم أجْمَعِينَ * إلَّا عِبادَكَ مِنهُمُ المُخْلَصِين * قال فالحَقُّ والحقَّ أقولُ * لأملأنَّ جَهَنَّمَ منْكَ ومِمَّنْ تَبِعَكَ منهُمْ أجْمعِينَ * قُلْ ما أسألُكُمْ عليه مِنْ أجْرٍ ومَا أنَا مِنَ المُتكلِّفِينَ * إنْ هُوَ إلَّا ذِكْرٌ للعَالِمِينَ * ولَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ (سورة ص : ٦٧ – ٨٨)

فهذا ذكر هذه القصة من مواضع متفرقة من القرآن ، وقد تكلمنا على ذلك كله فى التفسير ، ولنذكر ها هنا مضمون ما دلت عليه هذه الآيات الكريمات وما يتعلق بها من الأحاديث الواردة فى ذلك عن رسول الله ﷺ والله المستعان .

فأخبر تعالى أنه خاطب الملائكة قائلا لهم : ﴿ إنِّى جاعلٌ فى الأرْضِ خَلِيفةً ﴾[1] ،

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

أعلم بما يريد أن يخلق من آدم وذريته الذين يخلف بعضهم بعضاً ، كما قال : ﴿ وهُوَ الَّذى جعلكُمْ خلائِفَ الأرْضِ ﴾[1] ، [وقال : ﴿ ويَجْعلُكُمْ خُلَفاءَ الأرْضِ ﴾[2]][3] . .

فأخبرهم بذلك على سبيل التنويه بخلق آدم وذريته كما يخبر بالأمر العظيم قبل كونه ، فقالت الملائكة سائلين على وجه الاستكشاف والاستعلام عن وجه الحكمة لا على وجه الاعتراض والتنقص لبنى آدم والحسد لهم كما قد يتوهمه بعض جهلة المفسرين .

﴿ قالُوا أتجعلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فيها ويَسْفِكُ الدِّماءَ ﴾[4] قيل : علموا أن ذلك كائن بما رأوا ممن كان قبل آدم من الجن والبن ، قاله قتادة .

وقال عبد الله بن عمرو[5] : كانت الجن قبل آدم بألفى عام فسفكوا الدماء فبعث الله إليهم [جنداً من الملائكة][6] فطردوهم إلىٰ جزائر البحور . وعن ابن عباس نحوه ، وعن الحسن : أُلهموا ذلك .

وقيل : لما اطلعوا عليه من اللوح المحفوظ فقيل أطلعهم عليه هاروت وماروت عن ملَكٍ فوقهما يقال له السِّجِلُّ[7] . رواه ابن أبى حاتم عن أبى جعفر الباقر .

وقيل : لأنهم علموا أن الأرض لا يُخْلَقُ منها إلا مَنْ يكون بهذه المثابة غالباً

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٥ .

(٢) سورة النمل : ٦٢ .

(٣) ما بين المعقوفين ناقص فى : ط .

(٤) سورة البقرة : ٣٠ .

(٥) فى ط : عبد الله بن عمر . والتصويب من تفسير ابن كثير (١ / ٧٠) .

(٦) فى د : من الملائكة جنداً .

(٧) فى د : الشجل . وفى ط : الشجلى أو كلمة نحو هذا . وهى فى لسان العرب وتفسير ابن كثير : السجل . وهو ما أثبته هنا .

﴿ ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ﴾[1] أى نحن نعبدك دائماً لا يعصيك منا أحد ، فإن كان المراد بخلق هؤلاء أن يعبدوك فها نحن لا نفتر ليلاً ولا نهاراً ﴿ قال إنّى أعلمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أى أعلم من المصلحة الراجحة فى خَلْق هؤلاء ما لا تعلمون ، أى سيُوجد منهم الأنبياء والمرسلون والصديقون والشهداء والصالحون[2] .

ثم بيّن لهم شرف آدم عليهم فى العلم فقال : ﴿ وعَلَّم آدمَ الأسماءَ كُلَّها ﴾ .

(سورة البقرة : ٣١)

قال ابن عباس : هى هذه الأسماء التى يتعارف بها الناس : إنسان ودابة وأرض وسهل وبحر وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها . وفى رواية : علمه اسم الصحفة والقِدْر حتى الفسوة والفسية .

وقال مجاهد : علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شىء . وكذا قال سعيد بن جبير [وقتادة وغير واحد][3] .

وقال الربيع : علمه أسماء الملائكة .

وقال عبد الرحمن بن زيد : علمه أسماء ذريته .

والصحيح أنه علمه أسماء الذوات وأفعالها مكبرها ومصغرها كما أشار إليه ابن عباس رضى الله عنهما .

وذكر البخارى هنا ما رواه هو ومسلم من طريق سعيد وهشام عن قتادة عن أنس ابن مالك عن رسول الله ﷺ قال : « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء »[4] وذكر تمام الحديث .

---

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) زيادة من : د .

(٣) ناقص فى : د .

(٤) حديث أنس أخرجه البخارى (٨ / ١٦٠) (١٣ / ٣٩٢ ، ٤٧٧) ، ومسلم (١ / ١٨٠) ، وأحمد (٣ / ١١٦ ، ٢٤٤) ، وابن ماجه (٢ / ١٤٤٢) .

﴿ ثُمَّ عَرضَهُمْ على الملائكةِ فقالَ أَنْبِئُونِى بأَسْماءِ هَؤُلاءِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .
(سورة البقرة : ٣١)

قال الحسن البصرى : لما أراد الله خلق آدم قالت الملائكة : لا يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه ، فابتلوا بهذا ، وذلك قوله : ﴿ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وقيل غير ذلك كما بسطناه فى التفسير .

﴿ قَالُوا سُبْحَانكَ لَا عِلْمَ لَنَا إلاَّ ما عَلَّمْتَنا إنَّكَ أنتَ العليمُ الحكيمُ ﴾ .
(سورة البقرة : ٣٢)

أى سبحانك أن يحيط أحد بشىء من علمك من غير تعليمك كما قال : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إلَّا بما شَاءَ ﴾ (سورة البقرة : ٢٥٥)

﴿ قَالَ يا آدمُ أَنْبِئْهُمْ بأَسْمائِهِمْ فلمَّا أَنْبأَهُمْ بأَسْمائِهِمْ قالَ أَلَمْ أَقُلْ لكُمْ إنِّى أعلمُ غَيْبَ السماواتِ والأرضِ وأعلمُ مَا تُبْدُونَ وما كُنتم تَكْتُمُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٣٣)

أى أعلم السر كما أعلم العلانية ، وقيل إن المراد بقوله ﴿ وأعلم مَا تُبْدُونَ ﴾ ما قالوا : ﴿ أتَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ﴾ .

﴿ وما كنتُمْ تكتُمونَ ﴾ المراد بهذا الكلام إبليس حين أسَرَّ الكبر والنفاسة[1] على آدم عليه السلام . قاله سعيد بن جبير ومجاهد والسدى والضحاك والثورى واختاره ابن جرير . وقال أبو العالية[2] والربيع والحسن وقتادة ﴿ وَمَا كنتُم تكتُمونَ ﴾ قولهم : لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا أعلم منه وأكرم عليه منه .

وقوله : ﴿ وإذْ قُلْنَا للمَلائكةِ اسْجُدُوا لِآدمَ فَسجدُوا إلَّا إبليسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ ﴾ (سورة البقرة : ٣٤)

---

(١) فى ط : والتخيرة .

(٢) هو : رفيع بن مهران الرياحى البصرى ، فقيه مقرىء ، ليس أحد أعلم بالقرآن بعد الصحابة من أبى العالية ، وثقه أبو زرعة وأبو حاتم ، مات عام ٩٣ هـ (تذكرة الحفاظ ١ / ٦١) .

هذا إكرام عظيم من الله تعالى لآدم حين خلقه بيده ونفخ فيه من روحه كما قال : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُه ونفخْتُ فيه مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[1] .

فهذه أربع تشريفات : خَلْقه له بيده الكريمة ، ونفخه فيه من روحه ، وأمره ملائكته بالسجود له ، وتعليمه أسماء الأشياء .

ولهذا قال له موسى الكليم حين اجتمع هو وإياه فى الملأ الأعلى وتناظرا كما سيأتى « أنت آدم أبو البشر الذى خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ، وعلّمك أسماء كلّ شىء » .

وهكذا يقول له أهل المحشر يوم القيامة كما تقدم[2] وكما سيأتى إن شاء الله تعالى .

وقال فى الآية الأخرى : ﴿ ولقدْ خلقناكُم ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلنا للملائكةِ اسْجدُوا لِآدمَ فَسَجدُوا إِلَّا إبليسَ لم يكُنْ مِنْ الساجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعكَ أَنْ لَا تَسْجُدَ إِذْ أمرتُكَ قَالَ أنَا خَيْرٌ منهُ خَلقْتَنِى من نَارٍ وخَلقْتَه من طِينٍ ﴾ (سورة الأعراف ١١ ، ١٢)

قال الحسن البصرى : قاس إبليس وهو أول من قاس[3] .

وقال محمد بن سيرين : أول من قاس إبليس ، وما عُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس[4] . رواهما ابن جرير .

ومعنى هذا أنه نظر نفسه بطريق المقايسة بينه وبين آدم فرأى نفسه أشرف من آدم فامتنع من السجود له مع وجود الأمر له ولسائر الملائكة بالسجود .

---

(١) سورة الحجر : ٢٩ .

(٢) سبق تخريجه صفحة ١٩٢ .

(٣) أخرجه الدارمى فى سننه (١ / ٥٨) وعزاه ابن كثير فى التفسير (٢ / ٢٠٣) لابن جرير الطبرى فى تفسيره وقال : إسناده صحيح .

(٤) أخرجه الدارمى (١ / ٥٨) وعزاه ابن كثير (٢ / ٢٠٣) لابن جرير وقال : إسناده صحيح .

والقياس إذا كان مقابلاً بالنص كان فاسد الاعتبار ، ثم هو فاسد فى نفسه ، فإن الطين أنفع وخير من النار فإن الطين فيه الرزانة والحلم والأناة والنمو ، والنار فيها الطيش والخفة والسرعة والإحراق .

ثم آدم شرَّفه الله بخلقه له بيده ونفخه فيه من روحه ، ولهذا أمر الملائكة بالسجود له ، كما قال :

﴿ وإذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلائكةِ إنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ * فإذَا سَوَّيْتُه ونَفختُ فيهِ مِنْ رُوحِى فقعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجدَ الملائكةُ كلُّهُمْ أجْمعُونَ * إلَّا إبليسَ أبَى أنْ يكُونَ مَعَ السَّاجِدِين * قَالَ يا إبليسُ ما لَكَ ألَّا تكُونَ مع السَّاجدِينَ * قَالَ لَمْ أكُنْ لِأسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلقْتَهُ من صَلصالٍ مِنْ حَمأٍ مَسْنُونٍ * قالَ فاخْرُجْ مِنها فإنَّكَ رَجِيمٌ * وإنَّ عليكَ اللعنةَ إلى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (سورة الحجر : ٢٨ – ٣٥)

استحق هذا من الله تعالى لأنه استلزم تنقصه لآدم وازدراؤه به وترفعه عليه مخالفة الأمر الإلهى ومعاندة الحق فى النص على آدم على التعيين ، وشرع فى الاعتذار بما لا يجدى عنه شيئاً ، وكان اعتذاره أشد من ذنبه كما قال تعالى فى سورة سبحان :

﴿ وإذْ قُلْنَا للملائكةِ اسْجدُوا لِآدمَ فسجدُوا إلَّا إبليسَ قَالَ ءَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلقْتَ طِيناً * قَالَ أرأَيْتَكَ هَذَا الذى كَرَّمْتَ علىَّ لَئِنْ أخَّرْتَنِ إلى يَوْم القيامةِ لَأحْتنِكَنَّ ذُرِيَّتَهُ إلَّا قَلِيلاً * قَالَ اذهبْ فمَنْ تَبِعكَ منهم فإنَّ جَهنَّم جَزاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُوراً * و استَفْزِزْ مَنِ اسْتَطعْتَ مِنْهم بصَوْتِكَ وأَجْلِبْ عليهِم بِخَيْلِكَ ورَجْلِكَ وشَارِكْهُمْ فى الأموالِ والأولادِ وعِدْهُمْ ومَا يَعِدُهُم الشيطانُ إلَّا غُروراً * إنَّ عِبادِى ليسَ لَكَ عليهِمْ سُلْطَانٌ وكفَى بربِّكَ وَكِيلاً ﴾ (سورة الإسراء : ٦١ – ٦٥)

وقال فى سورة الكهف : ﴿ وإذْ قُلْنَا للمَلائكةِ اسْجُدُوا لِآدمَ فَسَجدُوا إلَّا إبليسَ كَانَ مِنَ الجِنِّ فَفسَقَ عن أمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وذُرِّيَّتَهُ أوْلياءَ مِنْ دُونِى ﴾ .

(سورة الكهف : ٥٠)

أى خرج عن طاعة الله تعالى عمداً وعناداً واستكباراً عن امتثال أمره

وما ذاك إلا لأنه خانه طبعه ومادته الخبيثة أحوج ما كان إليها ، فإنه مخلوق من نار كما قال وكما قدمنا[1] فى صحيح مسلم عن عائشة عن رسول الله ﷺ قال : « خُلقت الملائكةُ من نور ، وخُلقت الجانُّ من مارج من نار ، وخُلق آدم مما وُصِف لكم » .

قال الحسن البصرى : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين قط .

وقال شهر بن حوشب : كان من الجن فلما أفسدوا فى الأرض بعث الله إليهم جنداً من الملائكة فقتلوهم وأجلوهم إلى جزائر البحار ، وكان إبليس ممن أُسِرَ فأخذوه معهم إلى السماء فكان هناك ، فلما أُمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه .

وقال ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة وسعيد بن المسيب وآخرون : كان إبليس رئيس الملائكة بالسماء الدنيا .

قال ابن عباس : وكان اسمه « عزازيل » . وفى رواية عنه[2] « الحارث » .

قال النقاش : وكنيته « أبو كردوس » .

قال ابن عباس : وكان من حى من الملائكة يقال لهم الجن ، وكانوا خزان الجنان ، وكان من أشرفهم ومن أكثرهم علماً وعبادة ، وكان من أُولى الأجنحة الأربعة فمسخه الله شيطاناً رجيماً .

وقال فى سورة ص : ﴿ **إذْ قَالَ رَبُّكَ للمَلائكةِ إِنِّى خَالِقٌ بَشراً من طِينٍ * فإذَا سَوَّيْتُه ونفَخْتُ فِيهِ من رُوحِى فقعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجدَ الملائكةُ كُلُّهم أجْمعُونَ * إلَّا إبليسَ استَكبرَ وكانَ من الكافِرينَ * قَالَ يا إبليسُ ما مَنعكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خلقْتُ بِيدَىَّ أستكبْرتَ أمْ كنتَ من العَالِينَ * قَالَ أنَا خَيْرٌ منه خلَقْتَنى من نارٍ وخلقْتَهُ من طِينٍ * قَالَ فاخْرُجْ منها فإنَّكَ رَجيمٌ * وإنَّ عليكَ لَعْنتِى إلى يَوْمِ الدِّينِ * قال رَبِّ فأنْظِرْنِى إلى يَوْمِ يُبْعثُونَ * قال فإنَّكَ من المُنْظرِينَ * إلى يَوْمِ الوقْتِ المعلُومِ * قالَ فَبِعزَّتِكَ لَأُغوينَّهم أجْمعِينَ * إلَّا عِبادَكَ مِنهُم المُخلصِينَ * قالَ فالحقُّ والحقَّ أقُولُ * لَأملأنَّ جهنَّمَ مِنْكَ ومِمَّنْ تَبِعكَ مِنهُمْ أَجْمعِينَ** ﴾ (سورة ص : ٧١ - ٨٥)

(١) فى ط : قدرنا .

(٢) فى ط : عن .

وقال فى سورة الأعراف : ﴿ **قَالَ فَبِما أَغْوَيْتنى لأَقْعُدنَّ لهم صِراطَكَ المستقيمَ * ثُمَّ لآتينَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أيْديهِمْ ومِنْ خَلْفِهم وعَنْ أيْمانِهِمْ وعَنْ شَمائِلِهِمْ ولا تَجِدُ أكثَرَهُمْ شاكرِينَ** ﴾ (سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧)

أى بسبب إغوائك إياى لأقعدن لهم كل مرصد ، ولآتينهم من كل جهة منهم ، فالسعيد مَنْ خالفه والشقى مَنْ اتبعه .

وقال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم . حدثنا أبو عقيل – هو عبد الله بن عقيل الثقفى – حدثنا موسى بن المسيب عن سالم بن أبى الجعد عن سبرة بن أبى فاكه قال : سمعت رسول الله ﷺ قال : « إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه » وذكر الحديث كما قدمناه فى صفة إبليس[1] .

وقد اختلف المفسرون فى الملائكة المأمورين بالسجود لآدم ، أَهُمْ جميع الملائكة كما دل عليه عموم الآيات وهو قول الجمهور ؟ أو المراد بهم ملائكة الأرض كما رواه ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس ، وفيه انقطاع وفى السياق نكارة وإن كان بعض المتأخرين قد رجحه .

ولكن الأظهر من السياقات الأول ، ويدل عليه الحديث « وأسجد له ملائكته » وهذا عموم أيضاً والله أعلم .

وقوله تعالى لإبليس (**اهْبِطْ مِنْها**) و (**اخْرُجْ مِنْها**) دليل على أنه كان فى السماء فأُمر بالهبوط منها والخروج من المنزلة والمكانة التى كان قد نالها بعبادته وتشبهه بالملائكة فى الطاعة والعبادة ثم سُلب ذلك بكبره وحسده ومخالفته لربه فأُهبط إلى الأرض مذؤماً مدحوراً .

وأمر الله آدم عليه السلام أن يسكن هو وزوجته الجنة فقال : ﴿ **وقُلْنا يا آدمُ اسْكُنْ أنتَ وزوجُك الجنةَ وكُلا مِنْها رَغَداً حيثُ شِئْتُما ولا تَقْرَبا هذه الشَّجرةَ فتَكُونا مِنَ الظَّالِمينَ** ﴾ (سورة البقرة : ٣٥)

---

(١) تقدم هذا الحديث وسبق تخريجه صفحة ١٨٥ .

وقال فى الأعراف : ﴿ قَالَ اخْرُجْ مِنْها مَذْؤُماً مَدْحُوراً لَمن تَبِعكَ مِنهمْ لَأملأَنَّ جهنَّمَ منكُمْ أجمَعِينَ * ويَا آدَمُ اسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجنةَ فكُلَا مِنْ حيثُ شِئْتُما ولَا تَقْربَا هَذِه الشجرةَ فتكُونَا مِنَ الظالمين ﴾ (سورة الأعراف : ١٨ ، ١٩)

وقال تعالى : ﴿ وإذْ قُلْنَا للمَلائكةِ اسْجُدوا لِآدمَ فسجدوا إلَّا إبليسَ أَبَى * فَقُلْنَا يا آدمُ إنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوْجِكَ فَلَا يُخرجنَّكُمَا من الجَنَّةِ فتَشْقَى * إنَّ لك ألَّا تَجُوعَ فِيهَا ولَا تَعْرَى * وأنَّكَ لَا تَظْمأُ فِيهَا ولَا تَضْحَى ﴾ (سورة طه : ١١٦ - ١١٩)

وسياق هذه الآيات يقتضى أن خَلْق حواء كان قبل دخول آدم الجنة لقوله : ﴿ ويَا آدَمُ اسْكُنْ أنتَ وزَوجُكَ الجنةَ ﴾ ، وهذا قد صرح به [ابن إسحاق بن يسار][1] وهو ظاهر هذه الآيات .

ولكن حكى السدى عن أبى صالح وأبى مالك عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن أناس من الصحابة أنهم قالوا : أُخرج إبليس من الجنة ، وأُسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشى ليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها : ما أنتِ ؟ قالت : امرأة . قال : ولِمَ خُلِقت ؟ قالت : لتسكن إلىَّ . فقالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ من علمه - : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء . قالوا : ولِمَ كانت حواء ؟ قال : لأنها خُلِقَتْ من شيء حىٍّ[2] .

وذكر محمد بن إسحاق عن ابن عباس أنها خُلقت من ضلعه الأقصر الأيسر وهو نائم ولَأمَ[3] مكانه لحماً .

---

(١) فى ط : إسحاق بن بشار . وهو الإمام محمد بن إسحاق أحد أوعية العلم حَبْراً فى معرفة المغازى والسير ، توفى ٢٥١ هـ .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١ / ٢٢٩) والبيهقى فى « الأسماء والصفات » (٢ / ١٢٧) وعزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (١ / ٥٢) لابن أبى حاتم وابن عساكر أيضاً .

(٣) لأم مكانه لحماً : أى نبت مكانه لحماً مجتمعاً متضاماً .

ومصداق هذا فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ﴾ الآية . (سورة النساء : ١)

وفى قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ الآية (سورة الأعراف : ١٨٩)

وسنتكلم عليها فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وفى الصحيحين من حديث زائدة عن ميسرة الأشجعى عن أبى حازم عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خُلِقَتْ من ضلع ، وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه ، فإن ذهبتَ تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً » لفظ البخارى[1] .

* * *

وقد اختلف المفسرون فى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ .

فقيل : هى الكرم . ورُوى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والشَّعْبى[2] وجعدة بن هبيرة ومحمد بن قيس والسدى فى رواية عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة قال : وتزعم يهود أنها الحنطة .

وهذا مروى عن ابن عباس والحسن البصرى ووهب بن منبه وعطية العوفى وأبى مالك ومحارب بن دثار[3] وعبد الرحمن بن أبى ليلى .

---

(١) أخرجه البخارى (٦ / ٣٦٣) (٩ / ٢٥٣) ، ومسلم (٢ / ١٠٩١) عن أبى هريرة ، وقد أخرجه أحمد من طرق أخرى عنه (٢ / ٤٢٨ ، ٤٤٩ ، ٤٩٧ ، ٥٣٠) .

(٢) هو : عامر بن شراحيل الشعبى ، كان إماماً حافظاً فقيهاً ، وُلد فى خلافة عمر ، علّامة التابعين . (تذكرة الحفاظ ١ / ٧٩ – ٨٨) .

(٣) هو : أبو المطرف السدوسى ، قاضى الكوفة ، كان فقيهاً فاضلاً حسن السيرة زاهداً من أفرس الناس ، عُزِل عن القضاء وأُعِيد وتُوفِّى وهو قاضٍ ، توفى ١١٦ هـ . (الأعلام ٥ / ٢٨١) .

قال وهب : والحبة[1] منه ألين من الزبد وأحلى من العسل .

وقال الثورى عن أبى حصين عن أبى مالك ﴿ **وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ** ﴾ : هى النخلة . وقال ابن جريج عن مجاهد : هى التينة . وبه قال قتادة وابن جريج .

وقال أبو العالية : كانت شجرة مَنْ أكل منها أحدث ولا ينبغى فى الجنة حدث .

وهذا الخلاف قريب ، وقد أبهم الله ذِكْرها وتعيينها ، ولو كان فى ذكرها مصلحة تعود إلينا لَعَيَّنها لنا كما فى غيرها من المحالّ التى تُبهم فى القرآن .

* * *

وإنما الخلاف الذى ذكروه فى أن هذه الجنة التى دخلها آدم هل هى فى السماء أو فى الأرض هو الخلاف الذى ينبغى فصله والخروج منه ، والجمهور على أنها هى التى فى السماء وهى جنة المأوى لظاهر الآيات والأحاديث كقوله تعالى : ﴿ **وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ** ﴾ .

والألف واللام ليست للعموم ولا لمعهود لفظى ، وإنما تعود على معهود ذهنى وهو المستقر شرعاً من جنة المأوى ، وكقول موسى عليه السلام لآدم عليه السلام « علام أخرجتنا ونفسك من الجنة » الحديث ، كما سيأتى الكلام عليه .

وروى مسلم فى صحيحه من حديث أبى مالك الأشجعى – واسمه سعد بن طارق – عن أبى حازم – سلمة بن دينار – عن أبى هريرة . وأبو مالك عن ربعى عن حذيفة قالا : قال رسول الله ﷺ : « يجمع الله الناس ، فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة . فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم »[2] وذكر الحديث بطوله .

---

(١) فى د : والخبر .

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه (١ / ١٨٦) ، والحاكم فى مستدركه (٤ / ٥٨٨) وقال : « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » . وقد وهم الحاكم فى ذلك فإن مسلماً قد أخرج هذا الحديث من طريق أبى مالك الأشجعى به . والله أعلم .

وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة فى الدلالة على أنها جنة المأوى وليست تخلو عن نظر .

وقال آخرون : بل الجنة التى أُسْكِنها آدم لم تكن جنة الخلد ، لأنه كُلِّف فيها أن لا يأكل من تلك الشجرة ولأنه نام فيها وأخرج منها ودخل عليه إبليس فيها ، وهذا مما ينافى أن تكون جنة المأوى .

وهذا القول محكى عن أبى بن كعب وعبد الله بن عباس ووهب بن منبه وسفيان بن عيينة واختاره ابن قتيبة[1] فى « المعارف » والقاضى منذر بن سعيد البلوطى[2] فى تفسيره وأفرد له مصنفاً على حدة . وحكاه عن أبى حنيفة الإمام وأصحابه رحمهم الله .

ونقله أبو عبد الله محمد بن عمر الرازى بن خطيب الرىّ[3] فى تفسيره عن أبى القاسم البلخى[4] وأبى مسلم الأصبهانى ، ونقله القرطبى فى تفسيره عن المعتزلة والقدرية ، وهذا القول هو نص التوراة التى بأيدى أهل الكتاب ، وممن حكى الخلاف فى هذه المسألة أبو محيد بن حزم فى « الملل والنحل » وأبو محمد بن عطية[5] فى تفسيره

---

(١) هو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى أبو محمد ، من أئمة الأدب ، وُلد ببغداد ٢١٣ هـ ، ولى قضاء بغداد وتوفى بها ٢٧٦ هـ ، له مصنفات وكتب كثيرة . (الأعلام ٤ / ١٣٧) .

(٢) هو : أبو الحكم منذر بن سعيد قاضى قضاة الأندلس ، كان فقيهاً خطيباً شاعراً فصيحاً ، وُلد عام ٢٧٣ هـ ، أخذ العلم عن علماء مكة ومصر ، تفسيره « الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله » ، توفى عام ٣٥٥ هـ عن ٨٢ عاماً (الأعلام ٧ / ٢٩٤) .

(٣) هو الإمام المفسر فخر الدين الرازى صاحب « مفاتيح الغيب » ، أصله من طبرستان ، ومولده فى الرىّ عام ٥٤٤ هـ ، توفى بهراة عام ٦٠٦ هـ عن ٦٢ عاماً (الأعلام ٦ / ٣١٣) .

(٤) هو : عبد الله بن أحمد الكعبى ، أحد أئمة المعتزلة طائفة الكعبية ، أقام ببغداد مدة طويلة وتوفى ببلخ عام ٣١٩ هـ عن ٤٦ عاماً ، له مصنفات فى التفسير وعلم الكلام (الأعلام ٤ / ٦٥) .

(٥) هو : عبد الله بن عطية ، عالم بالتفسير ، مقرىء من أهل دمشق ، كان إمام مسجد باب الجابية ، له تفسير ابن عطية ، توفى عام ٣٨٣ هـ (الأعلام ٤ / ١٠٣) .

وأبو عيسى الرماني[١] فى تفسيره وحكى عن الجمهور الأول ، وأبو القاسم الراغب[٢] والقاضى[٣] الماوردى[٤] فى تفسيره فقال :

« واختُلِف فى الجنة التى أُسكناها يعنى آدم وحواء على قولين : أحدهما أنها جنة الخلد ، الثانى : أنها جنة أعدها الله لهما وجعلها دار ابتلاء وليست جنة الخلد التى جعلها دار جزاء . ومن قال بهذا اختلفوا على قولين : أحدهما أنها فى السماء لأنهما أهبطهما منها وهذا قول الحسن . والثانى أنها فى الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهى عن الشجرة التى نهيا عنها دون غيرها من الثمار ، وهكذا قول ابن يحيى[٥] وكان ذلك بعد أن أُمِر إبليس بالسجود لآدم ، والله أعلم بالصواب من ذلك » .

هذا كلامه ، فقد تضمن كلامه حكاية أقوال ثلاثة ، وأشعر كلامه أنه متوقف فى المسألة .

ولقد[٦] حكى أبو عبد الله الرازى فى تفسيره فى هذه المسألة أربعة أقوال ،

---

(١) هكذا جاءت كنيته هنا ، وهو أبو الحسن على بن عيسى الرمانى : مفسر معتزلى ، من كبار النحاة ، أصله من سامراء ومولده ووفاته ببغداد (٢٩٦ - ٣٨٤ هـ) له نحو مائة مصنف منها « النكت فى إعجاز القرآن » .

(٢) هو : الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهانى ، أديب من الحكماء العلماء ، سكن بغداد ، اشتهر حتى كان يُقرن بالإمام الغزالى ، له كتب قيمة بها فوائد كثيرة . توفى عام ٥٠٢ هـ (الأعلام ٢ / ٢٥٥) .

(٣) ناقصة فى : د .

(٤) هو : على بن محمد أبو الحسن البصرى ، أقضى قضاة عصره ، ولد بالبصرة ٣٦٤ هـ ، له مكانة رفيعة عند الخلفاء ، وفاته ببغداد ٤٥٠ هـ ، كتابه فى التفسير يُسمَّى « النكت والعيون » ، ومن أشهر كتبه « أدب الدنيا والدين » (الأعلام ٤ / ٣٢٧) .

(٥) هكذا فى : د ، ط . وهى فى « حادى الأرواح » لابن القيم (ص ٢١) طبعة المدنى : ابن بحر .

(٦) فى د : ولهذا .

هذه الثلاثة التى أوردها الماوردى ورابعها الوقف ، وحكى القول بأنها فى السماء وليست جنة المأوى عن أبى على الجبائى[١] .

وقد أورد أصحاب القول الثانى سؤالاً يحتاج مثله إلى جواب فقالوا : لا شك أن الله سبحانه وتعالى طرد إبليس حين امتنع من السجود عند الحضرة الإلهية وأمره بالخروج عنها والهبوط منها ، وهذا الأمر ليس من الأوامر الشرعية بحيث يمكنه مخالفته ، وإنما هو أمر قدرى لا يُخالف ولا يُمانع ، ولهذا قال :﴿ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُماً مَدْحُوراً ﴾[٢] وقال : ﴿ فَاهْبِطْ مِنها فَمَا يكُونُ لَكَ أَنْ تَتكبَّرَ فِيها ﴾[٣] وقال : ﴿ اخْرُجْ مِنْهَا فإنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[٤] .

الضمير عائد إلى الجنة أو السماء أو المنزلة ، وأيًّا ما كان فمعلوم أنه ليس له الكون قدراً فى المكان الذى طُرد عنه وأُبعد منه لا على سبيل الاستقرار ولا على سبيل المرور والاجتياز .

قالوا : ومعلوم من ظاهر سياقات القرآن أنه وسوس لآدم وخاطبه بقوله له : ﴿ هَلْ أَدُلُّكَ على شَجَرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلَى ﴾[٥] وبقوله : ﴿ مَا نَهاكُمَا ربُّكُما عن هذهِ الشجرةِ إلَّا أَنْ تكُونَا مَلكَيْنِ أَوْ تكُونَا من الخالِدِينَ * وقَاسَمَهُمَا إنِّى لكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدلَّاهُمَا بغُرُورٍ ﴾ الآية (سورة الأعراف : ٢٠ - ٢٢)

وهذا ظاهر فى اجتماعه معهما فى جنتهما . وقد أُجيبوا عن هذا بأنه لا يمتنع أن يجتمع بهما فى الجنة على سبيل المرور فيها لا على سبيل الاستقرار بها ، أو أنه وسوس لهما وهو على باب الجنة أو من تحت السماء . وفى الثلاثة نظر والله أعلم .

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائى ، من أئمة المعتزلة ، إليه نسبة الطائفة الجبائية ، ولد (٢٣٥ هـ) ، اشتهر بالبصرة ، ودفن بجبى التى ينسب إليها ، توفى ٣٠٣ هـ (الأعلام ٦ / ٢٥٦) .

(٢) سورة الأعراف : ١٨ .

(٣) سورة الأعراف : ١٣ .

(٤) سورة الحجر : ٣٤ .

(٥) سورة طه : ١٢٠ .

ومما احتج به أصحاب هذه المقالة ما رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى الزيادات عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن البصرى عن عتى بن ضمرة[1] السعدى عن أُبىّ بن كعب قال : إن آدم لما احتضر[2] اشتهى قطفاً من عنب الجنة ، فانطلق بنوه ليطلبوه له ، فلقيتهم الملائكة فقالوا : أين تريدون يا بنى آدم ؟ فقالوا : إن أبانا اشتهى قطفاً من عنب الجنة . فقالوا لهم : ارجعوا فقد كُفِيتموه . فانتهوا إليه فقبضوا روحه وغسَّلوه وحنَّطوه وكفَّنوه ، وصلى عليه جبريل [ومن خلفه من][3] الملائكة ودفنوه وقالوا : هذه سنتكم فى موتاكم »[4] . وسيأتى الحديث بسنده وتمام لفظه عند ذكر وفاة آدم عليه السلام .

قالوا : فلولا أنه كان الوصول إلى الجنة التى كان فيها آدم التى اشتهى منها القطف ممكناً لما ذهبوا يطلبون[5] ذلك ، فدل على أنها فى الأرض لا فى السماء والله تعالى أعلم .

قالوا : والاحتجاج بأن الألف واللام فى قوله : ﴿ **ويَا آدَمُ اسْكُنْ أنتَ وزَوْجُكَ الجنةَ** ﴾ ، [لم يتقدم عهد يعود عليه فهو المعهود الذهنى][6] مُسلَّم ، ولكن هو ما دلَّ

---

(١) فى د ، ط : يحيى بن ضمرة . والصواب هو ما أثبته هنا ، ذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٧ / ٤١) وقال : « روى عن أُبىّ بن كعب روى عنه الحسن سمعت أبى يقول ذلك » . وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ١٩٩) : ثقة .

(٢) أى كان عند الاحتضار عند الموت .

(٣) فى د : وبنوه خلف . والحديث هنا أعتقد أنه مذكور بالمعنى فلفظه ليس هكذا فيما وقفت عليه .

(٤) أخرجه من هذا الطريق عبد الله بن الإمام أحمد فى زوائده على مسند أبيه (٥ / ١٣٦) موقوفاً على أُبىّ بن كعب ، وقد أخرجه مرفوعاً الطيالسى فى مسنده (٢ / ٢٤) ، والحاكم (١ / ٣٤٤) ، والبيهقى فى السنن الكبرى (٣ / ٤٠٤) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن البصرى . قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٥) فى د : يتطلبون .

(٦) ما بين القوسين ناقص فى : د .

عليه سياق الكلام فإن آدم خُلِق من الأرض ولم يُنقل أنه رُفع إلى السماء وخلق ليكون فى الأرض . وبهذا أعلم الرب الملائكة حيث قال : ﴿ **إنى جَاعِلٌ فى الأرضِ خَلِيفَةً** ﴾ (سورة البقرة : ٣٠)

قالوا : وهذا كقوله تعالى : ﴿ **إنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أصحابَ الجنةِ** ﴾ .

(سورة القلم : ١٧)

فالألف واللام ليس للعموم ولم يتقدم معهود لفظى ، وإنما هى للمعهود الذهنى الذى دل عليه السياق وهو البستان .

قالوا : وذكر الهبوط لا يدل على النزول من السماء ، قال الله تعالى : ﴿ **قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بسلَامٍ مِنَّا وبركَاتٍ عليكَ وعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ** ﴾ الآية (سورة هود : ٤٨)

وإنما كان فى السفينة[1] حين استقرت على الجودى[2] ونضب الماء عن وجه الأرض أُمر أن يهبط إليها هو ومَنْ معه مُبَاركاً عليه وعليهم .

وقال الله تعالى : ﴿ **اهْبِطُوا مِصْراً فإنَّ لكُمْ ما سَأَلْتُمْ** ﴾ الآية (سورة البقرة : ٦١)

وقال تعالى : ﴿ **وإنَّ مِنها لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ** ﴾ الآية (سورة البقرة : ٧٤)

وفى الأحاديث واللغة من هذا كثير .

قالوا : ولا مانع بل هو الواقع أن الجنة التى أُسْكِنها آدم كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ، ذات أشجار وثمار وظلال ونعيم ونضرة وسرور كما قال تعالى : ﴿ **إنَّ لَكَ ألَّا تجُوعَ فِيهَا ولَا تَعْرَى** ﴾ أى لا يذل باطنك بالجوع ولا ظاهرك بالعرى ﴿ **وأنَّكَ لَا تَظمأُ فِيهَا ولَا تَضْحى** ﴾[3] أى لا يمس باطنك حر الظمأ ولا ظاهرك حر الشمس ، ولهذا قرن بين هذا وهذا وبين هذا وهذا لما بينهما من الملاءمة .

---

(١) فى د : السفين . والسفين جمع سفينة وليس مناسباً هنا .

(٢) الجودى جبل استوت عليه سفينة نوح بعد انحسار الفيضان ، وقيل أنه بالجزيرة وقيل أنه بالموصل وقيل الطور . وقد ذهبت بعض الأبحاث الحديثة أنه جبل أرارات بالأناضول فى تركيا .

(٣) سورة طه : ١١٨ ، ١١٩ .

فلما كان منه ما كان من أكله من الشجرة التى نهى عنها أهبط إلى أرض الشقاء والتعب والنصب والكدر[1] والسعى والنكد ، والابتلاء والاختبار والامتحان ، واختلاف السكان ديناً وأخلاقاً وأعمالاً وقصوداً وإرادات وأقوالاً وأفعالاً .

كما قال تعالى : ﴿ **ولكُمْ فى الأرْضِ مُستقرٌ ومتاعٌ إلى حِينٍ** ﴾[2] ولا يلزم من هذا أنهم كانوا فى السماء .

كما قال تعالى : ﴿ **وقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِى إسرائيلَ اسْكُنُوا الأرضَ فإذَا جَاءَ وَعْدُ الآخرةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً** ﴾[3] ومعلوم أنهم كانوا فيها لم يكونوا فى السماء .

قالوا : وليس هذا القول مُفَرَّعاً على قول مَنْ ينكر وجود الجنة والنار اليوم[4] ، ولا تلازم بينهما ، فكل مَنْ حُكِى عنه هذا القول من السلف وأكثر الخلف ممن يثبت وجود الجنة والنار اليوم ، كما دلت عليه الآيات والأحاديث الصحاح كما سيأتى إيرادها فى موضعها ، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب .

وقوله تعالى : ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْها** ﴾ أى عن الجنة (**فَأخرجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾[5] أى من النعيم والنضرة والسرور إلى دار التعب والكدّ والنكد ، وذلك بما وسوس لهما وزينّه فى صدورهما .

كما قال تعالى : ﴿ **فَوسْوَسَ لَهُمَا الشيطانُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُورِىَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا وقالَ ما نَهَاكُمَا رَبُّكُما عن هذهِ الشجرةِ إلَّا أَنْ تكُونَا مَلكَيْنِ أو تكُونَا من الخَالِدِينَ** ﴾
(سورة الأعراف : ٢٠)

---

(١) فى د : واللدد .

(٢) سورة البقرة : ٣٦ .

(٣) سورة الإسراء : ١٠٤ .

(٤) ناقصة فى : د .

(٥) سورة البقرة : ٣٦ .

[يقول ما نهاكما عن أكل هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين][1] أى ولو أكلتما منها لصِرْتُما كذلك (**وقَاسَمَهُمَا**) أى حلف لهما على ذلك ﴿ **إنّى لكُمَا لَمِنَ النّاصِحِينَ** ﴾ (سورة الأعراف : ٢١)

كما قال فى الآية الأخرى : ﴿ **فَوسْوَسَ إليهِ الشّيْطانُ قالَ يا آدَمُ هَلْ أدلُّكَ على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لاَ يَبْلَى** ﴾ (سورة طه : ١٢٠)

أى هل أدلك على الشجرة التى إذا أكلتَ منه حصل لك الخلدُ فيما أنت فيه من النعيم واستمررت فى مُلْكٍ لا يبيد ولا ينقضى ، وهذا من [التغرير و][2] التزوير والإخبار بخلاف الواقع .

والمقصود أن قوله (**شجرةِ الخُلْد**) التى إذا أكلتَ منها خلدت ، وقد تكون هى الشجرة التى قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الرحمن بن مهدى . حدثنا شعبة عن أبى الضحاك سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة شجرةً يسير الراكب فى ظلّها مائة عام لا يقطعها شجرة الخلد » .

وكذا رواه أيضاً عن غندر وحجاج عن شعبة[3] . ورواه أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شعبة أيضاً به[4] . قال غندر : قلت لشعبة : هى شجرة الخلد ؟ قال : ليس فيها هى . تفرد به الإمام أحمد[5] .

وقوله : ﴿ **فَدلَّاهُمَا بِغُرورٍ فلمَّا ذَاقَا الشّجرةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءاتُهُمَا وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عليهما مِنْ وَرَقِ الجنةِ** ﴾ (سورة الأعراف : ٢٢)

---

(١) ما بين القوسين ناقص فى : د .

(٢) ناقص فى : د .

(٣) حديث أبى هريرة من طريق شعبة أخرجه أحمد (٢ / ٤٥٥ ، ٤٦٢) .

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسى فى مسنده (١٠ / ٣٣٢) .

(٥) رُوِى حديث أبى هريرة من طرق أخرى من طريق الأعرج عنه فى البخارى (٨ / ٦٢٧) وأحمد (٢ / ٢٥٧ ، ٤١٨) ومسلم (٤ / ٢١٧٥) .

[كما قال فى « طه » ﴿ فأكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءاتُهُمَا وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الجنةِ ﴾][1] (سورة طه : ١٢١)

وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهى التى حدته على أكلها والله أعلم . وعليه يُحمل الحديث الذى رواه البخارى : حدثنا بشر بن محمد[2] . حدثنا عبد الله . أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ نحوه ، يعنى[3] « لولا بنو إسرائيل لم يخنز[4] اللحم ، ولولا حواء لم تَخُنْ أنثى زوجها » .

تفرد به من هذا الوجه وأخرجاه[5] فى الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبى هريرة به ، ورواه أحمد ومسلم عن هارون بن معروف عن ابن وهب[6] عن عمرو بن الحارث عن أبى يونس عن أبى هريرة[7] .

وفى كتاب التوراة التى بأيدى[8] أهل الكتاب أن الذى دلَّ حواء على الأكل من الشجرة هى الحية ، وكانت من أحسن الأشكال وأعظمها ، فأكلت حواء [عن قولها][9] وأطعمت آدم عليه السلام ، وليس فيها ذكر لإبليس ، فعند ذلك انفتحت

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص فى : د .

(٢) فى د : بسر بن محمد . وقد ذكر ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل (٢ / ٣٦٤) : بشر بن محمد المروزى السختيانى روى عن ابن المبارك .

(٣) ليست موجودة فى الأصول وزدناها من صحيح البخارى .

(٤) فى د : يحر . والمعنى : يفسد اللحم وينتن . وذلك لأنهم كانوا يدخرون اللحم ويتركونه فيؤدى ذلك لفساده وتغير رائحته .

(٥) ناقصة فى : د .

(٦) فى ط : أبى وهب . وهو خطأ ، بل هو عبد الله بن وهب .

(٧) أخرجه أحمد (٢ / ٣٠٤ ، ٣١٥ ، ٣٤٩) ، والبخارى (٦ / ٣٦٣ ، ٤٣٠) ، ومسلم (٢ / ١٠٩٢) .

(٨) فى ط : بين أيدى .

(٩) فى د : من قوتها .

أعينهما وعلما أنهما عريانان فوصلا من ورق التين وعملا ميازر[1] ، وفيها أنهما كانا عريانين .

وكذا قال وهب بن منبه : كان لباسهما نوراً على فرجه وفرجها .

وهذا الذى فى هذه التوراة التى بأيديهم غلط منهم وتحريف وخطأ فى التعريب ، فإن نقل الكلام من لغة إلى لغة لا يكاد[2] يتيسر لكل أحد ، ولا سيما ممن لا يكاد[3] يعرف كلام العرب جيداً ، ولا يحيط علماً بفهم كتابه أيضاً ، فلهذا وقع فى تعريبهم لها خطأ كثير لفظاً ومعنى .

وقد دل القرآن العظيم على أنه كان عليهما لباس فى قوله : ﴿ **يَنزِعُ عنهما لِبَاسَهما لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا** ﴾[4] ، فهذا لا يُرَدُّ لغيره من الكلام والله تعالى أعلم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين بن إشكاب[5] . حدثنا على بن عاصم عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن أُبىٍّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق آدم رجلاً طوالاً كثير شعر الرأس كأنه نخلة سحوق[6] ، فلما ذاقا الشجرة سقط عنه لباسه ، فأول ما بدا منه عورته ، فلما نظر إلى عورته جعل يشتد[7] فى الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها ، فناداه الرحمن عز وجل : يا آدم منى تفرُّ ؟

---

(١) الميازر : جمع مئزر وهو الإزار وهو رداء يغطى الجزء السفلى .

(٢) ناقصة فى : د .

(٣) زيادة من : د .

(٤) سورة الأعراف : ٢٧ .

(٥) فى د ، ط : على بن الحسن بن إسكاب . والتصويب من ابن كثير . وانظر : تذكرة الحفاظ (٢ / ٥٥٩) قال الذهبى : توفى عام ٢٦١ هـ .

(٦) النخلة السحوق : الطويلة الجرداء التى يبعد ثمرها عن الجانين له .

(٧) أى يعدو ويجرى جرياً سريعاً .

فلما سمع كلام الرحمن قال : يارب لا ولكن استحياء »[1] .

وقال الثورى عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ﴿ وطَفِقَا يَخْصِفَانِ عليهما مِنْ وَرَقِ الجنةِ ﴾[2] ورق التين . وهذا إسناد صحيح إليه ، وكأنه مأخوذ من أهل الكتاب ، وظاهر الآية يقتضى أعم من ذلك ، وبتقدير تسليمه فلا يضر والله تعالى أعلم .

وروى الحافظ ابن عساكر من طريق محمد بن إسحاق عن الحسن بن ذكوان عن الحسن البصرى عن أُبىّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أباكم آدم كان كالنخلة السحوق ستين ذراعاً كثير الشعر موارى العورة ، فلما أصاب الخطيئة فى الجنة بدت له سوأته فخرج من الجنة فلقيته شجرة فأخذت بناصيته فناداه ربه : أَفِراراً منى يا آدم ؟ قال : بل حياء منك - والله - يارب مما جئت به »[3] .

ثم رواه من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن عتى[4] بن ضمرة عن أُبىّ بن كعب عن النبى ﷺ بنحوه[5] . وهذا أصح فإن الحسن لم يدرك أُبيّاً . ثم أورده أيضاً من طريق خيثمة[6] بن سليمان الطرابلسى عن محمد بن عبد الوهاب

---

(١) حديث أُبىّ بن كعب المرفوع هذا من طريق قتادة أخرجه أحمد فى الزهد (ص ٨٢) وذكره ابن كثير فى التفسير (٣ / ١٦٨) وقال : « وهذا منقطع بين الحسن وأُبىّ بن كعب فلم يسمعه منه وفى رفعه نظر » ولكن قد حسَّن إسناده ابن حجر فى الفتح (٦ / ٣٦٧) .

(٢) سورة الأعراف : ٢٢ .

(٣) طريق محمد بن إسحاق أخرجها الخرائطى فى « مكارم الأخلاق » (١ / ٣ / ٦٠٣) رسالة دكتوراه غير مطبوعة .

(٤) فى د ، ط : يحيى بن ضمرة . وهو خطأ .

(٥) هذه الطريق أخرجها الحاكم فى مستدركه (٢ / ٢٦٢ ، ٥٤٣) وقال فى الموضعين : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبى .

(٦) فى د : حثمة . وهو خيثمة بن سليمان بن حيدرة أبو الحسن الطرابلسى ، أحد الثقات ، مولده ٢٥٠ هـ ووفاته ٣٤٣ هـ . تذكرة الحفاظ (٣ / ٨٥٨) .

أبى قرصافة العسقلانى عن آدم بن أبى إياس عن شيبان[1] عن قتادة عن أنس مرفوعاً بنحوه .

﴿ ونَادَاهُمَا رَبُّهما أَلَمْ أَنْهَكُما عن تِلْكُمَا الشَّجرةِ وأَقُلْ لكُمَا إنَّ الشيطانَ لكُما عَدُوٌّ مُبينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف : ٢٢ - ٢٣)

وهذا اعتراف ورجوع إلى الإنابة ، وتذلل وخضوع واستكانة وافتقار إليه تعالى فى الساعة الراهنة ، وهذا السر ما سرى فى أحد من ذريته إلا كانت عاقبته إلى خير فى دنياه وأُخراه .

﴿ قَالَ اهْبطُوا بَعضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ولكُمْ فى الأَرْضِ مُستقرٌّ ومتَاعٌ إلى حِينٍ ﴾ .
(سورة الأعراف : ٢٤)

وهذا خطاب لآدم وحواء وإبليس قيل والحية معهم أُمروا أن يهبطوا من الجنة فى حال كونهم متعادين متحاربين ، وقد يستشهد لذكر الحية معهم بما ثبت فى الحديث عن رسول الله ﷺ أنه أمر بقتل الحيات وقال : « ما سالمناهن منذ حاربناهن »[2] .

وقوله فى سورة طه ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْها جَميعاً بعضكُمْ لِبعضٍ عَدُوٌّ ﴾ .
(سورة طه : ١٢٣)

وهو أمر لآدم وإبليس واستتبع آدم حواء وإبليس الحية ، وقيل هو أمر لهم بصيغة التثنية كما فى قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وسُلَيْمانَ إذْ يَحْكُمانِ فى الحَرْثِ إذْ نَفشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ (سورة الأنبياء : ٧٨)

[والصحيح أن هذا لما كان الحاكم لا يحكم إلا بين اثنين مدعٍ ومدعى عليه قال :

---

(١) فى د : سنان . وهو شيبان بن عبد الرحمن أبو معاوية التميمى ، وثّقه يحيى بن معين وغيره ، توفى عام ١٦٤ هـ . تذكرة الحفاظ (١ / ٢١٨) .

(٢) أخرجه من حديث أبى هريرة الإمام أحمد (٢ / ٢٤٧ ، ٤٣٢ ، ٥٢٠) ، والحميدى (٢ / ٤٨٩) ، وأبو داود (٤ / ٣٦٣) ، وابن حبان (ص ٢٦٥ موارد) .

﴿ وكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾][1] ، وأما تكريره الإهباط فى سورة البقرة فى قوله : ﴿ وقُلْنا اهْبِطُوا[2] بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ولكُمْ فى الأرضِ مُسْتقرٌّ ومَتاعٌ إلى حِينٍ * فتلقَّى آدمُ من رَبِّهِ كلماتٍ فتابَ عليه إنَّهُ هُوَ التَّوابُ الرحيمُ * قُلْنا اهبطُوا مِنْها جَمِيعاً فإمَّا يأتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدَىً فمَنْ تَبِع هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عليهم ولَا هُمْ يَحْزَنُونَ * والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بآياتِنَا أولئِكَ أصحابُ النارِ هُمْ فيها خَالِدُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٣٦ - ٣٩)

فقال بعض المفسرين : المراد بالإهباط الأول الهبوط من الجنة إلى السماء الدنيا وبالثانى من السماء الدنيا إلى الأرض . وهذا ضعيف لقوله فى الأول ﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ولكُمْ فى الأرضِ مُسْتقرٌّ ومتَاعٌ إلى حِينٍ ﴾ فدل على أنهم أُهبطوا إلى الأرض بالإهباط الأول والله أعلم .

والصحيح أنه كرره لفظاً وإن كان واحداً وناط مع كل مرة حكماً ، فناط بالأول عداوتهم فيما بينهم ، وبالثانى الاشتراط عليهم أن مَنْ تبع هداه الذى ينزله عليهم بعد ذلك فهو السعيد ومَنْ خالفه فهو الشقى ، وهذا الأسلوب فى الكلام له نظائر فى القرآن الكريم .

وروى الحافظ ابن عساكر عن مجاهد قال : أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره ، فنزع جبريل التاج عن رأسه ، وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه ، وتعلق به غصن فظن آدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول : العفو العفو . فقال الله : فراراً منى ؟ قال : بل حياء منك يا سيدى .

وقال الأوزاعى عن حسان - هو ابن عطية - : مكث آدم فى الجنة مائة عام - وفى رواية ستين عاماً - وبكى على الجنة سبعين عاماً وعلى خطيئته سبعين عاماً وعلى ولده حين قُتِل أربعين عاماً . رواه ابن عساكر .

---

(١) ما بين المعقوفين ناقص فى : د .

(٢) وقع هنا فى الأصول د ، ط : منها جميعاً . وهو خطأ .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة . حدثنا عثمان بن أبى شيبة . حدثنا جرير عن [عطاء عن][1] سعيد عن ابن عباس قال : أُهبط آدم عليه السلام إلى أرض يقال لها دحنا بين مكة والطائف[2] .

وعن الحسن قال : أُهبط آدم بالهند وحواء بجدة وإبليس بدستميسان من البصرة على أميال وأُهبطت الحية بأصبهان[3] . رواه ابن أبى حاتم أيضاً :

وقال السدى : نزل آدم بالهند ونزل معه بالحجر الأسود وبقبضة من ورق الجنة فبثه فى الهند فنبتت شجرة الطيب هناك[4] .

وعن ابن عمر قال : أُهبط آدم بالصفا وحواء بالمروة . رواه ابن أبى حاتم أيضاً[5] .

وقال عبد الرزاق : قال معمر أخبرنى عوف عن قسامة بن زهير عن أبى موسى الأشعرى قال : إن الله حين أهبط آدم من الجنة إلى الأرض علَّمه صنعة كل شىء ، وزوَّده من ثمار الجنة ، فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير[6] .

وقال الحاكم فى مستدركه : أنبأنا أبو بكر بن بالويه عن محمد بن أحمد بن النضر عن معاوية بن عمرو عن زائدة عن عمار بن أبى معاوية البجلى عن سعيد بن جبير عن

---

(١) ناقص فى الأصول وزدناه من تفسير ابن كثير .

(٢) أورده ابن كثير فى تفسيره (١ / ٨٠) معزواً لابن أبى حاتم ، وكذلك أورده السيوطى فى الدر المنثور (١ / ٥٥) .

(٣) خبر الحسن البصرى أورده ابن كثير (١ / ٨٠) والسيوطى فى الدر المنثور (١ / ٥٦) وعزاه لابن أبى حاتم وابن عساكر .

(٤) أورده ابن كثير فى التفسير (١ / ٨٠) ، والسيوطى فى الدر (١ / ٥٧) معزواً لابن أبى حاتم .

(٥) خبر ابن عمر أورده ابن كثير (١ / ٨٠) والسيوطى فى الدر (١ / ٥٥) .

(٦) أخرجه عن أبى موسى موقوفاً الحاكم (٢ / ٥٤٣) وصححه وأقره الذهبى ، وأخرجه البزار (٣ / ١٠٢ كشف) من طريق ابن أبى عدى عن عوف به . وقد أخرجه البزار مرفوعاً من طريق ربعى بن علية عن عوف به . قال البزار : لا نعلم رفعه إلا ربعى . قال الهيثمى فى المجمع (٨ / ١٩٧) : « رواه البزار والطبرانى ورجاله ثقات » .

ابن عباس قال : ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس[١] .
ثم قال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

وفى صحيح مسلم من حديث الزهرى عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلِق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها »[٢] . وفى الصحيح من وجه آخر « وفيه تقوم الساعة »[٣] .

[وقال أحمد : حدثنا محمد بن مصعب . حدثنا الأوزاعى عن أبى عمار عن عبد الله ابن فروخ عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خُلق آدم ، وفيه أُدخل الجنة ، وفيه أُخرج منها ، وفيه تقوم الساعة »[٤] على][٥] شرط مسلم .

فأما الحديث الذى رواه ابن عساكر من طريق أبى القاسم البغوى . حدثنا محمد بن جعفر الوركانى . حدثنا سعيد بن ميسرة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « هبط آدم وحواء عريانين جميعاً عليهما ورق الجنة فأصابه الحر حتى قعد يبكى ويقول لها : يا حواء قد أذانى الحر . قال : فجاءه جبريل بقطن وأمرها أن تغزل وعلَّمها وأمر[٦] آدم بالحياكة [وعلَّمه وأمره][٧] أن ينسج . قال : وكان آدم لم يجامع امرأته فى الجنة حتى

---

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه (٢ / ٥٤٢) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبى . وعزاه السيوطى فى الدر (١ / ٥٢) لعبد بن حميد والحاكم .

(٢) حديث أبى هريرة من هذا الطريق أخرجه مسلم (٢ / ٥٨٥) وأحمد (٢ / ٥١٢) والنسائى (٣ / ٨٩) .

(٣) هذه الزيادة أخرجها مالك فى الموطأ (١ / ١٠٨) ، وأبو داود (١ / ٢٧٤) ، وأحمد (٢ / ٥٠٤) وأخرجها مسلم فى صحيحه بلفظ آخر « ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة » (٢ / ٥٨٥) ، والترمذى (٢ / ٣٥٩) وقال : حسن صحيح .

(٤) أخرجه أحمد بهذا الإسناد (٢ / ٥٤٠) .

(٥) هذا الحديث بكامله لم يرد فى النسخة المخطوطة د .

(٦) فى د : وعلم .

(٧) فى د : وأمره . وفى ط : وعلمه .

هبط منها للخطيئة التى أصابها[١] بأكلهما من الشجرة . قال : وكان كل واحد منهما ينام على حدة ، ينام أحدهما فى البطحاء والآخر من ناحية أخرى حتى أتاه جبريل فأمره أن يأتى أهله . قال : وعلمه كيف يأتيها . فلما أتاها جاءه جبريل فقال : كيف وجدت امرأتك ؟ قال : صالحة »[٢] .

فإنه حديث غريب ورفعه منكر جداً ، وقد يكون من كلام بعض السلف ، وسعيد ابن ميسرة[٣] هذا هو أبو عمران البكرى البصرى . قال فيه البخارى : منكر الحديث . وقال ابن حبان : يروى الموضوعات . وقال ابن عدى : مظلم الأمر .

وقوله : ﴿ فتلقَّى آدمُ مِنْ رَبِّهِ كَلماتٍ فَتَابَ عليهِ إنَّهُ هُوَ التَّوابُ الرحيمُ ﴾[٤] قيل : هى قوله : ﴿ رَبَّنَا ظَلمنَا أنْفُسَنَا وإنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف : ٢٣)

رُوِى هذا عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبى العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخراسانى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم .

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا على بن الحسين بن إشكاب[٥] . حدثنا على بن عاصم عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن الحسن عن أُبىٍّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : « قال آدم عليه السلام : أرأيت يارب إن تُبْتُ ورجعت أعائدى إلى الجنة ؟ قال : نعم . فذلك قوله ﴿ فتلقَّى آدمُ مِنْ رَبِّه كلماتٍ فَتابَ عليهِ ﴾ . وهذا غريب من هذا الوجه وفيه انقطاع .

---

(١) فى ط : أصابتهما .

(٢) عزاه المتقى الهندى فى الكنز (٦ / ١٣٢) ومنتخبه (٤ / ٣٢١) لابن عساكر . وقد أورده السيوطى فى الدر (١ / ٥٧) وعزاه له أيضاً وضعف إسناده .

(٣) انظر المجروحين لابن حبان (١ / ٣١٢) ، وابن عدى فى الكامل (٣ / ١٢٢٣) ، والذهبى فى الميزان (٢ / ١٦٠) .

(٤) سورة البقرة : ٣٧ .

(٥) فى د : على بن الحسن بن إسكاب . وقد سبق أن صوبناه صفحة ٢٠٩ .

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : الكلمات « اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، رَبِّ إنى ظلمت نفسى فاغفر لى إنك خير الغافرين ، اللهم لا إله إلا أنت ، سبحانك وبحمدك ، رب إنى ظلمت نفسى فارحمنى[1] إنك خير الراحمين ، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إنى ظلمت نفسى فتُبْ علىَّ إنك أنت التواب الرحيم »[2] .

وروى الحاكم فى مستدركه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس : ﴿ **فتلقَّى آدمُ مِنْ رَبِّهِ كلماتٍ فتابَ عليهِ** ﴾ قال آدم : يا رب ألم تخلقنى بيدك ؟ قيل له : بلى . ونفخت فىَّ من روحك ؟ قيل له : بلى . [وكتبت على أن أعمل هذا ؟ قيل له : بلى][3] . وعطست فقلت : يرحمك الله وسبقت رحمتك غضبك ؟ قيل له : بلى[4] . قال : أفرأيت إن تبت هل أنت راجعى إلى الجنة ؟ قال : نعم » . ثم قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه[5] .

وروى الحاكم أيضاً والبيهقى وابن عساكر من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : « لمَّا اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب أسألك بحق محمد إلا غفرت لى . فقال الله : فكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد ؟ فقال : يا رب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فىَّ من روحك رفعت

---

(١) فى الأصول د ، ط : فاغفر لى . والتصويب من تفسير ابن جرير وابن كثير .

(٢) أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١ / ٢٤٤) وأورده ابن كثير فى تفسيره (١ / ٨١) .

(٣) ما بين المعقوفين لم يرد فى لفظ الحديث عند الحاكم . وساقه ابن كثير فى التفسير (١ / ٨١) معزواً للسدى ولم يورده من لفظ الحاكم .

(٤) وقع هنا ما بين المعقوفين فى الهامش السابق فى : ط .

(٥) أخرجه الحاكم (٢ / ٥٤٥) وصححه وأقره الذهبى فى تلخيصه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور (١ / ٥٨) للفريابى وعبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى التوبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس .

رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . فقال الله : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلىَّ ، وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك »[1] .

قال البيهقى : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف والله أعلم .

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿ **وعصَى آدمُ رَبَّه فغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّه فتَابَ عليهِ وهَدَى** ﴾ (سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢)

* * *

---

(١) أخرجه الحاكم (٢ / ٦١٥) والبيهقى فى دلائل النبوة (٥ / ٤٨٨) والطبرانى فى الصغير (٢ / ٨٣) من طريق عبد الرحمن بن زيد به . قال الحاكم : صحيح الإسناد . ولكن قال الذهبى فى تلخيصه : بل موضوع وعبد الرحمن واهٍ . وانظر : المجروحين لابن حبان (٢ / ٥٧) وميزان الاعتدال (٣ / ٢٧٨ - ٢٨٠) .



ذكر الأحاديث الواردة فى خلق آدم عليه السلام

قال الإمام أحمد : حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر . حدثنا عوف . حدثنى قسامة بن زهير عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك والخبيث والطيب والسهل والحزن وبين ذلك » .

ورواه أيضاً عن هوذة[1] عن عوف عن قسامة بن زهير سمعت الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن وبين ذلك ، والخبيث والطيب وبين ذلك » .

وكذا رواه أبو داود والترمذى وابن حبان فى صحيحه من حديث عوف بن أبى جميلة الأعرابى عن قسامة بن زهير المازنى البصرى عن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى عن النبى ﷺ بنحوه . وقال الترمذى : حسن صحيح[2] .

---

(١) هو : هوذة بن خليفة أبو الأشهب بصرى الدار سكن بغداد ، صدوق ، توفى ٢١٦ هـ وله ٩١ سنة ، وقد كان أصم . من شيوخ الإمام أحمد . الجرح والتعديل (٩ / ١١٨) .

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٤٠٠ ، ٤٠٦) وأبو داود (٤ / ٢٢٢) والترمذى (٥ / ٢٠٤) وابن حبان (٨ / ٢٠ الإحسان) والحاكم (٢ / ٢٦١) وصححه وأقره الذهبى ، وأبو نعيم فى الحلية (٣ / ١٠٤) (٨ / ١٣٥) ، وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور (١ / ٤٦) - بالإضافة لما ذكرنا - إلى ابن سعد فى طبقاته وعبد بن حميد والحكيم فى نوادر الأصول وابن جرير وابن المنذر وأبى الشيخ فى العظمة وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات .

وقد ذكر السدى عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس . وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا : « فبعث الله عز وجل جبريل فى الأرض ليأتيه بطين منها فقالت الأرض : أعوذ بالله منك أن تنقص منى أو تشيننى ، فرجع ولم يأخذ وقال : يارب إنها عاذت بك فأعذتها ، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها ، فرجع فقال كما قال جبريل ، فبعث ملك الموت فعاذت منه ، فقال : وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره ، فأخذ من وجه الأرض وخلطه ، ولم يأخذ من مكان واحد ، وأخذ من تربة بيضاء وحمراء وسوداء ، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين ، فصعد به فَبَلَّ التراب حتى عاد طيناً لازباً – واللازب هو الذى يلزق بعضه ببعض – ثم قال للملائكة : ﴿ **إِنِّى خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فإذَا سَوَّيْتُه ونفختُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ** ﴾[1] فخلقه الله بيده لئلا يتكبر إبليس عنه فخلقه بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه ، وكان أشدهم منه فزعاً إبليس ، فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار يكون له صلصلة فذلك حين يقول : ﴿ **مِنْ صَلْصَالٍ كالفَخَّارِ** ﴾[2] ويقول : لأمر ما خلقت ودخل من فِيهِ وخرج من دبره وقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمد[3] وهذا أجوف ، لئن سُلِّطْتُ عليه لأُهلكنّه .

فلما بلغ الحين الذى يريد الله عز وجل أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحى فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح فى رأسه عطس . فقالت الملائكة : قل الحمد لله . فقال : الحمد لله ، فقال له الله : رحمك ربك . فلما دخلت الروح فى عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخلت الروح فى جوفه اشتهى الطعام ،

---

(١) سورة ص : ٧١ ، ٧٢ .

(٢) سورة الرحمن : ١٤ .

(٣) من معانى الصمد فى اللغة : المصمت الذى لا جوف له . وهو المقصود هنا ، ولا يُقبل هذا فى حق الله عز وجل إلا على سبيل تفويض معناه لله عز وجل وإمراره كما هو دون محاولة تكييفه أو تأويله .

فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رِجْلَيْه عجلان[1] إلى ثمار الجنة ، وذلك حين يقول الله تعالى : ﴿ خُلِقَ الإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[2] ﴿ فسَجدَ الملائكةُ كُلُّهم أجمعُونَ * إلَّا إبليسَ أبَى أنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[3] » .

وذكر تمام القصة ، ولبعض هذا السياق شاهد من الأحاديث ، وإن كان كثير منه متلقى من الإسرائيليات .

فقال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد . حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبى ﷺ قال : « لما خلق الله آدم تركه ما شاء أن يدعه ، فجعل إبليس يطيف به [ينظر إليه][4] ، فلما رآه أجوف عرف أنه خَلْق لا يتمالك »[5] .

وقال ابن حبان فى صحيحه : حدثنا الحسن بن سفيان . حدثنا هدبة بن خالد . حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لما نُفخ فى آدم فبلغ الروحُ رأسه عطس فقال : الحمد لله رب العالمين . فقال له تبارك وتعالى : يرحمك الله »[6] .

وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا يحيى بن محمد بن السكن ، حدثنا حبان بن هلال . حدثنا مبارك بن فضالة عن عبيد الله عن حبيب عن حفص – هو ابن عاصم

---

(١) عجلان : متعجلاً مسرعاً .

(٢) سورة الأنبياء : ٣٧ .

(٣) سورة الحجر : ٣٠ ، ٣١ .

(٤) ما بين المعقوفين ناقص فى الأصول وقد زدناه من مسند أحمد وصحيح مسلم .

(٥) أخرجه أحمد (٣ / ١٥٢ ، ٢٢٩ ، ٢٤٠ ، ٢٥٤) ، ومسلم (٤ / ٢٠١٦) .
قال النووى فى شرحه على مسلم (١٦ / ٤٠٢) – ط . دار القلم ببيروت ١٩٨٧ م :
« معنى لا يتمالك لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات ، وقيل : لا يملك دفع الوسواس عنه ، وقيل : لا يملك نفسه عند الغضب ، والمراد جنس بنى آدم » .

(٦) أخرجه ابن حبان (ص ٥٠٨ موارد) حديث (٢٠٨١) . وانظر : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (١ / ٤٨) وقد عزاه لابن حبان أيضاً .

ابن عبيد الله بن عمر بن الخطاب – عن أبى هريرة رفعه قال : « لما خلق الله آدم عطس فقال : الحمد لله . فقال له ربه : رحمك ربك يا آدم »[1] . وهذا الإسناد لا بأس به ولم يخرجوه .

وقال عمر بن عبد العزيز : لما أمرت الملائكة بالسجود كان أول من سجد منهم إسرافيل فآتاه الله أن كتب القرآن فى جبهته » . رواه ابن عساكر .

وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا عقبة بن مكرم . حدثنا عمرو بن محمد عن إسماعيل بن رافع عن المقبرى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم من تراب ثم جعله طيناً ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره ، ثم تركه حتى إذا كان صلصالاً كالفخار قال : فكان إبليس يمر به فيقول : لقد خُلقت لأمر عظيم . ثم نفخ الله فيه من روحه ، فكان أول ما جرى فيه الروح[2] بصره وخياشيمه فعطس فلقاه الله رحمة ربه فقال الله : يرحمك ربك . ثم قال الله : يا آدم اذهب إلى هؤلاء النفر فقل لهم[3] ، فانظر ماذا يقولون ، فجاء فسلم عليهم فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته[4] . فقال : يا آدم هذا تحيتك وتحية ذريتك . قال : يا رب وما ذريتى ؟ قال : اختر يدىَّ يا آدم . قال : أختار يمين ربى – وكلتا يدى ربى يمين – وبسط كفه فإذا من هو كائن من ذريته فى كف الرحمن ، فإذا رجال منهم أفواههم النور ، فإذا رجل يعجب آدم نوره قال : يا رب من هذا ؟ قال : ابنك داود . قال : يا رب فكم جعلت له من العمر ؟ قال : جعلت له ستين . قال : يا رب فأتم له من عمرى حتى يكون عمره[5]

---

(١) أخرجه ابن حبان (ص ٥٠٨ موارد الظمآن) حديث (٢٠٨٠) عن شيخ البزار يحيى بن محمد بن السكن بهذا الإسناد مع تغيير فى بعض ألفاظ المتن .

(٢) فى د : الريح .

(٣) أى فقل لهم السلام عليكم . وقد ورد التصريح به فى الترمذى وعمل اليوم والليلة للنسائى .

(٤) هنا فى الأصول جزء ناقص وهو موجود فى مسند أبى يعلى : « فجاء إلى ربه فقال : ماذا قالوا لك ؟ وهو أعلم بما قالوا له . قال : يا رب لما سلمت عليهم قالوا : وعليك السلام ورحمة الله » .

(٥) فى ط : له من العمر .

مائة سنة ، ففعل الله ذلك وأشهد على ذلك ، فلما نفد عمر آدم بعث الله ملك الموت فقال آدم : أَوَ لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال له الملك : أو لم تعطها ابنك داود . فجحد ذلك فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته »[1] .

وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار والترمذى والنسائى فى « اليوم والليلة » من حديث صفوان بن عيسى عن الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ . وقال الترمذى : حديث حسن غريب من هذا الوجه[2] . وقال النسائى : هذا حديث منكر[3] . وقد رواه محمد بن عجلان عن سعيد المقبرى عن أبيه عن عبد الله بن سلام قوله[4] .

وقال الترمذى : حدثنا عبد بن حميد . حدثنا أبو نعيم . حدثنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة ، وجعل بين عينى كل إنسان منهم وبيصاً[5] من نور ثم عرضهم على آدم فقال : أى ربِّ مَنْ هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك . فرأى رجلاً منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه . فقال : أى رب من هذا ؟ قال : هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود .

---

(١) أخرجه أبو يعلى فى مسنده (١١ / ٤٥٣) ، وقال الهيثمى فى المجمع (٨ / ١٩٧) : « فيه إسماعيل بن رافع قال البخارى : ثقة مقارب الحديث وضعفه الجمهور وبقية رجاله رجال الصحيح » . قال ابن معين : إسماعيل ليس بشىء . انظر المجروحين لابن حبان (١ / ١٢٤) .

(٢) أخرجه الترمذى (٥ / ٤٥٣) ، والنسائى فى « اليوم والليلة » (ص ٢٣٧) ، والحاكم (٤ / ٢٦٣) وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وأقره الذهبى .

(٣) لم يقل النسائى حديث منكر عن هذا الحديث مطلقاً ، بل قاله بخصوص طريق شيخه محمد بن خلف .

(٤) أى موقوف على عبد الله بن سلام ، وقد أخرجه النسائى فى عمل اليوم والليلة (ص ٢٣٧) حديث ٢١٩ .

(٥) الوبيص : البريق .

قال : رب وكم جعلت عمره ؟ قال : ستين سنة . قال : أى ربِّ زِدْهُ من عمرى أربعين سنة ، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت قال : أوَ لم يبق من عمرى أربعون سنة ؟ قال : أوَ لَمْ تُعْطِها ابنك داود ؟ قال : فجحد فجحدت ذريته ونسى آدم فنسيت ذريته ، وخطىء آدم فخطئت ذريته »[1] .

ثم قال الترمذى : حسن صحيح ، وقد رُوى من غير وجه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ . ورواه الحاكم فى مستدركه من حديث أبى نعيم الفضل بن دكين وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه .

وروى ابن أبى حاتم من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة مرفوعاً فذكره وفيه « ثم عرضهم على آدم فقال : يا آدم هؤلاء ذريتك . وإذا فيهم الأجذم والأبرص والأعمى[2] وأنواع الأسقام . فقال آدم : يارب لِمَ فعلت هذا بذريتى ؟ قال : كى تشكر نعمتى » ثم ذكر قصة داود . وستأتى رواية ابن عباس أيضاً .

وقال الإمام أحمد : حدثنا الهيثم [بن خارجة حدثنا أبو الربيع][3] عن يونس بن ميسرة عن أبى إدريس عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر[4] ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم . فقال للذى فى يمينه : إلى الجنة ولا أبالى . وقال للذى [فى كفه][5] اليسرى : إلى النار ولا أبالى »[6] .

---

(١) أخرجه الترمذى (٥ / ٢٦٧) والحاكم (٢ / ٣٢٥) وأقره الذهبى على تصحيحه له .

(٢ ، ٣) ما بين المعقوفين ناقص فى : د .

(٤) الذر : صغار النمل .

(٥) فى د : كفه . وفى ط : فى كتفه .

(٦) أخرجه أحمد فى مسنده (٦ / ٤٤١) وكذا ابنه عبد الله فى زياداته على مسند أبيه (٦ / ٤٤١) .

وقال ابن أبى الدنيا : حدثنا خلف بن هشام . حدثنا الحكم بن سنان عن حوشب عن الحسن قال : « خلق الله آدم حين خلقه فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى وأخرج أهل النار من صفحته[1] اليسرى ، فألْقُوا على وجه الأرض منهم الأعمى والأصم والمبتلى ، فقال آدم : يا رب ألا سوَّيْتَ بين ولدى ؟ قال : يا آدم إنى أردت أن أُشكَر » .

وهكذا روى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن بنحوه .

وقد رواه أبو حاتم ابن[2] حبان فى صحيحه فقال : حدثنا محمد بن إسحاق بن خزيمة . حدثنا محمد بن بشار . حدثنا صفوان بن عيسى . حدثنا الحارث بن عبد الرحمن بن أبى ذباب عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس فقال : الحمد لله . فحمد الله بإذن الله . فقال له ربه : يرحمك ربك يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فسلم عليهم فقال : السلام عليكم.. فقالوا : وعليكم السلام ورحمة الله . ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم ، وقال الله – ويداه مقبوضتان – : اختر أيهما شئت . فقال : اخترت يمين ربى وكلتا يدى ربى يمين مباركة ، ثم بسطهما فإذا فيهما آدم وذريته . فقال : أى رب ما هؤلاء ؟ قال : هؤلاء ذريتك . وإذا كل إنسان منهم مكتوب عمره بين عينيه ، وإذا فيهم رجل أضوؤهم – أو من أضوئهم – لم يُكتب له إلا أربعون سنة . قال : يا رب ما هذا ؟ قال : هذا ابنك داود وقد كتب الله عمره أربعين سنة . قال : أى رَبِّ زِدْ فى عمره . فقال : ذاك الذى كتبت له . قال : فإنى قد جعلت له من عمرى ستين سنة . قال : أنت وذاك اسكن الجنة . فسكن الجنة ما شاء [الله ، ثم هبط منها وكان آدم يعدُّ لنفسه ، فأتاه ملَكُ الموت][3] فقال له آدم :

(١) فى د : حضرته .

(٢) فى د ، ط : وابن . وهو خطأ فإن ابن حبان كنيته أبو حاتم .

(٣) ما بين القوسين ناقص فى : د .

قد عجلت قد كُتب لى ألف سنة . قال : بلى ولكنك جعلت لابنك داود منها ستين سنة فجحد آدم فجحدت ذريته ونسى فنسيت ذريته . فيومئذ أُمر بالكتاب والشهود »[1] هذا لفظه .

وقد قال البخارى : حدثنا عبد الله بن محمد . حدثنا عبد الرزاق . أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً ، ثم قال : اذهب فسلِّم على أولئك من الملائكة فاستمع ما يجيبونك[2] فإنها تحيتك وتحية ذريتك . فقال : السلام عليكم ، فقالوا : السلام عليك ورحمة الله ، فزادوه ورحمة الله ، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلْق ينقص حتى الآن »[3] .

وهكذا رواه البخارى فى كتاب الاستئذان عن يحيى بن جعفر ، ومسلم عن محمد بن رافع كلاهما عن عبد الرزاق به .

وقال الإمام أحمد : حدثنا روح . حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « كان طول آدم ستين ذراعاً فى سبعة أذرع عرضاً » انفرد به أحمد[4] .

---

(١) أخرجه من هذا الطريق عن أبى هريرة الترمذى (٥ / ٤٥٣) وابن حبان (ص ٥٠٨ موارد) والحاكم (١ / ٦٤) (٤ / ٢٦٣) مختصراً والبيهقى فى سننه عن الحاكم (١٠ / ١٤٧) وصحح إسناده الحاكم وأقره الذهبى . وقال الترمذى : حسن غريب من هذا الوجه . وقد خرج بعضه ابن أبى عاصم فى السنة (١ / ١٩١ ، ٢٦٥) وقد قال الألبانى : إسناده حسن رجاله ثقات .

(٢) هكذا فى د ، ط وعند مسلم وأحمد . ولكنها فى البخارى « يحيونك » .

(٣) أخرجه البخارى (٦ / ٣٦٢) (١١ / ٣) وأحمد (٢ / ٣١٥) ومسلم (٤ / ٢١٨٣) .

(٤) أخرجه أحمد (٢ / ٥٣٥) والبزار (٣ / ١٠١ كشف الأستار) ، وللحديث لفظ آخر من طريق حماد بن سلمة به « يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين على خَلْق آدم ستون ذراعاً فى عرض سبعة أذرع » أخرجه أحمد (٢ / ٢٩٥ ، ٣٤٣ ، ٤١٥) وأبو نعيم فى « صفة الجنة » حديث (٢٥٥) و ابن أبى شيبة فى مصنفه (١٣ / ١١٤) وابن عدى فى الكامل (٥ / ١٨٤٢) والطبرانى فى الصغير (٢ / ١٧) ، قال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ٣٩٩) : إسناده حسن .

وقال الإمام أحمد : حدثنا عفان . ثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : لما نزلت آية الدَّيْن[1] قال رسول الله ﷺ : « إن أول مَنْ جحد آدم ، إن أول من جحد آدم ، إن أول من جحد آدم ، إن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارى إلى يوم القيامة ، فجعل يعرض ذريته عليه ، فرأى فيهم رجلاً يزهر قال : أىّ ربِّ مَنْ هذا ؟ قال : هذا ابنك داود . قال : أى رب كم عمره ؟ قال : ستون عاماً . قال : أى رب زد في عمره . قال : لا إلا أن أزيده من عمرك ، وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً ، فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضر آدم أتته الملائكة لتقبضه قال : إنه قد بقى من عمرى أربعون عاماً . فقيل له : إنك قد وهبتها لابنك داود . قال : ما فعلت . وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة »[2] .

وقال أحمد : حدثنا أسود بن عامر . حدثنا حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أول من جحد آدم – قالها ثلاث مرات – إن الله عز وجل لما خلقه مسح ظهره فأخرج ذريته فعرضهم عليه ، فرأى فيهم رجلاً يزهر فقال : أى رب زد فى عمره . قال : لا إلا أن تزيده أنت من عمرك . فزاده أربعين سنة من عمره . فكتب الله تعالى عليه كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما أراد أن يقبض روحه قال : إنه بقى من أجلى أربعون سنة ، فقيل له : إنك قد جعلتها لابنك داود . قال : فجحد قال : فأخرج الله الكتاب وأقام عليه البيِّنة فأتمها لداود مائة سنة وأتم لآدم عمره ألف سنة »[3] . تفرد به أحمد ، وعلى بن زيد فى حديثه نكارة[4] .

---

(١) هى أطول آية فى القرآن وهى آية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ الآية (البقرة : ٢٨٢) .

(٢) أخرجه أحمد (١ / ٢٥١) من طريق عفان عن حماد بن سلمة به .

(٣) طريق أسود بن عامر عن حماد أخرجها أحمد (١ / ٢٩٩) ، وأخرجه أحمد أيضاً (١ / ٣٧١) عن شيخه روح بن عبادة عن حماد بهذا الإسناد سواء .

(٤) هو ابن جدعان قال الهيثمى فيه بعد إيراده هذا الحديث (٨ / ٢٠٦) : « ضعفه الجمهور » .

ورواه الطبرانى عن على بن عبد العزيز عن حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس وغير واحد عن الحسن قال : لما نزلت آية الدَّيْن قال رسول الله ﷺ : « إن أول من جحد آدم – ثلاثاً » وذكره[1] .

وقال الإمام مالك بن أنس فى موطئه عن زيد بن أبى أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سُئل عن هذه الآية ﴿ **وإذْ أخذَ رَبُّكَ مَن بَنى آدمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِيَّتَهُمْ وأشْهدَهُمْ على أنْفسِهِمْ أَلَسْتُ بربِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾[2] الآية . فقال عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يُسْأَل عنها فقال : « إن الله خلق آدم عليه السلام ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون . فقال رجل : يا رسول الله ففيم العمل ؟ قال رسول الله ﷺ : « إذا خلق الله العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل به الجنة ، وإذا خلق الله العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخل به النار »[3] .

وهكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن جرير وابن أبى حاتم وأبو حاتم بن حبان فى صحيحه من طرق عن الإمام مالك به . وقال الترمذى : هذا حديث حسن ، ومسلم بن يسار لم يسمع عمر .

---

(١) أخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير (١٢ / ٢١٤) ، وقد أخرج هذا الحديث أيضاً أبو داود الطيالسى فى مسنده عن شيخه حماد بن سلمة به .

(٢) سورة الأعراف : ١٧٢ .

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ (٢ / ٨٩٨) ، ومن طريقه أخرجه أحمد (١ / ٤٥) ، وأبو داود (٤ / ٢٢٦) ، والترمذى (٥ / ٢٦٦) ، وابن جرير فى تفسيره (٩ / ١١٣) ، وابن حبان (٨ / ١٤ الإحسان) .

وكذا قال أبو حاتم وأبو زرعة ، زاد أبو حاتم « وبينهما نعيم بن ربيعة »[1] .

وقد رواه أبو داود عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جعثم[2] عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة قال : كنت عند عمر بن الخطاب وقد سئل عن هذه الآية .. فذكر الحديث[3] .

وقال الحافظ الدارقطني : وقد تابع عمر بن جعثم[4] أبو فروة يزيد[5] بن سنان الرهاوي عن زيد بن أبي أنيسة . قال : وقولهما أَوْلَى بالصواب من قول مالك رحمه الله .

وهذه الأحاديث كلها دالة على استخراجه تعالى ذرية آدم من ظهره كالذر وقسمتهم قسمين أهل اليمين وأهل الشمال وقال : هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي ، فأما الإشهاد عليهم واستنطاقهم بالإقرار بالوحدانية فلم يجيء في الأحاديث الثابتة ، وتفسير الآية التي في سورة الأعراف وحملها على هذا فيه نظر كما بيناه هناك ، وذكرنا الأحاديث والآثار مستقصاة بأسانيدها وألفاظ متونها ، فمن أراد تحريره فليراجعه ثَمَّ والله أعلم .

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (٢ / ٢٦٣) : « الظاهر أن الإمام مالكاً إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً لما جهل حال نعيم ولم يعرفه فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث ، ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ويقطع كثيراً من الموصولات » .

(٢) في الأصول د ، ط : جثعم . انظر : الجرح والتعديل للرازي (٦ / ١٠١) .

(٣) طريق عمر بن جعثم أخرجها أبو داود (٤ / ٢٢٧) حديث (٤٧٠٤) .

(٤) في الأصول د ، ط : جثعم .

(٥) في ط : بن يزيد . وهو خطأ . وهو أبو فروة يزيد بن سنان الرهاوي مولده ٦٩ هـ ووفاته ١٥٥ هـ . قال ابن حبان في المجروحين (٣ / ١٠٦) : « كان ممن يخطيء كثيراً حتى يروي عن الثقات ما لا يشبه حديث الأثبات ، لا يعجبني الاحتجاج بخبره إذا وافق الثقات فكيف إذا انفرد بالمعضلات » .

فأما الحديث الذى رواه أحمد : حدثنا حسين بن محمد . حدثنا جرير – يعنى ابن حازم – عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرها بين يديه ، ثم كلمهم قُبلاً[1] قال : ﴿ **أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا** ﴾ إلى قوله : ﴿ **الْمُبْطِلُونَ** ﴾ » فهو بإسناد جيد قوى على شرط مسلم .

رواه النسائى وابن جرير والحاكم فى مستدركه من حديث حسين بن محمد المروزى به . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه إلا أنه اختلف فيه على كلثوم بن جبر فروى عنه مرفوعاً وموقوفاً[2] . وكذا روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً ، وهكذا رواه العوفى والوالبى والضحاك وأبو جمرة[3] عن ابن عباس قوله ، وهذا أكثر وأثبت والله أعلم . وكذا روى عن عبد الله بن عمرو[4] موقوفاً ومرفوعاً ، والموقوف أصح .

واستأنس القائلون بهذا القول ، وهو أخذ الميثاق على الذرية وهم الجمهور بما قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج . حدثنى شعبة عن أبى عمران الجونى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال : « يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة : لو كان لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتدياً به ؟ قال : فيقول : نعم . فيقول : قد أردت منك ما هو أهون

---

(١) أى مواجهة .

(٢) أخرجه مرفوعاً أحمد (١ / ٢٧٢) والحاكم (٢ / ٥٤٤) وأقره الذهبى على تصحيحه ، وهو ليس فى السنن المطبوعة للنسائى فلعله فى الكبرى ، وعزاه السيوطى فى الدر (٣ / ١٤٢) لابن جرير وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات بالإضافة لما أشرنا إليه .

(٣) هو نصر بن عمران أبو جمرة الضبعى ، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم . الجرح والتعديل (٨ / ٤٦٥) .

(٤) فى ط : عبد الله بن عمر . وقد أورد ابن كثير فى تفسيره (٢ / ٢٦٢) حديث ابن عمرو المرفوع وعزاه لابن جرير الطبرى .

من ذلك ، قد أخذت عليك فى ظهر آدم أن لا تشرك بى شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بى » أخرجاه من حديث شعبة به[1] .

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أُبىّ بن كعب فى قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ من بنى آدمَ مِنْ ظُهورِهِمْ ذُرِّيَّتَهِمْ** ﴾ الآية والتى بعدها ، قال : فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا ، وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهد عليهم أنفسهم ﴿ **أَلَسْتُ بربِّكُمْ قَالُوا بَلَى** ﴾ الآية ، قال : فإنى أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا[2] يوم القيامة لم نعلم بهذا ، اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئاً ، وإنى سأرسل إليكم رُسُلاً ينذرونكم عهدى وميثاق وأنزل عليكم كتابى . قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك . فأقروا له يومئذ بالطاعة ، ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك ، فقال : يا رب لو سوَّيت بين عبادك . فقال : إنى أحببت أن أُشكَر . ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذى يقول الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخذْنَا مِنَ النبيِّينَ مِيثاقَهُمْ ومِنْكَ ومِنْ نُوحٍ وإبراهيمَ ومُوسَى وعيسَى بن مريمَ وأخذْنَا منهم مِيثَاقاً غَلِيظاً** ﴾[3] وهو الذى يقول : ﴿ **فَأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنَيفاً فِطرةَ اللهِ التى فطَر الناسَ عليها لَا تبدِيلَ لخلْقِ اللهِ** ﴾[4] ، وفى ذلك قال : ﴿ **هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى** ﴾[5] ، وفى ذلك قال : ﴿ **ومَا وجَدْنَا لأكْثرِهِمْ مِنْ عهدٍ وإنْ وجدْنَا أكثرَهُمْ لَفاسِقِينَ** ﴾[6] .

---

(١) أخرجه من طريق شعبة به الإمام أحمد (٣ / ١٢٧ ، ١٢٩) والبخارى (٦ / ٣٦٣) (١١ / ٤١٦) ومسلم (٤ / ٢١٦٠) . وقد أخرجه أحمد من طريق قتادة عن أنس بنحو هذا اللفظ (٣ / ٢١٨) .

(٢) فى الأصول د ، ط : لا تقولوا .

(٣) سورة الأحزاب : ٧ .

(٤) سورة الروم : ٣٠ .

(٥) سورة النجم : ٥٦ .

(٦) سورة الأعراف : ١٠٢ .

رواه الأئمة[1] : عبد الله بن أحمد وابن أبى حاتم وابن جرير وابن مردويه فى تفاسيرهم من طريق أبى جعفر[2] ، وروى عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصرى وقتادة والسدى وغير واحد من علماء السلف بسياقات توافق هذه الأحاديث .

وتقدم أنه تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لآدم امتثلوا كلهم الأمر الإلهى ، وامتنع إبليس من السجود له حسداً وعداوة له فطرده الله وأبعده وأخرجه من الحضرة الإلهية ونفاه عنها وأهبطه إلى الأرض طريداً ملعوناً شيطاناً رجيماً .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ويعلى ومحمد ابنا[3] عبيد قالوا : حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد[4] اعتزل الشيطان يبكى يقول : يا ويله أُمِرَ ابنُ آدم بالسجود فسجد فله الجنة ، وأُمرت بالسجود فعصيت فلى النار »[5] . ورواه مسلم من حديث وكيع وأبى معاوية عن الأعمش به .

---

(1) أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائده على مسند أبيه (٥ / ١٣٥) عن شيخه الربالى . قال الهيثمى فى المجمع (٧ / ٢٥) : مستور وبقية رجاله رجال الصحيح . وكذا أخرجه ابن جرير الطبرى فى تفسيره (١٣ / ٢٣٨) والحاكم فى المستدرك (٢ / ٣٢٣) وصححه وأقره الذهبى . وقد عزاه السيوطى فى الدر المنثور أيضاً (٢ / ١٤٢) لعبد بن حميد وأبى الشيخ وابن منده فى كتاب الرد على الجهمية ، واللالكائى وابن مردويه والبيهقى فى الأسماء والصفات وابن عساكر فى تاريخه .

(2) هو عيسى بن ماهان التميمى ، أصله من مرو . قال أحمد بن حنبل : مضطرب الحديث . وثقه ابن معين وأبو حاتم . وقال أحمد والنسائى : ليس بالقوى . ميزان الاعتدال (٤ / ٢٣٩) .

(3) فى د : حدثنا . وفى مسند أحمد : أنبأنا . وكلاهما خطأ . فهما يعلى بن عبيد أبو يوسف الطنافسى حافظ ثقة ، وأخوه محمد بن عبيد أبو عبد الله حافظ ثقة . ولد ١٢٧ هـ ، كان أصغر من أخيه يعلى بـ ٩ سنوات . انظر : تذكرة الحفاظ (١ / ٣٣٣ ، ٣٣٤) .

(4) ناقصة فى د . وهى كذلك فى مسند أحمد ، وقد زدناها من صحيح مسلم وابن ماجة والنسخة ط .

(5) أخرجه أحمد (٢ / ٤٤٣) ، ومسلم (١ / ٨٧) ، وابن ماجه (١ / ٣٣٤) .

ثم لما أُسكن آدم الجنة التى أسكنها سواء كانت فى السماء أو فى الأرض – على ما تقدم من الخلاف فيه – أقام بها هو وزوجته حواء عليهما السلام يأكلان منها رغداً حيث شاءا ، فلما أكلا من الشجرة التى نهيا عنها سُلِبا ما كانا فيه من اللباس وأُهبطا إلى الأرض ، وقد ذكرنا الاختلاف فى مواضع هبوطهم[1] منها .

واختلفوا فى مقدار مقامه فى الجنة ، فقيل بعض يوم من أيام الدنيا ، وقد قدمنا ما وراه مسلم عن أبى هريرة مرفوعاً : « وخلق آدم فى آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة » . وتقدم أيضاً حديثه عنه « وفيه – يعنى يوم الجمعة – خُلق آدم وفيه أُخرج منها » .

فإن[2] كان اليوم الذى خُلق فيه فيه أُخرج وقلنا إن [الأيام الستة][3] كهذه الأيام فقد لبث بعض يوم من هذه ، وفى هذا نظر ، وإن كان إخراجه فى غير اليوم الذى خُلق فيه ، وقلنا إن تلك الأيام مقدارها ستة آلاف سنة كما تقدم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة .

قال ابن جرير : ومعلوم أنه خُلق فى آخر ساعة من يوم الجمعة ، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فمكث مُصوَّراً طيناً قبل أن يُنفخ فيه الروح أربعين سنة ، وأقام فى الجنة قبل أن يهبط ثلاثاً وأربعين سنة وأربعة أشهر . والله تعالى أعلم .

وقد روى عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن سوار ختن[4] عطاء بن أبى رباح أنه كان لما أُهبط رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء فحطه الله إلى ستين ذراعاً . وقد رُوى عن ابن عباس نحوه .

---

(١) فى ط : هبوطه .

(٢) فى د : قال .

(٣) فى د : أيام السنة .

(٤) فى ط : خبر . وهو سوار بن أبى حكيم الخراسانى ختن عطاء بن أبى رباح ، وختن الرجل : المتزوج بابنته أو بأخته .

وفى هذا نظر لما تقدم من الحديث المتفق على صحته عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله خلق آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص حتى الآن » . وهذا يقتضى أنه خُلِقَ كذلك لا أطول من ستين ذراعاً وأن ذريته لم يزالوا يتناقص خَلْقُهم حتى الآن .

وذكر ابن جرير عن ابن عباس : إن الله قال : يا آدم إن لى حرماً بحيال عرشى فانطلق فإن[1] لى فيه بيتاً فَطُفْ به كما تطوف ملائكتى بعرشى ، وأرسل الله مَلَكاً فعرَّفه مكانه وعلَّمه المناسك . وذكر أن موضع كل خطوة خطاها آدم صارت قرية بعد ذلك .

وعنه : أن أول طعام أكله آدم فى الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من حنطة فقال : ما هذا ؟ قال : ليس[2] هذا من الشجرة التى نُهيت عنها فأكلتَ منها . فقال : وما أصنع بهذا ؟ قال : ابذره فى الأرض . فبذره ، وكان كل حبة منها زنتها[3] أزيد من مائة ألف ، نبتت فحصده ثم درسه[4] ثم ذرَّاه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ، فأكله بعد جهد عظيم وتعب ونكد ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾
(سورة طه : ١١٧)

وكان أول كسوتهما من شعر الضأن جزاه ثم غزلاه ، فنسج آدم له جبة ولحواء درعاً وخماراً .

واختلفوا : هل وُلِدَ لهما بالجنة شىء من الأولاد ، فقيل : لم يُولد لهما إلا فى الأرض ، وقيل : بل وُلِدَ لهما فيها فكان قابيل وأخته ممن وُلِدَ بها . فالله أعلم .

وذكروا أنه كان يُولد له فى كل بطن ذكر وأنثى ، وأُمِرَ أن يُزوِّج كلَّ ابنٍ أختَ أخيه[5] التى وُلدت معه ، والآخر بالأخرى ، وهلم جرا ، ولم يكن تحل أخت لأخيها الذى ولدت معه .

---

(١) فى ط : فابن .
(٢) زيادة من : د .
(٣) فى د : نبتها .
(٤) فى د : داسه .
(٥) فى د : أخته .

مراجع المقدمة والتحقيق

(أ)

١ – الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان – علاء الدين بن بلبان الفارسى (ت ٧٣٩ هـ) – قدم له كمال يوسف الحوت – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

٢ – الأدب المفرد – الإمام البخارى – ترتيب كمال يوسف الحوت – عالم الكتب – الطبعة الأولى ١٩٨٤ م .

٣ – الأذكار – يحيى بن شرف النووى (ت ٦٧٦ هـ) – دار القلم بيروت – الطبعة السادسة ١٩٨٣ م .

٤ – أسْد الغابة فى معرفة الصحابة – ابن الأثير (ت ٢٨٠ هـ) – طبعة دار الشعب .

٥ – الأسماء والصفات – أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) – تحقيق عماد الدين أحمد حيدر – دار الكتاب العربى – الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .

٦ – الإصابة فى تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) – تحقيق على محمد البجاوى – دار نهضة مصر .

٧ – الأعلام – خير الدين الزركلى – دار العلم للملايين – بيروت .

٨ – إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) – تحقيق : محمد سيد كيلانى – مطبعة مصطفى البابى الحلبى – ١٩٦١ م .

٩ – أمثال الحديث – أبو محمد الحسن الرامهرمزى – تحقيق : د . عبد العلى عبد الحميد الأعظمى – الدار السلفية – بومباى الهند – ١٩٨٣ م .

١٠ - إنباء الغمر بأبناء العمر - ابن حجر العسقلانى - مطبوعات دائرة المعارف العثمانية - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٦ م .

(ب)

١١ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع - الشوكانى - مطبعة السعادة - الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ .

(ت)

١٢ - تاريخ بغداد - أحمد بن على البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت (مصورة) .

١٣ - تاريخ جرجان - حمزة بن يوسف السهمى (ت٤٢٧ هـ) - عالم الكتب - بيروت ١٩٨١ .

١٤ - تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى) - ابن جرير الطبرى - دار المعارف تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

١٥ - تحفة الأشراف فى معرفة الأطراف - أبو الحجاج يوسف المزى (ت ٧٤٢ هـ) - تصحيح عبد الصمد شرف الدين - الهند - ١٩٧٦ م .

١٦ - تذكرة الحفاظ - الإمام شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) - دار الفكر العربى - تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمى - مصورة على طبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٧٧ هـ .

١٧ - التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة - الإمام القرطبى (ت ٦٧١ هـ) تحقيق د . حجازى السقا - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة ١٩٨٥ م .

١٨ - تفسير القرآن العظيم - الإمام ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) - دار الفكر - بدون تاريخ .

١٩ - تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) - الإمام القرطبى (ت ٦٧١ هـ) - طبعة دار الشعب .

٢٠ – تلبيس إبليس – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى – مطبعة الجزيرة – القاهرة (مصورة) .

٢١ – التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد – أبو عمر ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) – تحقيق سعيد أحمد أعراب – ١٩٧٦ م . .

٢٢ – التنبيه والإيقاظ لما فى ذيول تذكرة الحفاظ – الشيخ أحمد رافع الحسينى القاسمى – عنى بنشره القدسى – دمشق .

٢٣ – تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة – ابن عراق الكنانى (ت ٩٦٣ هـ) – تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف – دار الكتب العلمية بيروت (مصورة) .

٢٤ – تهذيب تاريخ ابن عساكر – الشيخ عبد القادر بدران – دار المسيرة – بيروت .

٢٥ – التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل – محمد بن إسحاق بن خزيمة – دار الكتب العلمية ١٩٨٣ – راجعه وعلق عليه : محمد خليل هراس .

(ج)

٢٦ – جامع البيان (تفسير الطبرى) – ابن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) – تحقيق محمد شاكر وراجع أحاديثه أحمد شاكر – دار المعارف – القاهرة .

٢٧ – الجامع الصغير – جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) – دار المعرفة – بيروت .

٢٨ – الجرح والتعديل – عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) – مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الهند – ١٣٧٣ هـ .

(ح)

٢٩ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – الحافظ أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ) – دار الكتاب العربى – بيروت .

(د)

٣٠ - الدارس فى تاريخ المدارس - عبد القادر النعيمى (ت ٩٢٧ هـ) - مطبعة الترقى دمشق ١٩٤٨ - تحقيق جعفر الحسنى .

٣١ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) - دار المعرفة - بيروت (مصورة) .

٣٢ - الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة - ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) - دار الكتب الحديثة - القاهرة .

٣٣ - دلائل النبوة - الحافظ أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ) - دار الوعى حلب ١٩٧٧ م .

٣٤ - دلائل النبوة - أبو بكر البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) - تحقيق د . عبد المعطى قلعجى - دار الكتب العلمية بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .

(ذ)

٣٥ - ذيل تذكرة الحفاظ - شمس الدين الحسينى الدمشقى (ت ٧٦٥ هـ) - دار الفكر العربى - القاهرة - تعليق محمد زاهد الكوثرى .

٣٦ - ذيل طبقات الحفاظ - جلال الدين السيوطى - دار الفكر العربى .

(ر)

٣٧ - الرد على الزنادقة والجهمية - الإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) - المطبعة السلفية - القاهرة ١٣٩٣ هـ .

(ز)

٣٨ - الزهد - أحمد بن حنبل - تحقيق السعيد بسيونى زغلول - دار الكتاب العربى ١٩٨٦ م .

(س)

٣٩ - سنن الترمذى - أبو عيسى الترمذى (ت ٢٧٩ هـ) - تحقيق أحمد شاكر وفؤاد عبد الباق - مطبعة مصطفى الحلبى - ١٩٧٨ م .

٤٠ - سنن الدارمى - أبو محمد عبد الله الدارمى (ت ٢٥٥ هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - مصورة على طبعة دار إحياء السنة النبوية .

٤١ - سنن أبى داود - سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥ هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت (مصورة) .

٤٢ - سنن الدارقطنى - على بن عمر الدارقطنى (ت ٣٨٥ هـ) - تحقيق السيد عبد الله هاشم اليمانى - دار المحاسن للطباعة - القاهرة ١٩٦٦ م .

٤٣ - سنن ابن ماجة - محمد بن يزيد القزوينى (ت ٢٧٥ هـ) - تحقيق محمد فؤاد عبد الباق - دار الفكر (مصورة) .

٤٤ - السنن الكبرى - أبو بكر البيهقى (ت ٤٥٨ هـ) - دار المعرفة - بيروت (مصورة على طبعة الهند ١٣٥٦ هـ) .

٤٥ - سنن النسائى - أحمد بن شعيب النسائى (ت ٣٠٣ هـ) - دار الحديث - القاهرة .

٤٦ - السنة - ابن أبى عاصم (ت ٢٨٧ هـ) - تحقيق ناصر الدين الألبانى - المكتب الإسلامى - بيروت .

(ش)

٤٧ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - ابن العماد الحنبلى - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت (مصورة) .

٤٨ - شرح السنة - البغوى (ت ٤٥٨ هـ) - تحقيق شعيب الأرناؤوط - الطبعة الأولى - ١٩٧١ م .

٤٩ - شرح النووى على مسلم - يحيى بن شرف النووى (ت ٤٥٨ هـ) - دار القلم - بيروت ١٩٨٧ م .

(ص)

٥٠ - صحيح ابن خزيمة - أبو بكر محمد بن إسحاق (ت ٣١١ هـ) - تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمى - المكتب الإسلامى - بيروت .

٥١ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج النيسابورى (ت ٢٦١ هـ) - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى - دار إحياء الكتب العربية .

٥٢ - صفة الجنة - الحافظ أبو نعيم الأصبهانى (ت ٤٣٠ هـ) - تحقيق : على رضا عبد الله - دار المأمون للتراث - الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

(ض)

٥٣ - الضعفاء الكبير - أبو جعفر العقيلى (ت ٣٢٢ هـ) - تحقيق دكتور عبد المعطى قلعجى - دار الكتب العلمية بيروت .

(ط)

٥٤ - طبقات الحفاظ - جلال الدين السيوطى (٩١١ هـ) - تحقيق على محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٧٣ م .

٥٥ - طبقات المفسرين - شمس الدين محمد بن على الداودى (ت ٩٤٥ هـ) - تحقيق على محمد عمر - مكتبة وهبة - القاهرة .

(ع)

٥٦ - العظمة - أبو الشيخ الأصبهانى - دراسة وتحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفورى - دار العاصمة الرياض ١٤٠٨ هـ .

٥٧ - العلل المتناهية فى الأحاديث الواهية - أبو الفرج ابن الجوزى - (٥٩٧ هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٨٣ م .

٥٨ - عمل اليوم والليلة - أحمد بن شعيب النسائى - تحقيق د . فاروق حمادة - مؤسسة الرسالة .

٥٩ – عمل اليوم والليلة – أبو بكر ابن السنى (ت ٤٣٠ هـ) – مجلس دائرة المعارف – حيدر آباد – الدكن – الهند .

(ف)

٦٠ – فتح البارى بشرح صحيح البخارى – ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ) – المطبعة السلفية – القاهرة .

٦١ – الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة – محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠ هـ) – تحقيق المعلمى اليمانى – دار الكتب العلمية بيروت (مصورة) .

(ق)

٦٢ – القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ – وضعه وحققه محمد رمزى – مطبعة وزارة التربية والتعليم ١٩٥٨ م .

(ك)

٦٣ – الكامل فى ضعفاء الرجال – ابن عدى الجرجانى (ت ١٢٥٠ هـ) – دار الفكر – الطبعة الثانية ١٩٨٥ م .

٦٤ – كشاف اصطلاحات الفنون – التهانوى (ت ٤٣٠ هـ) – طبعة كلكتا ١٨٤٢ م .

٦٥ – كشف الأستار عن زوائد البزار – نور الدين الهيثمى – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى – مؤسسة الرسالة – الطبعة الأولى ١٩٨٥ م .

٦٦ – كشف الخفاء ومزيل الإلباس – إسماعيل بن محمد العجلونى – تصحيح : أحمد القلاش – دار التراث القاهرة .

٦٧ – كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون – ابن حاجى خليفة – دار الفكر ١٩٨٢ م (مصورة) .

٦٨ – كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال – علاء الدين على المتقى – مكتبة التراث الإسلامى – حلب ١٩٧١ م .

(ل)

٦٩ – لسان العرب – ابن منظور – دار المعارف القاهرة .

(م)

٧٠ – المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين – محمد بن حبان البستى (ت ٣٥٤ هـ) – تحقيق محمود إبراهيم زايد – دار الوعى حلب ١٤٠٢ هـ .

٧١ – مجمع الزوائد ومنبع الفوائد – نور الدين الهيثمى – مكتبة القدسى – القاهرة .

٧٢ – المراسيل – ابن أبى حاتم الرازى (ت ٣٢٧ هـ) – تعليق أحمد عصام الكاتب – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٣ م .

٧٣ – المسالك والممالك – أبو القاسم بن خرداذبة (ت ٣٠٠ هـ) – مكتبة المثنى بغداد .

٧٤ – المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم النيسابورى – دار المعرفة – بيروت – مصورة .

٧٥ – المسند – أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ) – دار الفكر العربى – مصورة على طبعة المطبعة الميمنية ١٣١٣ هـ .

٧٦ – المسند – أبو بكر الحميدى (ت ٢١٩ هـ) – تحقيق حبيب الرحمن الأعظمى – دار الكتب العلمية – بيروت .

٧٧ – المسند – أبو داود الطيالسى (ت ٢٠٤ هـ) – دار المعرفة بيروت مصورة على طبعة دائرة المعارف النظامية الهند ١٣٢١ هـ .

٧٨ – مسند أبى عوانة – يعقوب بن إسحاق الاسفرائنى (ت ٣١٦ هـ) – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت (مصورة) .

٧٩ – مسند الفردوس – أبو شجاع الديلمى (ت ٥٠٩ هـ) – تحقيق السعيد بسيونى زغلول – دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٦ م .

٨٠ – مسند أبى يعلى الموصلى – تحقيق : حسين سليم أسد – دار المأمون للتراث – دمشق – الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

٨١ – مشكاة المصابيح – ولى الدين محمد بن عبد الله التبريزى – تحقيق ناصر الدين الألبانى – المكتب الإسلامى – الطبعة الأولى ١٩٦١ م .

٨٢ – المصنف – أبو بكر بن أبى شيبة (ت ٢٣٥ هـ) – طبعة مصورة .

٨٣ – معارج القبول بشرح سلم الوصول – الشيخ حافظ أحمد حكمى (ت ١٣٧٧ هـ) – مصورة بدون إشارة للطابع أو تاريخ الطبع .

٨٤ – معجم البلدان – ياقوت الحموى – مطبعة السعادة .

٨٥ – المعجم الصغير – أبو القاسم الطبرانى (ت ٣٦٠ هـ) – دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٣ م .

٨٦ – المعجم الكبير – أبو القاسم الطبرانى (ت ٣٦٠ هـ) – تحقيق حمدى عبد المجيد السلفى – طبعة بغداد .

٨٧ – المعجم المختص بالمحدثين – شمس الدين الذهبى (٧٤٨ هـ) تحقيق د . محمد الحبيب الهيلة – مكتبة الصديق – الطائف ١٩٨٨ .

٨٨ – المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى – إعداد لفيف من المستشرقين – دار الدعوة – استانبول ١٩٨٦ م .

٨٩ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن – وضع محمد فؤاد عبد الباقى – دار الشعب – القاهرة .

٩٠ – مكارم الأخلاق – أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطى – تحقيق : سعاد سليمان إدريس – رسالة دكتوراه جامعة الأزهر بنات . إشراف د . موسى شاهين لاشين – ١٩٨٤ م .

٩١ – منتخب كنز العمال – علاء الدين على المتقى – على هامش مسند الإمام أحمد ابن حنبل – دار الفكر العربى – مصورة .

٩٢ – موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان – نور الدين الهيثمى – تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة – دار الكتب العلمية – بيروت .

٩٣ – موسوعة أطراف الحديث النبوى – إعداد : السعيد بسيونى زغلول – عالم التراث – بيروت ١٩٨٩ م .

٩٤ – الموضوعات – أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ) – تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان – المكتبة السلفية – المدينة المنورة الطبعة الأولى – ١٩٦٦ م .

٩٥ – الموطأ – الإمام مالك بن أنس – تحقيق محمد فؤاد عبد الباق – دار إحياء الكتب العربية – فيصل الحلبى .

٩٦ – ميزان الاعتدال فى نقد الرجال – شمس الدين الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) – تحقيق على محمد البجاوى – دار الفكر العربى .

٩٧ – النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة – ابن تغرى بردى الأتابكى – مطبعة دار الكتب المصرية – ١٩٥٠ م .

٩٨ – نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار – محمد بن على الشوكانى (ت ١٢٥٠ هـ) – نشر مكتبة الدعوة الإسلامية – القاهرة .

٩٩ – هدى السارى مقدمة فتح البارى – ابن حجر العسقلانى – المطبعة السلفية – القاهرة .

١٠٠ – هدية العارفين بأسماء الكتب والمؤلفين – إسماعيل البغدادى – طبع وكالة المعارف – استانبول ١٩٥١ م .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

كتب للمحقق

* الاستعداد ليوم المعاد ـ ابن حجر العسقلانى — دار البشير ـ القاهرة
* سهام الإصابة فى الدعوات المستجابة ـ السيوطى — دار البشير
* الخشوع فى الصلاة ـ ابن رجب الحنبلى — دار المشرق العربى
* مداواة النفوس ـ ابن حزم — دار المشرق العربى
* كفاية المتعبد وتحفة المتزهد ـ المنذرى — دار المشرق العربى
* الصلاة والتهجد ـ ابن الخراط الأندلسى — دار الوفاء ـ المنصورة
* بداية خلق الكون ـ ابن كثير — دار البشير
* مختصر روضة المحبين ونزهة المشتاقين ـ ابن القيم — دار البشير
* الطب النبوى ـ الإمام الذهبى — دار البشير
* خطب الإمام على بن أبى طالب — دار الروضة
* تهذيب الدعاء المستجاب — دار الروضة
* تهذيب مفاتيح الفرج — دار الروضة
* خشوع الإيمان (تأليف) — دار البشير

* * *

رقم الإيداع ٨٩٥٢ / ٩٣

I. S. B. N

977 - 262 - 029 - 4

دار البشير ـ القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع

١٤٥طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٣١٨٧٣٦٨



هذا الكتاب

- هذا الكتاب حديث عن هذا الكون من حولنا بسماواته وأرضه ، بنجومه وكواكبه ، بجباله وبحاره وأنهاره ، بملائكته وجِنّه وإنسه .
- سطّر سطوره عالم من علماء سلفنا الصالح ضمن كتاب جامع هو « البداية والنهاية » فأفردنا « البداية » فى هذا الكتاب .
- إنه دعوة للتدبر والتفكر فى ملكوت السماوات والأرض ، لنوقن أن لهذا الكون رباً حكيماً مدبراً يسيّره وفق نظام دقيق ما زال البشر يحاولون الوصول إلى بعض أسراره .
- ولا شك أن ماضى المسلمين العلمى والحضارى كان زاهراً زاهياً ، ولكننا الآن أصبحنا فى مؤخرة الرّكب وسبقنا - بأيدينا لا بأيدى غيرنا - وعلمهم وحضارتهم أخذوها علـ[illegible] أيدى علمائنا .
- والإمام ابن كثير بما له من با[illegible] علم الحديث ورجاله وعلم التفـ[illegible] وأصوله والتاريخ وحوادثه ، يثبت لنا أنه أيضاً له باع فى الحديث عن هذا الكون بكائناته مستشهداً بالقرآن والسنة وعلم الجغرافيا ويسميه علم (التسيير - الهيئة) .

دار البشير

دار البشير - القاهرة
للطباعة والنشر والتوزيع
١٤٥طريق المعادى الزراعى ص . ب ١٦٩ المعادى . ت : ٣١٨٧٣٦٨